

رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس



القمص تاورس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس

٢٠٠٢

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد، آمين.

الكتاب: رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس.
المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.
المطبعة: الأتبا رويس الأوفست بالعباسية.
رقم الإيداع بدار الكتب: ١١٥٣٦ / ٢٠٠١

مقدمة في

رسالة بولس الرسول الثانية

إلى أهل كورنثوس

موضوعها

هذه الرسالة هي أروع مقال عن مفهوم الخدمة والحب الرعوي الفائق. كل عبارة تعتبر قانونًا عمليًا للخادم الحقيقي. كأن الله سمح بالهجوم على رسولية القديس بولس لكي يكشف الرسول عما في أعماقه من حبٍ نحو شعبه، وما في ذهنه من مفاهيم إيمانية صادقة نحو الرعاية. بالرغم من كثرة المصاعب والمشاكل التي واجهها الرسول في كورنثوس، جاء موضوع الرسالة: الخدمة القانونية المنتصرة. "ولكن شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين" (٢: ١٤).

مفتاح السفر

إذ اشتدت الضيقات بالرسول جدًّا لم تتحطم نفسه، بل أدرك أن الله سمح بها لكي يكتشف ذراع الله العامل وسط الأتعاب. "الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح، لأن الحرف يقتل، ولكن الروح يحيي" (٣: ٦).

تاريخ كتابتها

كُتبت سنة ٥٧ ميلادية من مكدونية بعد الرسالة الأولى بأشهرٍ قليلةٍ.

غاية الرسالة

❖ جاء بعض اليهود من أورشليم يشككون المؤمنين في رسوليته، ويعلنون أنه عنيف في رسائله، وضعيف في حضرته. فأنكر بعض أعضاء كنيسة كورنثوس على بولس سلطته الرسولية، وكان من اللازم أن يبرهن لهم عن صدق رسوليته (ص ١ - ص ٧)، (ص ١٠ - ص ١٣). ويؤكد حبه لشعبه، واستعداده أن يكون لهم عبدًا لينعموا هم بحرية مجد أولاد الله (٤: ٥)، وأن ينفق ويُنفق لأجلهم مع تأكده أنه كلما أحبهم أكثر أحبوه أقل (١٢: ١٥). لقد أعلن لهم أنه يلتهب في

أعماق قلبه عندما يتعثر أحدهم، ويشعر بالضعف عندما يضعف أحدهم (١١: ٢٩؛ ١٦: ٥).

❖ علم الرسول من نيطس أن الرسالة الأولى قد أثمرت بالتوبة الصادقة (١٦: ٧)، فأرسل إليهم يؤكد لهم فرحه بتوبتهم، واتساع قلبه بالحب نحوهم. سمع أيضاً أن أمور الكنيسة بخصوص التدبير الكنسي قد وضعت في نصابها، وأن الأخطاء تصححت تدريجياً، فبعث إليهم يشجعهم للسلوك في هذا الطريق. يرى أمبروسيستر أنه كتب هذه الرسالة من أجل القليلين منهم الذين في عنادهم بقوا غير قابلين للإصلاح^١. لقد جاءت الرسالة رقيقة جداً، لكنه التزم أن يكون حازماً في النهاية من أجل إصرار القلة على إنكار رسوليته ومقاومتهم للخدمة.

❖ أما ما جعله يتعجل في الكتابة فهو ذاك الشخص الذي سبق فطلب عزله بسبب ارتكابه الشر مع امرأة أبيه (١ كو ٥)، الآن إذ قدم توبة وحزن جداً، خشي عليه الرسول لئلا يسقط في اليأس، فبعث إليهم فوراً لكي يقبلوه ويظهروا له كل محبة (ص ٢، ٧).

❖ جاءت هذه الرسالة أشبه برسالة شكر لاهتمامهم بالقديسين المضطهدين في أورشليم، ومن أجل ما أظهروه من لطف لنتيطس عند زيارته لهم (ص ٨، ٩).

❖ مواضيع الرسالتين الأولى والثانية تكاد تكون متشابهة، وهي المواهب الروحية، والقيامة من الأموات، والعشاء الرباني، والحث على العطاء بسخاء (٢ كو ٩: ١-١٥)، والمحبة (١ كو ١٣).

❖ حذرهم من أصحاب البدع والهرطقات والانشقاقات، كما جاءت الرسالة تفيض بالتعزيات الإلهية التي يهبها الله لمؤمنيه وسط الآلام. اضطر الرسول بولس أن يقارن بين العهدين الجديد والقديم، لا ليحط من شأن الناموس، وإنما ليرد على القلة من المسيحيين الذين من أصل يهودي ولازالوا يصرون على اتهام الرسول بأنه مرتد ومقاوم للناموس.

❖ كتب في الرسالة الأولى بأنه سيذهب إليهم (١ كو ١٦: ٥)، ولكن بعد مدة لم يذهب، إذ شغله الروح بأمور أخرى أهم. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه لم يعدهم الرسول بالزيارة، إنما كشف عن رغبته في ذلك، والآن إذ تأخر عليهم بعث يعتذر لهم عن عدم حضوره.

¹ Ambrosiaster: Comm. On Paul's Epistles, CSEL (Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum, Vienna: Tempusky, 1866) 81:195.

محتويات الرسالة

١. مقدمة في الحب المتبادل
ص ١
٢. مفهوم الخدمة
ص ٢ - ص ٥
٣. عمله الرسولي
ص ٦ - ص ٧
٤. خدمة القديسين
ص ٨ - ص ٩
٥. دفاعه عن مذلة حضرته
ص ١٠ - ص ١٢
٦. الختام
ص ١٣

من وحي ٢ كورنثوس

هب لي قلبًا متسعًا
فأحمل كل نفس إلى سمائك!

❖ فتحت أبواب السماء أمامي،
لتفتح لي بابًا لأحمل كل نفسٍ إليك بروحك القدوس.
بالحب حملتني إلى حضن الآب،
هب لي القلب المتسع لكل إنسان،
فأحمل بنعمتك الكثيرين إلى شركة أمجادك.

❖ قدسني أيها القدوس،
فأحمل مع الحب الحياة المقدسة.
أشتهي أن تصير الأرض سماءً،
فلا يكون للدنس موضع فيها.
متى أرى كل خاطئ قد صار قديسًا!
لأرفض كل نجاسة،
ولكن لا احتقر النجسين،
فأنت واهب القداسة.

مسرّتك يا أيها القدير،
أن تحمل صليبك كمن هو في غاية الضعف.
لأسرّ أنا أيضاً بالضعفات.
فحيث أنا ضعيف أنا قوي فيك.
وإذ أموت معك أحيأ بك ومعك،
فأنت هو الحياة والقيامة.

❖ هب لي أن أكون أميناً في خدمتك.
اشتهدى مصالحة الكل معك يا أيها السماوي.
فيختبر الكل السماء المفتوحة.
روحك القدوس ينزع عنّا البرقع،
فنرى بهاء مجدك،
ونتحقق مما أعددتَه لنا.

❖ تمتلئ نفوسنا بتعزيات الروح وسط الآلام.
وتتسع بالحب العملي للعطاء.
نعطي قلوبنا للمحتاجين،
كما أعطيتنا ذاتك ساكناً فينا!
عُدني لأخدمك بروح القداسة والحب الباذل.
خدمة القوة والمجد بلا فشل!

الباب الأول

مقدمة

في الحب المتبادل
بين الراعي والرعية

ص ١

الأصحاح الأول

مقدمة

يكشف هذا الأصحاح عن قلب الراعي الذي لا يطلب ما لنفسه بل ما لكنيسة الله. ففي وسط ضيقه التي أصابته حتى كاد أن ييأس من الحياة (١ : ٨) وصار كمن في حكم الموت، كان ما يشغله هو الحب المتبادل والعملية بينه وبين شعبه. كشف عن حبه العجيب لهم خلال الآتي:

- ❖ إن تألم أو تعزى فمن أجل خلاصهم (١ : ٦-٧).
- ❖ محتاج إلى صلواتهم (١ : ١١).
- ❖ هم فخره، وهو فخرهم في يوم الرب يسوع (١ : ١٤).
- ❖ مشتاق إلى زيارتهم (١ : ١٥-٢٤).
- ❖ لم يأت إليهم وهم في حزن، إنما سيأتي ليؤازرهم سرورهم (١ : ٢٤)، يراهم فرحين، فيفرح بهم، ويحسبون فرحه هو فرحهم جميعاً! سلسلة من الحب المتبادل لا تنقطع. "فرحي هو فرح جميعكم" (٢ : ٣).

١. البركة الرسولية ٣-١
٢. احتماله الآلام في المسيح لأجلهم ١٠-٤
٣. صلاتهم عنه وهو متألم ١١
٤. افتخاره بهم، وهم به ١٢-١٤
٥. شوقه للحضور إليهم ١٥-٢٤

١. البركة الرسولية

"بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله وتيموثاوس الأخ،
إلى كنيسة الله في كورنثوس،

مع القديسين أجمعين الذين في جميع أخائية" [١].

لم يبدأ باسم المرسل إليهم كما كانت العادة في ذلك الوقت، بل بالراسل، لكنه كرسول يكتب لشعبه يبدأ باسمه، وذلك كما كانت عادة الحكام والقضاة.

ضم الرسول بولس تيموثاوس إليه ليس لأنه في حاجة إلى معونته، وإنما لأنه على فم شاهدين

تتحقق الكلمة، وقد دعاه "الأخ" ليكرمه في أعين شعب كورنثوس كأخٍ معه في ذات الإيمان، أو كشريكٍ معه في الخدمة، وإن كان ليس رسولاً. إذ لم يقل: "بولس وتيموثاوس الرسولان". أما في رسالته إلى أهل فيلبي فضمه إليه دون ذكر كلمة "رسول"، لأنه لم تكن توجد حاجة إلى تأكيد رسوليته لشعب فيلبي.

تواضع عجيب! إذ دعا الشاب الصغير أخاه، لأنه يقدّر إيمانه وعمله الكرازي والرعوي. في الرسالة الأولى دعى نفسه "المدعو رسولاً"، أما وقد أكد لهم رسوليته جاء حديثه هنا في الرسالة الثانية: "بولس رسول المسيح يسوع بمشيئة الله". يتحدث معهم في يقين، وكأنه يلزمهم أن يقبلوا ذلك، فإن إرساليته لن تتوقف على إرادتهم أو أية إرادة بشرية، بل هي حسب مشيئة الله الذي دعا، وقد قبل بولس الدعوة فتنبّت. دعاه الرب يسوع نفسه مباشرة للعمل الكرازي بين الأمم حسب مشيئة الآب التي هي واحدة مع مشيئة الرب يسوع.

❖ مرة أخرى يدعو بولس الكورنثيين كنيسة لكي يجمع الكل معاً، ودعاهم "القديسين" حتى إذا كان أحد منهم دنساً يُستبعد من هذه التحيّة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تعبير "مع كل القديسين" غامض، فإما يعني كل القديسين الذين كانوا مع بولس، أو يعني كل القديسين الذين في كورنثوس^٢.

القديس ديديموس الضريع

❖ اثنان يصنعان سيمفونية (حب متبادل مفرح): بولس وسوستانيس عند كتابة الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١ كو ١: ١)، وبعد هذا بولس وتيموثاوس عند إرسال الرسالة الثانية إلى نفس الجماعة^٣.

العلامة أوريجينوس

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يشير هنا إلى مسيحيي كل مقاطعة أخائية ولم يكتفِ بمسيحيي المدينة، لأن الكل كانوا يعانون من ذات المشكلة، والكل كانوا في حاجة إلى ذات العلاج^٤. مع ما اتسم به بعض أعضاء الكنيسة في كورنثوس من مشاكل روحية وعقيدية وسلوكية

¹ In 2 Cor. Hom. 1:2.

² Pauline Commentary from the Greece Church.

³ Commentary on Matthew, 14:1

⁴ In 2 Cor. Hom. 1:2.

وتنظيمية فإن عيني الرسول تتطلعان إلى هذه الكنيسة كمعروسٍ مقدسة للعريس القدوس، تسعى نحو القداسة، فيحسب شعبها قديسين.

الكنيسة في اقتدائها بعريسها القدوس هي نور العالم. ففي كتابه "ضد صلسس" يدعو أوريجينوس معارضيه إلى عقد مقارنة بين البلاد الوثنية والكنائس المسيحية التي نشأت فيها، خاصة تلك التي في كورنثوس والإسكندرية.

❖ إذا قورنت الكنائس التي شكّلها المسيح بتجمعات المدن التي توجد بها، فسوف تظهر كمشاعلٍ مضيئة في العالم. فمن منا لا يعترف بأن عدد الأعضاء القليل من الكنائس غالبًا ما يكون أفضل من كثيرين الذين يظهرون في التجمعات المدنية؟!...
إذ ما قارنا مجلس كنيسة الله بمجلس المدينة، نجد أن بعضًا من أعضاء مجالس الكنائس جديرون أن يكونوا أشرافًا لمدينة إلهية، إذا ما وجدت مثل هذه المدينة في العالم. في حين نجد الأعضاء المدنيين غير أهلٍ بأخلاقياتهم للمراكز البارزة التي يشغلونها بين مواطنيهم.
لتقارن على نفس هذا النمط رأس كل كنيسة برؤوس تلك المدن، فستجد أن الشاغلين، حتى لأدنى الدرجات في كنيسة الله، متفوقين على كل الحكام المدنيين، إذا ما وضعنا فضائل الفئتين جنبًا إلى جنب^١.

العلامة أوريجينوس

"نعمة لكم وسلام من الله أبينا
والرب يسوع المسيح" [٢].

إذ يتحدث الرسول بكل قوة عن أبوته لهم الحانية وبذله من أجل الكل يطلب إليهم أن يتطلعوا إلى أبوة الآب وإلى عمل المسيح الخلاصي ليدركوا أن أبوة الرسول وحبه لخلاصهم إنما هما ظل وثمره لأبوة الآب وبذل الابن.

❖ الأعمال التي يصنعها الآب يفعلها الابن أيضًا، والعطايا التي يقدمها الآب يهبها الابن أيضًا. يفهم من هذا أنه وإن كنا نعرف الله بكونه الآب، فإننا لا نزال نُحسب خدامًا ليسوع المسيح. لسنا ندعوه "أخًا" بل "الرب". لأنه هو الابن الوحيد الجنس بالطبيعة، وليس بالتبني، وهو رب كل الذين جعلهم أبناء الله^٢.

¹ Contra Celsum 3:27

² Pauline Comm. From the Greek Church.

القديس ديديموس الضير

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح

أبو الرأفة وإله كل تعزية" [٣].

إذ يتحدث عن الآلام التي يجتازها هو، وتلك التي يتعرض لها بعض الكورنثيين يبدأ بالحديث عن التعزيات الصادرة عن الله، حتى لا يركز أحد فكره في الألم بل في التعزيات الإلهية، وقد قدم لنا الآب هنا بثلاثة ألقاب:

أولاً: أبو ربنا يسوع المسيح.

ثانياً: أب الرأفات (المراحم)، يترفق بالنفس كما بالجسد، في هذا الزمان الحاضر كما في الأبدية.

ثالثاً: إله كل تعزية.

اعتاد العهد القديم تقديم الله بكونه "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" (خر ٣: ١٥-١٦؛ ٤: ٥؛ طو ٧: ١٥) ليؤكد أنه إله العهد مع الآباء ونسلهم. أما هنا فيشير إلى الابن لتأكيد العهد الجديد بين الآب والمؤمنين خلال دم ربنا يسوع. وكما يقول الرسول نفسه: "وأما المواعيد فقبلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد، وفي نسلك الذي هو المسيح" (غل ٣: ١٦).

يدعوه أيضاً "أبو الرأفات"، فإنه يسر بالرأفة ويبتهج بتقديم الرحمة. وكما يقول ميخا النبي: "من هو مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه، لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يسر بالرأفة" (مي ٧: ١٨). كما يدعوه "إله كل تعزية"، إذ ينبثق منه المعزي الروح القدس (يو ١٥: ٢٦)، مصدر كل تعزية وينبوع راحتنا.

إن كان عنف بعض الكورنثيين لم ينزع عن الرسول حنوه الشديد نحوهم إنما لأنه يتمتع معهم برأفات الله وتعزياته الإلهية بالرغم من الأخطاء الصادرة عن الكل. هذه التعزيات هي سند لنا وسط أتعاب العالم وآلامه.

❖ يتحدث هنا عن "إله الرأفات" ليثبت فيهم روح الرجاء بأن الله يترقب توبتهم ليهبهم مراحمه ويصلح من حياتهم. أراد الرسول أن يهبهم شيئاً من الراحة حتى لا يحطمهم التوبيخ أو الحزم. أما استخدامه صيغة الجمع فلتأكيد أنه مهما كثرت آثامهم فإن مراحم الله ورأفاته أعظم وأقوى.

الله وحده قدوس وصالح، يقدس الآخرين ويجعلهم صالحين. هو وحده الطوباوي، إذ يهب البركة ولا ينقلها من أحدٍ غيره. بالمثل هو أب المراحم بالطبيعة، لأنه مصدر كل رحمة وليس لأنه يطلبها

من أحدٍ سواه^١.

القديس ديديموس الضيرير

❖ لم يبدأ بولس بذكر الألم بل الراحة، مقدمًا الشكر على ذلك قبل حدوثها، وموضحًا أن الراحة تحل خلال الألم^٢.

ثيودور أسقف المصيصة

❖ إننا نؤمن "بالمعزي"، لكنني علّمت بأن هذا اللقب ينطبق أيضًا على الآب والابن والروح القدس مشابهة وذلك كشهادة الكتاب المقدس الموحى به. أعطى الابن هذا الاسم "المعزي" لنفسه كما للروح القدس والآب بالتساوي...

يقول داود للآب: "أنت يارب أعنتني وعزيتني". والرسول العظيم طبق ذلك على الآب بنفس الأسلوب، إذ يقول: "فبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية. ويوحنا في إحدى رسائله الجامعة يستخدم بوضوح هذا الاسم "المعزي" لابن. بالأحرى الرب نفسه يقول انه سيرسل معزيًا آخر وذلك عندما تحدث عن الروح القدس^٣.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

٢. احتماله الآلام في المسيح لأجلهم

"الذي يعزينا في كل ضيقنا،

حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة

بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله" [٤].

يفيض قلب الرسول بولس بالشكر الدائم لله واهب التعزيات وسط الضيقات. يشير الرسول بولس في هذه الرسالة إلى تعزيات الله الفائقة في كل الظروف. فيتحدث عن تعزية الله للمتألمين ظلمًا من أجل إيمانهم بالسيد المسيح، وعن تعزية الخطاة الراجعين إلى الله بالتوبة ليتمتعوا بالشركة معه. ربما وجَّههم الرسول إلى التعزيات فيدركوا أنهم نافعون للآخرين حتى في وسط آلامهم، فلا يقف الأمر عند تمتعهم بالتعزيات بل يفيضون بها على إخوتهم المتألمين مثلهم. ولعله كتب هذا لكي يرفعهم من حالة الإحباط التي حلت بهم بسبب عدم زيارته لهم.

¹ Pauline Comm. From the Greek Church.

² Pauline Commentary from the Greece Church.

³ Against Eunomius, 2:14.

❖ كان الكورنثيون محبطين جدًا لأن الرسول لم يأت إليهم بالرغم من وعده لهم بذلك. فقد قضى كل الوقت في مكثونية، فظنوا أنه فضّلهم عنهم. لذلك يهين بولس نفوسهم ويعالج هذه المشاعر التي كانت ضده بإعلانه عن سبب غيابه دون الحديث عن ذلك مباشرة^١.

❖ الإنسان المحب الملتصق بالله على الدوام لا تؤذيه الأمواج مهما كثرت، بل على العكس يخرج منها بقوة جديدة. أما الإنسان الضعيف المتخاذل فإنه يسقط كثيرًا حتى ولو لم يوجد ما يضايقه^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

ذكّرهم أيضًا بتعزيات الله لهم حتى يشتاقوا ألا يُحرم أحد منها، مقدمين الفرصة للساقط التائب أن يختبرها فلا يسقط في اليأس.

❖ كتب بولس ذلك مقدمًا لأنه سيتحدث عن الإنسان الذي أُدين بسبب خطيته بأنه يجب أن يتصلح مع قوة الله المعزّية^٣.

سفيريان أسقف جبالة

يرى القديس غريغوريوس أسقف نيقص أن هذه التعزيات هي عربون بهجة الحياة الأبدية، نختبرها في أعماقنا هنا لننعم بكمالها في الأبدية.

❖ ماذا يعني القول بأن ملكوت الله داخلنا؟ سوى البهجة الصادرة من الأعالي للنفوس بالروح؟ فإن هذا يشبه صورة أو وديعة أو نموذجًا للنعمة الأبدية التي تتمتع بها نفوس القديسين في الحياة العتيدة. هكذا يدعونا الله بعمل الروح للخلاص خلال آلامنا للشركة في صلاح الروح ونعمه^٤.

القديس غريغوريوس أسقف نيقص

"لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا،

كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضًا" [٥].

كأن الرسول يعلن أن من يتعرف على الإيمان من خلال دراسة الكتب والوعظ فقط مسكين وبائس، فإنه لا ينال من فيض تعزيات الله خلال الشركة العملية مع المسيح المتألم. يقدم لنا الرسول بولس خبرته بأن كثرة آلامه تزيد قوة، لأنها تفتح بالأكثر باب التعزيات الإلهية.

¹ In 2 Cor. Hom. 3:1.

^٢ العناية الإلهية، ترجمة عابدة حنا، ص ١٢.

³ Pauline Commentary from the Greece Church.

⁴ On the Christian Mode of Life.

عوض الشكوى مما أصابه من آلام يحث الكل أن يختبروا بركات طريق الآلام فينالوا أمجادًا سماوية.

❖ لم يرد بولس أن يُحزن تلاميذه بتقديم حساب مُبالغ فيه عن آلامه، عوض ذلك يعلن عن عظمة التعزية التي تقبلها، مذكرًا إياهم بالمسيح^١.

❖ إنه يسمو بنفوسنا حاسبًا هذه الآلام خاصة به، فأني فرحٍ يشملنا أن نكون شركاء المسيح، ومن أجله نتألم؟

❖ ما أجد الآلام! بها نتشبه بموته!

كما يُلقى ممحص الذهب بقطعة الذهب في الفرن لتحتمل النار إلى حين حتى يراها قد تنقت، هكذا يسمح الله بامتحان البشرية بالضيق حتى تنقى وتحصل على نفعٍ عظيم... فليتنا لا نضطرب ولا نياس عندما تحل بنا التجارب. لأنه كما أن ممحص الذهب يعلم الزمن الذي ينبغي أن يترك فيه الذهب في الفرن، فيخرجه في الوقت المعين ولا يتركه بعد في النار حتى لا يفسد ولا يحترق، هكذا كم بالأكثر يعلم الله ذلك. فعندما يرانا قد تنقينا بالأكثر، يعتقنا من تجاربنا حتى لا ننطرح ونطرد بسبب تزايد ضرورنا.

عندما يحل بنا أمر ما لم نكن نتوقعه، لا نتذمر ولا تخور قلوبنا، بل نتحمل الله الذي يعرف هذه الأمور بدقة، حتى يمتحن قلوبنا بالنار كيفما يُسر، إذا يفعل هذا بهدف ويقصد فائدة المجربين، لذلك يوصينا الحكيم قائلاً بأن نخضع لله في كل الأمور، لأنه يعرف تمامًا متى يخرجنا من فرن الشر. (حكمة يشوع ١: ٢-١)

نخضع له على الدوام، ونشكره باستمرار، محتملين كل شيءٍ برضى، سواء عندما يمنحنا بركات أو يقدم لنا تأديبات. لأن هذه الأخيرة هي نوع من أنواع البركات. فالطبيب ليس فقط يسمح لنا بالاستحمام (في الحمامات)... أو الذهاب إلى الحدائق المبهجة بل وأيضًا عندما يستخدم المشروط والسكين هو طبيب!

والأب ليس فقط عندما يلاطف ابنه، بل وعندما يؤدبه ويعاقبه... هو أب! وإذا نعلم أن الله أكثر حنوًا من كل الأطباء، فليس لنا أن نستقصي عن معاملته، ولا أن نطلب منه حسابًا عنها، بل ما يحسن في عينيه بفعله. فلا نميز إن كان يعتقنا من التجربة أو يؤدبنا لأنه بكل الطريقين يود ردتنا إلى الصحة، ويجعلنا شركاء معه، وهو يعلم احتياجاتنا المختلفة، وما يناسب كل

¹ In 2 Cor. Hom. 1:4.

واحد منا، وكيف، وبأية طريقة يلزمنا أن نخلص.

لنتبعه حيثما يأمرنا، ولا نفكر كثيرًا إن كان يأمرنا أن نسلك طريقًا سهلاً وممهّدًا أو طريقًا صعبًا وعزًّا^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان كلما كثرت آلام المسيح هكذا أيضًا تزداد التعزية بالمسيح فلنرحب بآلام المسيح المشجعة. ولتفرض فينا، إن كنا بالحق نطلب التعزية الفياضة التي بها يتعزّى كل الحزاني، وإن كانت ليست متشابهة بالنسبة لكل واحد. فلو أن التعزية متشابهة لكل أحدٍ ما كان قد كتب أنه كلما كثرت آلام المسيح فينا، هكذا تكثر التعزية بالمسيح جدًّا. الذين يشتركون في الآلام سيشاركون أيضًا في التعزية حسب شركتهم في آلام المسيح^٢.

العلامة أوريجينوس

يوجه الرسول أنظارنا إلى التمتع برؤية السيد المسيح المتألم والمصلوب عوض انشغالنا بالآلام. وقد جاءت كلمة "تعزية" هنا لتشير إلى تمتع النفس برؤية المسيح الحاضر وسط الضيق. ❖ واضح أن المسيح نفسه الذي من أجله نتألم هو حاضر معنا، يعزينا، ويخلصنا من التعب بتدخله الإلهي^٣.

أمبروسياستر

❖ يعني بالتعزية "تاوريا" وتُفسّر "رؤية النفس"، فالرؤية تلد تعزية^٤.

القديس مار إسحق السرياني

"فإن كنا نتضايق فلأجل تعزيتكم وخلصكم العامل في احتمال نفس الآلام التي نتألم بها نحن أيضًا،

أو نتعزى، فلأجل تعزيتكم وخلصكم" [٦].

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على الآيتين ٦ و ٧ مؤكدًا دور الكارز وأيضًا المستمعين، فالكل يلزمهم أن يحتملوا الآلام من أجل الخلاص. ومن جانب آخر يعلق على تعبير "العامل" *which*

^١ يسوع والمفلوجان: للقديس ذهبي الفم، ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطي، ١٩٦٦، ص ٣٥ الخ.

^٢ Exhortation to Martyrdom, 42.

^٣ CSEL 81:197.

^٤ Ascetical Homilies, 74.

energizes itself، إذ لا تعني مجرد "العامل" وإنما "العامل في ذاته"، ليظهر أن النعمة تعمل فيهم وتساهم بالأكثر مع رغبة ذههم^١. هكذا يؤكد الرسول دور المؤمن وقبوله الآلام بإرادته، فتحل نعمة الله فيه بالأكثر. إذ تتجاوب النعمة بالأكثر مع من يريد خلاص نفسه.

❖ ما يقوله هو هذا: إن خلاصكم ليس من عملنا نحن وحدنا، وإنما هو عملكم أنتم أيضًا. فإذ نركز لكم بالكلمة نحتمل أحزانًا، وأنتم إذ تقبلونها تحتملون ذات الأمور. نحن نحتمل لكي نهيك ما تتسلمونه، وأنتم تحتملون لكي تقبلوا ما يؤهب لكم ولا يضيع منكم... فإن خلاصكم يتحقق لا بالإيمان المجرد، وإنما بالآلام واحتمالكم معنا ذات الشيء... خلاصكم يشبه ملاكمًا في الحلبة مملوء طاقة "العامل في ذاته" أعظم، هذه الطاقة تُعلن وتزداد وتعلو عندما تشعرون بالحاجة إلى التألم واحتمال كل شيء بنبل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ يكرس الخادم حياته لحساب ملكوت الله، ويشتهي خلاص كل إنسان، يصير أداة مقدسة في يد الله الذي يعمل به في ضيقاته كما في تعزياته، يعمل بكلماته كما بتصرفاته، يعمل بنقاوة قلبه الداخلية كما بسلوكه الظاهري، يعمل بكل كيانه.

إن كانت آلام الرسول تبعث فيه تعزيات التمتع بروية المصلوب ومشاركته صلبه، فإنه في وسط الألم أو التعزية لن تفارقه أبوته لشعبه. إن كان يئن فلأجل خلاصهم، وإن كان يتعزى فلكي يشاركوه تعزياته التي ينالها من قبل الرب.

❖ أي تواضع يمكن مقارنته بهذا، حيث يرفع بولس الذين سقطوا بطريقة واضحة إلى مستواه كمساوين له. يتحقق خلاصنا بأكثر وضوح عندما نحتمل كل شيء بنبل، لا يحوي عمل الخلاص الإيمان وحده بل واحتمال الشرور التي تصيبنا^٢.

❖ حمل بولس هذا الصليب، لا لأجل نفسه فحسب، وإنما لكي يتعلم الكل أن يمتثلوا به. لهذا يقول: "كونوا متمثلين بي معًا أيها الإخوة، ولاحظوا الذين يسировون هكذا كما نحن عندكم قدوة" (في ٣: ١٧).

وأيضًا: "ما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه في هذا افعلوا" (في ٤: ٩).
وأيضًا: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجله" (في

¹ In 2 Cor, hom 2, PG 61:428

² In 2 Cor. Hom. 2:1.

١: ٢٩).

تظهر الكرامات البشرية بصورة أفضل عندما تجتمع في شخصٍ واحدٍ، لكن الأمر مختلف في الروحانيات، فإن الكرامات تكون أكثر بهاءً حينما يشترك فيها كثيرون ولا تقتصر على شخصٍ واحدٍ بل يتمتع بها كثيرون^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان الرسل قد تألموا فكم بالأكثر يليق بالآخرين أن يتألموا مثلهم^٢.

سفيريان أسقف جبالة

"فرجاؤنا من أجلكم ثابت،

عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام،

كذلك في التعزية أيضًا" [٧].

لم يشك الرسول قط من جهة تمتع شعبه المتألم بالتعزية الإلهية.

بالحب لا يمكن عزل الرسول عن شعبه، ففي ضيقه كما في تعزياته يهدف إلى خلاصهم. هكذا يليق بهم هم أيضًا ألا يعزلوا أنفسهم عنه، فيشاركوه آلامه وتعزياته كأنها آلامهم وتعزياتهم. هذا هو الخط الواضح في الرسالة كلها.

❖ رجاؤه فيهم لا يهتز بسلوكهم. يخبرهم أيضًا بولس أنه إذ يتعزى يتعزّون هم أيضًا. إن حسب الكورنثيون آلام بولس آلامهم، تصير تعزيته تعزيتهم. بقوله هذا ترجى بولس أنه يستطيع أن يشجعهم ويجعلهم يقبلون غيابه عنهم بأكثر سهولة^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة

من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا،

أننا نتقلنا جدًا فوق الطاقة،

حتى أيسنا من الحياة أيضًا" [٨].

يليق بالكنايس أن تدرك ما يحتمله الخدام الحقيقيون من متاعب لحساب ملكوت الله. لا يشير

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٧.

^٢ Pauline Commentary from the Greece Church.

^٣ In 2 Cor. Hom. 2:2

الرسول هنا إلى متاعبٍ محددة بعينها سواء التي أثارها ديمتريوس الصائغ (أع ١٩) أو محاولة اليهود قتله (أع ٢٠: ٣)، أو مواجهته للوحوش في أفسس كما جاء في الرسالة الأولى (١٥: ٣٢)، أو غيرها، فقد تعرض الرسول لميئات كثيرة.

واضح أن ما تعرض له الرسول فوق احتمال البشر حتى يؤس هو ومن معه من الحياة. ويبدو أن الرسول تعرض لضيقة شديدة جدًا قبيل كتابة رسالته هذه لم ترد في تاريخه، وكان أهل كورنثوس على علم بها، ولم يكن قادرًا إن يهرب من حبال الموت.

مع ما اتسم به الرسول من حياة التسليم، إذ يقول: "سلمنا فصرنا نُحمل" (أع ٢٧: ١٥)، إلا إنه كان يئن وسط الضيقات، بل ونراه هنا يعترف بأنه قد بلغ حد اليأس. لكن سرعان ما يرفع عينيه إلى الله مخلصه ويمتلئ بالرجاء المفرح.

❖ أظن أن بولس يشير هنا إلى الشغب الذي أثاره ديمتريوس الصائغ للفضة^١.

ثيودورت أسقف قورش

❖ لقد عدّ بولس أتعابه حتى إذا ما تحقق منها الكورنثيون يدركون أن ما يحل بهم يُحسب كلا شيء بالنسبة لما يعانيه هو. فالتلميذ الذي يحزن على ما يصيبه من أذى يتعزى عندما يرى سيده يتألم أكثر منه^٢.

بيلاجيوس^٣

❖ إنه لأمرٍ معزٍ جدًا للناس أن يعرفوا ما يفعله الآخرون، وما يحدث معهم. فإن كانت الأخبار سيئة يتشجعون ليكونوا نشطاء. بهذا يصير احتمال سقوطهم مثلهم أقل. وإن كانت الأخبار حسنة يفرح الكل معًا. هنا قدر ما يمكننا أن نرى كانت الأمور سيئة للغاية^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت،

لكي لا نكون متكلمين على أنفسنا،

بل على الله الذي يقيم الأموات" [٩].

^١ PG 82:379.

^٢ Comm. On 2 Cor.

^٣ بيلاجيوس: مبتدع ركز على الأعمال، وحسب أن الإنسان قادر على الخلاص بفكره وعمله، واستهان بالإيمان والنعمة الإلهية، وقام القديس أغسطينوس بمواجهة هذه الأفكار الخاطئة.

^٤ In 2 Cor. Hom. 2:3

يسمح الله لشعبه بالدخول في الضيقات لكي يدركوا عجزهم عن الخلاص بأنفسهم، فيعترفوا عليه كمخلصٍ لهم، قادر أن يقيمهم من الموت ويرد لهم الحياة. تصير لهم خبرة أبيهم إبراهيم العملية، إذ آمن بالقادر أن يقيم من الأموات (رو ٤: ١٧).

❖ كان بولس متوقعًا الموت، لكن لم يحدث هذا. بحسب مجرى الأحداث الطبيعية كان يجب أن يموت، لكن الله لم يسمح بعد بذلك حتى يتعلم بولس ألا يثق في ذاته بل في الله^١.

❖ يرتدي الذين لهم شرف العمل في الجيش زيًا مزخرفًا ويضعون سلاسل ذهبية حول أعناقهم، ولهم المظهر البهي، أما بولس فكان مقيدًا بالقيود عوض سلاسل الذهب، يحمل الصليب، ويُطارد ويُجلد ويجوع.

لا تحزن لهذا أيها العزيز المحبوب، لأن زينته عند الله أفضل وأكثر جلالاً وأكثر حبًا. هذا هو السبب الذي لأجله لا يُحسب حمل الصليب عيبًا.

هذا هو العجب، فإن (بولس) بقيوده وجلداته وجراحاته أكثر بهاءً مما لو ارتدى الأرجوان ولبس تاجًا. ملابسه هذه تجعله أكثر سموًا، وليست هذه كلمات بلاغة مجردة.

لنطبق هذا على إنسانٍ مصابٍ بحمى، فإن الآلاف من الجواهر والثياب الأرجوانية لا تستطيع أن تشفي الحمى، أما مآزر بولس فكانت توضع على أجسام المرضى فتزول عنها كل الأمراض، وهذا ما يليق (بحامل الصليب) وحده! وكما إذا رأى اللصوص لواء الإمبراطور لا يقدر أن يقتربوا بل يهربوا، كم الأكثر تهرب الأمراض والشياطين إذ يروا الصليب^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يتحقق الزهد الكامل بعدم التعلق بهذه الحياة، وأن نضع أمام ذهننا التجاوب مع الموت، فلا نتق في ذواتنا. لكن نتحقق البداية بتحرر الشخص من كل الأمور الخارجية: الممتلكات والمجد الباطل و(التعلق) بالحياة في المجتمع والشهوات الباطلة، وذلك علي مثال تلميذي الرب القديسين يعقوب ويوحنا اللذين تركا أباهما زيدي والقارب الذي اعتمدا عليه في كل معيشة حياتهما. أيضًا ترك متى مكان الجباية وتبع الرب، لم يترك وراءه مكاسب المهنة فحسب، وإنما لم يبال بالمخاطر التي كانت ستحل عليه حتمًا وعلى عائلته من أيدي الحكام، لأنه ترك حسابات الجباية ولم يكملها.

^١ In 2Cor. Hom. 2:3

^٢ في مديح القديس بولس، عظة ٧.

وبالنسبة لبولس فقد صُلب العالم له وهو للعالم^١.

القديس باسيليوس الكبير

تحدث أولاً عن الضيق بكونه الطريق الملوكي للتمتع بالتعزيات الإلهية، وأنه طريق الحب المتبادل بين المؤمن ومسيحه المصلوب، كما بينه وبين أخوته. ثم عبر بالحديث إلى خبرة الموت حيث بلغت نفسه إلى حافة اليأس، لكن إلى حين. عاد فاختبر وسط الضيق أنه مدين بكل حياته الجديدة أو المقامة من الموت لمسيحه القائم من الأموات. هذه الخبرة العملية عاشها في الماضي، إذ يقول: "تجانا من الموت"، وهي خبرة حية حاضرة إذ "هو ينجي"، وممتدة بروح الرجاء في المستقبل إذ "سينجي أيضاً".

"الذي نجّانا من موت مثل هذا،

وهو ينجي،

الذي لنا رجاء فيه إنه سينجي أيضاً فيما بعد" [١٠].

رجاؤهم في الله الذي ينجي من الموت لا يقوم على فكرة مجردة، وإنما على خبرة عملية، فقد سبق فنجاهم، ولا يزال ينجيهم، فلا مجال للتشكك في أنه سينجي أيضاً في المستقبل حتى النهاية. إنه الحافظ لملكوته الذي أقامه وبقّيمه في أعماقنا. تذكرنا لمعاملات الله معنا في الماضي تبعث فينا روح الشكر، وتزيد إيماننا بعمل الله، وتملأ نفوسنا يقيناً وفرحاً بالخلاص.

❖ مع أن القيامة أمر يخص المستقبل إلا أن بولس يُظهر أنها تحدث كل يوم. عندما يخلص إنسان من أبواب الموت، فإن هذا بالحق هو نوع من القيامة. يُمكن أن يُقال نفس الشيء عن الذين يخلصون من مرضٍ خطيرٍ أو تجاربٍ لا تُحتمل^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. صلاتهم عنه وهو متألم

"وأنتم أيضاً مساعدون بالصلاة لأجلنا،

لكي يؤدي شكر لأجلنا من أشخاص كثيرين،

¹ The Long Rules, 8.

² In 2 Cor. Hom. 2:4.

على ما وُهب لنا بواسطة كثيرين" [١١].

تشبه به القديس يوحنا الذهبي الفم فكان يطلب من شعبه الصلاة عنه، فمن كلماته: "الأسقف محتاج إلى مثل هذه الصلوات أكثر منكم... فبمقدار ما تكون منزلة الإنسان عظيمة هكذا يمكن أن تكون مفاسده عنيفة أيضًا. فضيلة واحدة في الأسقف كافية أن ترفعه إلى السماء، وزلة واحدة قادرة أن تلقيه في جهنم^١".

❖ قال بولس هذا لكي يحثهم على الصلاة من أجل الآخرين، ولكي يعتادوا أن يشكروا الله عما يحدث مع الآخرين. الذين يفعلون هذا من أجل الآخرين بالأكثر يفعلونه من أجل أنفسهم. إن كان الذي في مرتبة عالية هكذا بالنسبة لهم يصرخ بأنه قد خلص بصلواتهم، فكم يليق بهم أن يكونوا هم ودعاء ومتواضعين من جانبهم؟^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثقتة الكاملة في عمل الله لا تدفعه إلى العزلة بل إلى الالتجاء إلى الجماعة كلها لتصلي حتى من أجل الرسول، فيسندوه في خدمته. يلتزم كل عضو أن يصلي لأجل نفسه كما لأجل أخيه، ويطلب صلوات إخوته عنه.

إنه شعور عجيب يجتاز قلب الرسول بولس، فهو مدين لله بعمله معه ومع إخوته، كما هو مدين لشعبه الذي يصلي لأجله ولأجل خدمته. بهذا لا يمكن للكبرياء أن يتسلل إلى قلب الرسول العجيب في نجاحه كما في تواضعه.

٤. افتخاره بهم، وهم به

"لأن فخرنا هو هذا"

شهادة ضميرنا أننا في بساطة وإخلاص الله،

لا في حكمة جسدية،

بل في نعمة الله تصرفنا في العالم،

ولا سيما من نحوكم" [١٢].

ما يعتز به الرسول هو شهادة ضميره الداخلي، لا مديح الناس أو حكمهم عليه. هذا الضمير المستنير بالروح القدس يشهد لبساطته وإخلاصه في سلوكه بالنعمة الإلهية سواء من جهة علاقته

^١ للمؤلف: الحب الرعوي، ص ٩٨-٩٩.

^٢ In 2 Cor. Hom. 2:5.

بالعالم أو بالكنيسة في كورنثوس.

يسلك ببساطة، أي بهدف واضح بلا انحراف، في نقاوة بلا لوم، بنعمة الله التي لا تعرف إلا الاستقامة، وليس حسب الحكمة البشرية التي كثيراً ما تلجأ إلى الخداع والمكر تحت ستار "الحكمة". يعمل بنعمة الله السماوية، فلا يطلب إلا ما هو سماوي، وليس بحكمة بشرية تهتم بما هو زماني وأرضي.

في الرسالة الأولى انتقد الرسول بولس التعاليم التي تقوم على حكمة أرضية بشرية (١ كو ١: ١٧-٢: ١٦)، وها هو يشير إلى ذلك مرة أخرى. إنه يحسب المعلمين بها يمارسون الكرازة بحكمة العالم لأجل نفع مادي أو نوال كرامة زمنية. هذا ما دعى الرسول رفض قبول أي مقابل مادي عن خدمته.

يقصد بالعالم هنا البشرية كلها: اليهود والأمم، فإنه يخلص ويشتفي خلاص كل البشرية وبنيانهم ومجدهم.

❖ الذين يعيشون باستقامة سيرون قوة الله عاملة في حياتهم فيتعزّون^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق بالفضيلة ألا تسعى وراء المجد والكرامة والسلطة، وإن كان الصالحون ينالون هذه في النهاية بطريقة صالحة، إذ هذه الأمور تتبع الفضيلة حتماً. لا توجد فضيلة حقيقية إلا تلك التي تسعى نحو غاية البلوغ إلى الصلاح الحقيقي^٢.

❖ الفضيلة الأفضل هي التي لا ترضي حكماً بشرياً بل ضمير الشخص نفسه^٣.

القديس أغسطينوس

"فإننا لا نكتب إليكم بشيء آخر سوى ما تقرأون أو تعرفون،

وأنا أرجو أنكم ستعرفون إلى النهاية أيضاً" [١٣].

يشير هنا إلى رسالته الأولى التي كتبها إليهم، فقد كتب قبلاً كما يكتب إليهم عن الحق الإلهي الذي يرجو ألا ينحرفوا عنه، بل يتمسكون به حتى النهاية.

إذ هاجمه البعض يقدم الرسول بولس حياته وأفكاره وأعماله كلها تتناغم مع كرازته، وتشهد لصدق

¹ In 2Cor. Hom. 3:1.

² Cizy of Gld 5:12.

³ The City of God, 5:12.

خدمته.

❖ يقول بولس أنه لا يُعلم إلا ما تعلمه بنعمة الله دون أية إضافة من عنده^١.

❖ بالرغم من الاتهامات الموجهة ضده يقول بولس بأنه لا يركز بشيء ويفكر بشيء آخر. فالحقائق نفسها تتكلم وتؤكد ما هو حق^٢.

ثيودورت أسقف قورش

❖ ما يقوله بولس مسنود بأعماله. فإننا خلال الأعمال نتعلم بما يفكر فيه الشخص حقيقة^٣.

القديس أمبروسيوس

❖ لا يفتخر بولس. فإن كل ما يفعله هو أن يكتب حقائق يعرف الكورنثيون أنفسهم أنها صادقة^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"كما عرفتمونا أيضًا بعض المعرفة،

أننا فخركم،

كما أنكم أيضًا فخرنا في يوم الرب يسوع" [١٤].

مع التصاقهم الشديد بالرسول بولس وتعرفهم عليه، تبقى معرفتهم له جزئية. لا يدركون سر حياته الداخلية كما ينبغي. يرى البعض أنه لا يقصد بقوله: "بعض المعرفة" أن معرفتهم عنه ناقصة، وإنما يعني أنه ليس كل الكورنثيين يعرفونه، بل البعض منهم، أما الآخرون فلا يعرفونه، إذ لم ينتفعوا بخدمته وكرازته ورسائله ونصائحه لهم.

"في يوم الرب" العظيم حيث تُعلن أعماق كل إنسان ونياته ومجده الداخلي، ويتقبل المؤمنون شركة المجد مع المسيح، ويفتخر الكورنثيون برسولهم، وهو يفتخر بهم. يفرحون بمجده، ويتהלل بمجدهم في الرب.

معرفتهم للرسول بولس وحياته الداخلية جزئية، ومع هذا فهي كافية أن تكون شهادة حية لصدق رسوليته، تدفعهم للافتخار به، وللتجاوب مع كلمة الله التي يركز بها، فصار يفتخر هو أيضًا بهم. هم يعتزون بإنجيله العملي المتناغم مع كرازته، وهو يعتز بعمل الله فيهم من خلاله، والاثنان يتمتعان

¹ Com. On 2 Cor. 292.

² PG 82:382..

³ CSEL 81:200.

⁴ In 2 Cor. Hom. 3:1.

بأمجادٍ أبدية.

❖ يؤكد بولس بأن افتخاره بطاعة أولاده واضح، وسيكون ذلك لصالحهم في يوم الدينونة^١.

القديس أمبروسيوس

❖ تعرفوننا ليس من خلال اشاعات سمعتموها، وإنما خلال خبرة عملية. أما كلمة "بعض" فيقولها كنوعٍ من التواضع.

❖ يقطع بولس خلال حديثه جذور الحسد من الكورنثيين، إذ يجعلهم شركاء معه في مجد أعماله الصالحة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول بولس بأن الكورنثيين يفهمون جزئيًا فقط، لأنهم لم يكونوا بعد قد رفضوا الاتهامات الباطلة التي وُجهت ضده^٣.

الأب ثيودورت أسقف قورش

٥. شوقه للحضور إليهم

"وبهذه الثقة كنت أشاء أن آتي إليكم أولاً،

لتكون لكم نعمة ثانية" [١٥].

بهذه الثقة أنهم سيفتخرون به وهو بهم في يوم الرب، كان يود أن يزورهم لينالوا بركات أكثر، وذلك كما سبق فأخبرهم في رسالته الأولى (١ كو ١٦: ٥).

كتابته لهم وزيارته القادمة إليهم تزيّدان من تمتعهما بالحياة المطوّية وخبرة النعمة السماوية. بهذا فإنهم يثقون في حكمته سواء إن كتب أو زار أو قام بتأجيل الزيارة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يقصد بكلمة "نعمة" "قرحاً".

❖ "لتكون لكم بهجة ثانية". ستكون البهجة مضاعفة صادرة عند كتابته لهم وعند حضوره إليهم^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ CSEL 81:200-201.

² In 2 Cor. Hom. 3:2.

³ PG 82:382.

⁴ PG 61:444

⁵ In 2 Cor. Hom. 3:2.

"وأن أمر بكم إلى مكثونية،

وآتي أيضاً من مكثونية إليكم،

وأشيع منكم إلى اليهودية" [١٦].

هذه كانت خطته الأولى التي لم يسمح الله بتحقيقها.

❖ يظن البعض أن بولس قال هذا بروح المناضلة، ففي الرسالة الأولى وعد الكورنثيين أنه سيزور المكثونيين أولاً وبعد ذلك كورنثوس. وإذ لم يريدوا الانتظار شرح لهم ما كان في فكره^١.
الأب ثيودورت أسقف قورش

"فإذ أنا عازم على هذا،

ألعي استعملت الخفة؟

أم أعزم على ما أعزم بحسب الجسد،

كي يكون عندي نعم نعم ولا لا" [١٧].

عندما كتب إليهم واضحاً في خطته أن يزورهم لم يكن ذلك عن خفة، أي بدون اعتبارٍ وتفكيرٍ جادٍ، ولا أخذ القرار كرجلٍ جسدي، بل كان كل هدفه روحياً، يمس نموهم الروحي. لم يكن يطلب نفعاً زمنياً، بل تقديم نعمة مضاعفة لهم.

❖ يرفع بولس عنه الاتهام بأنه ليس موضع ثقة، وذلك بإعلانه أنه لم يغير رأيه مستعملاً الخفة. إنما وجدت أسباب قوية دعتة ألا يتم ما سبق أن وضعه في خطته الأصلية.
عندما لا يفعل الإنسان الروحي ما يقصده في فكره أن يفعله، هذا لأن في ذهنه شيء أكثر أهمية يخص خلاص نفس شخصٍ ما.

لم يحقق الرسول خطته الأصلية وذلك لكي ما يصير الكورنثيون - رجالاً ونساءً - في حال أفضل. لقد تأخر في الذهاب عن قصد، لأنه يوجد بعض منهم لم يتطهروا بعد، وهو يترقب حدوث هذا أولاً. هذا تفكير روحي. أما التفكير الجسدي، فهو على النقيض، أن يحدث التغيير بما يناسب الأهواء الشخصية وليس بما فيه من نفع^٢.

أمبروسياستر

❖ ما يقوله هو هكذا: "انه ليس عن خفة أي عن طياشة لم آت إليكم، وإنما لأنني خاضع للروح،

¹ PG 82:382.

² CSEL 81:201-2.

مطيع له.

❖ الإنسان الجسداني الذي يجذب نحو العالم الحاضر ويُؤسر به تمامًا، هو خارج دائرة التأثير الروحي، وله القوة ليذهب في كل موضع ويفعل ما يحلو له. أما خادم الروح فيقوده الروح. فلا يقدر أن يفعل ما يحلو له، بل يعتمد على سلطان الروح. لم يكن بولس قادرًا أن يذهب إلى كورنثوس، لأنه لم تكن إرادة الروح أن يذهب هناك^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لكن أمين هو الله"

إن كلامنا لكم لم يكن نعم ولا" [١٨].

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم^٢ أن قوله "كلامنا" يعني به كرازته وعمله وتحركاته، هذا كلها ليست بقدراته الشخصية، إنما ينسبها لله. لهذا يقول "أمين هو الله". لقد كشف عن رغبته في زيارتهم، لكن تحركاته ليست من عنده، بل هي من الله الذي يستحيل عليه أن يخذع. إذ يضع الرسول أمام عينيه الله الأمين لم يقدم لهم إلا الحق الذي لا يعرف الالتواء، تارة يقول نعم وأخرى لا. وكأن ما قاله قبلاً ولم يحققه لم يكن عن خطأ في فكره، وإنما عن ظروفهم التي استدعت أن يؤجل الزيارة أو عن ظروف تمس خلاص آخرين فشعر بالالتزام ألا يتركهم. خشي الرسول أن يربطوا تأجيل زيارته بكرازته أو إنجيله فيظنوا أنه متقلب الرأي غير ثابت في الفكر والحق.

❖ يقول بولس بأن كرازة الله بواسطته كانت أمينة. أما المتملقون، من الجانب الآخر، فغالبًا ما يفشلوا في الإشارة إلى الأمور الصادقة وذلك لكي لا يعارضوا الناس^٣.

أمبروسياستر

❖ كان يليق ببولس أن يشرح السبب لماذا لم يستطع أن يحفظ وعده، حتى لا يفقد الكورنثيون الثقة في كرازته. في الواقع ما كرز به بولس كان موثوقًا فيه. وعده بأن يذهب إليهم كان من عندياته، ولكن الرسالة التي أعلنها كانت من الله الذي لا يقدر أن يكذب^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

^١ In 2 Cor. Hom. 3:3.

^٢ PG 61:446

^٣ CSEL 81:202.

^٤ In 2 Cor. Hom. 3:3.

"لأن ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم بواسطتنا،

أنا وسلوانس وتيموثاوس،

لم يكن نعم ولا،

بل قد كان فيه نعم" [١٩].

إن ما يكرز به الرسول بولس أو غيره من الرسل والخدام هو شخص ابن الله يسوع المسيح، الذي هو الحق غير الملتوي، فيه "النعم" وليس "لا".

عندما نعترف نحن كبشر أننا نكذب ننطق بالحق، لأننا نقول ما نعرفه، ونحن نعرف أننا نكذب. أما الكلمة الذي هو الله، وهو أعظم منّا، فلن يقدر أن يفعل ذلك. إنه الحق الإلهي الذي يتحدث عن الآب بطريقة فريدة. قوة الكلمة عظيمة، لا يقدر أن يكذب، لأنه لا يوجد فيه نعم ولا، بل نعم نعم ولا لا.

يقول أمبروسياستر: [يليق بالكارزين المتأهلين أن يكونوا واضحين فيما يقولونه فلا ينطقوا بشيء غير نافع. إذ غالبًا ما تميل إرادتنا البشرية في اتجاهات متضاربة، يصر بولس بأنه لا يعمل حسب إرادته، بل حسبما يعرف أنه مفيد. في المسيح قطعًا لا توجد هذه المشكلة، إذ هو دائمًا يريد ما هو نافع. لهذا إرادة المسيح لن تتغير ولن تكون متأرجحة^١.]

❖ لا يمكن أن أقول بشيء غير ما قلته قبلاً. حديثي الآن ليس بشيء وسابقًا بشيء آخر. فإن هذا ليس إيمانًا بل هو ذهن مشتت^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن مهما كانت مواعيد الله،

فهو فيه النعم وفيه الأمين،

لمجد الله بواسطتنا" [٢٠].

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم^٣ أن الوعود تقوم في الله وتتحقق فيه، وليس من إنسان.

الكراسة بالمواعيد الإلهية هي دعوة بقبول شخص المسيح، الذي فيه ننعيم بهذه المواعيد الصادقة والأمنية. فيه نجد الحق والرحمة ويتمجد الله فينا. هو "العهد الجديد" الذي به نتمتع بميثاق المصالحة مع الله والتمتع بحبه أبدًا. وكما يقول الرسول: "قد صار يسوع ضامنًا لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢).

¹ CSEL 81:202-3.

² In 2 Cor. Hom. 3:4.

³ PG 61:447

بقوله "بواسطتنا" يؤكد الرسول أن ما تمتع به أهل كورنثوس من مواعيد إلهية فائقة إنما تحققت في المسيح يسوع، وذلك بواسطة كرازة الرسول بولس وغيره من الرسل. وأن ما آل إلى مجد الله الآب إنما هو خلال الابن الوحيد، وقد كُرز به بواسطة الرسول. بمعنى آخر بواسطة الرسل تمت الكرازة بالمسيح الذي فيه نالت البشرية الوعود الإلهية، وفيه تمجد الآب، فكيف يسلك بعد بخفة أو بغير هدفٍ لائقٍ؟

❖ قَدِّمَتْ كرازة بولس وعودًا بأمورٍ كثيرة، فتحدث عن أننا نقوم إلى الحياة من جديد، ونصعد إلى السماء. وتحدث عن عدم الفساد والمكافآت العظيمة التي تنتظرنا. هذه الوعود لا تتغير، ليست كوعد بولس لهم بأنه قادم إليهم. هذه الوعود دائمًا هي حق^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح،

وقد مسحنا هو الله" [٢١].

في دفاع الرسول بولس عن نفسه أنه لم يتصرف بخفة وجه أنظار القارئ إلى عمل الثالوث القدوس: الآب الذي قدم الوعود الإلهية الفائقة، والابن الوحيد الجنس الذي فيه تتحقق هذه الوعود، وأخيرًا الروح القدس الذي يثبت الشعب مع الرسل في المسيح، حيث ينالون مسحة التقديس والختم الإلهي المقدس لحمايتهم.

يمسح الله مؤمنيه بمسحة روحه القدوس للثبات فيما ينالونه في المسيح يسوع من تحقيق للوعود الإلهية.

يضم الرسول بولس نفسه مع الشعب لكي يتمتع الكل بمسحة الروح القدس التي يهبها الله لمؤمنيه كي يثبتوا في المسيح، الابن الوحيد الجنس، ويتمتعوا بقوة الإلهية، وينالوا روح النصر على العدو إبليس.

❖ يقول بولس أن المسيح يثبت الأمم في الإيمان الموعود به لليهود، إذ جعلنا واحدًا^٢.

أمبروسياستر

❖ إن كان الأصل والينبوع قد تأسسا بطريقة لائقة، فكيف يمكننا ألا نتمتع بالثمار النابعة منهما؟

¹ In 2 Cor. Hom. 3:4.

² CSEL 81:203-4.

الواحد حتمًا يقود إلى الآخر^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بعد هذه الكلمات، بعد جحد الشيطان وإقامة عهدٍ مع المسيح، فإنه بقدر ما قد صرت له تمامًا، ولم يعد لك شيء مشترك مع ذاك الشرير، يأمرُك أن تُختم (تُمسح) ويوضع على جبهتك علامة الصليب.

لا يخجل ذاك الوحش الكاسر. فإنه إذ يسمع هذه الكلمات يزداد وحشية بالأكثر، كما نتوقع، ويود أن يهاجمك في مشهدٍ. لذلك فإن الله يمسح ملامحك، ويختم عليها علامة الصليب. بهذه الطريقة يكبح الله جنون الشرير، فلا يعود يتجاسر إبليس أن يتطلع إلى هذا المشهد. فيكون كمن يرى أشعة الشمس فيثب بعيدًا، إذ تُصاب عيناه بالعمى عندما يتطلع إلى وجهك فيهرب.

خلال الميرون يختم الصليب عليك... ويلزمك أن تعرف أنه ليس بإنسان بل الله نفسه هو الذي يمسحك بيد الكاهن. اصغ إلى القديس بولس وهو يقول: "الله هو الذي يثبتنا نحن وأنتم في المسيح، وقد مسحنا"^٢[٢١].

القديس يوحنا الذهبي الفم

المعمودية ختم^٣ Sphragis

"الذي ختمنا أيضًا،

وأعطى عربون الروح في قلوبنا"^٢[٢٢].

كان الختان في العهد القديم أشبه بختم مطبوع على الجسد، بدونه يفقد الإنسان انتسابه لشعب الله، ويُحسب خائنًا للعهد الإلهي، ويسقط تحت الهلاك، لأنه "ختم لبز الإيمان" (كو ٢: ١١-١٢). أما في العهد الجديد فدُعيت المعمودية ختمًا Sphragis به يحمل الإنسان علامة العضوية الكنسية الداخلية والاتحاد مع السيد المسيح، وقبول ملكوت الله. وترجع هذه التسمية "ختم" ربما إلى الرسول بولس القائل: "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضًا وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢٢-٢١). "الذي فيه أيضًا إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣).

^١ In 2 Cor. Hom. 3:4.

^٢ Baptismal Instructions 11:27.

^٣ المؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، ١٩٨١، باب ٢: ٥.

❖ المعمودية ختم مبارك^١.

القديس إكليمنضس الإسكندري

❖ أثناء العماد، عندما تأتي إلى حضرة الأساقفة أو الكهنة أو الشماسة... اقترب إلى خادم العماد ولا تفكر في الوجه المنظور، بل تذكر الروح القدس، هذا الذي نتكلم عنه الآن، لأنه حاضر ليختم نفسك.

إنه سيهبك الختم الذي يرعب الأرواح الشريرة، وهو ختم سماوي مقدس كما هو مكتوب: "الذي فيه أيضاً (إذ آمنتم) ختمتم بروح الموعد القدوس"^٢.

❖ عظيمة هي المعمودية المعدة فداء عن المأسورين... وختماً مقدساً لا ينفك^٣.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ المعمودية هي شركة في اللوغوس، هلاك للخطيئة، مركبة تحملنا إلى الله، مفتاح ملكوت السموات، ثوب عدم الفساد، حميم الميلاد الجديد، ختم^٤.

القديس غريغوريوس النزينزي

هكذا تحدث آباء كثيرون عن المعمودية كختم للنفس، مثل القديس إكليمنضس الروماني^٥ وهرماس^٦ والعلامة ترتليان^٧ والقديس يوحنا الذهبي الفم^٨.

❖ اقترب وتقبل الختم السرائري لكي يعرفك سيدك، وتُحسب بين القديسين وقطيع المسيح المعروف، فتوضع عن يمينه^٩.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ العلامة التي تتسمون بها الآن إنما هي علامة أنكم قد صرتم قطيع المسيح^{١٠}.

الأب ثيودور أسقف المصيصة

¹ Kay's Writings of Clement of Alexandria, London 1835, p. 439.

² Cat. Lect. 17:35.

³ Procortechesis 16.

⁴ PG 36:361 C.

⁵ Epis. 7.6.

⁶ Sheph. Sim 9:6:3.

⁷ De pudic 9:9.

⁸ In 2 Cor. hom 3:7.

⁹ PG 33:372.

¹⁰ Cat. Hom 13:17.

❖ (الختم) هو ضمان للحفظ وعلامة الملكية.

❖ إن كنتم تحصنون أنفسكم بالختم، فتؤسم نفوسكم وأجسادكم بالزيت (المسحة) والروح، ماذا يُمكن أن يحدث لكم؟! القطيع الموسوم بالعلامة لا يُسلب بمكرٍ بسهولة، أما القطيع الذي لا يحمل العلامة فهو غنيمة للصّوص...
يمكنكم أيضًا أن تموتوا في سلام.
لا تخافوا من أن تُحرموا من عون الله الذي يهبه لكم لأجل خلاصكم^١.

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ النفس التي لم تستتر ولا تحلت بنعمة الميلاد الجديد، لا أعرف إن كانت الملائكة تتقبلها بعد تركها الجسد!
حقًا انهم لا يستطيعون أن يتقبلوها مادامت لا تحمل الختم *Asphragiston*، ولا أية علامة خاصة بمالكها.

حقًا أنها تصير محمولة في الهواء وتتجول بغير راحة دون أن يتطلع إليها أحد، إذ هي بلا مالك.
إنها تطلب الراحة فلا تجدها، تصرخ باطلاً، وتندم بلا فائدة^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ الآن يُنقش اسمك وتُدعى للدخول إلى المعسكر (الروحي).

❖ يأتي كل واحدٍ منكم ويقدم نفسه أمام الله في حضرة جيوش الملائكة غير المحصية، فيضع الروح القدس علامة على نفوسكم. بهذا تُسجل أنفسكم في جيش الملك العظيم^٣.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ تطبع العلامة التي الآن هي علامة أنك قد صرت من قطيع المسيح، جندي ملك السماوات...
الجندي الذي يُختار تفحص نفسيته وصحة جسده، ثم يتقبل علامة علي يده تُظهر الملك الذي يخدمه.

والآن قد أُخذت لملكوت السماوات ويمكن التعرف عليك، إن فحصك أحد يجده جنديًا لدى ملك

¹ PG 36:364; 36:377 A.

² PG 46:424 C.

³ PG 33:333 A, 428 A

السماء!^١

الأب ثيودور أسقف المصيصة

❖ المعمودية هي ختم الله، وكما خُلِق الإنسان الأول على صورة الله ومثاله، هكذا الذي يتبع الروح القدس يُختم منه ويأخذ صورة الخالق.^٢

القديس إيرونيموس

❖ الذين يستنبطون ملامح المسيح... فإنه حتمًا يُطبع على كل واحد منهم شكل الكلمة وصورته ولامحه، حتى يُحسب المسيح مولودًا في كل واحدٍ منهم بفعل الروح القدس... ويصير الذين يتعمدون مسحاء آخرين.^٣

الأب ميثوديوس

"ولكني أستشهد الله على نفسي

إني إشفافًا عليكم لم آتِ إلى كورنثوس" [٢٣].

يدعو الرسول الله كشاهدٍ على كلماته، إذ وُجد بينهم مقاومون يشككون في شخصيته وكلماته وإمكانياته.

❖ هنا يتحدث بولس مع أناسٍ من الواضح أنه يريدون الإصلاح ولكنهم لم يبذلوا بعد جهدًا في ذلك. إنه إشفافًا بهم ذهب إلى موضع آخر في ذلك الحين حتى يضبطوا أنفسهم معًا. لم يرد بولس منهم أن يظنوا أنه يحتقرهم كمن هم غير أهلٍ (لزيارته). فإنهم ما أن يحققوا هذا ويصلحوا طرقهم حتى يأتي بولس لزيارتهم.^٤

أمبروسياستر

❖ مكث بولس بعيدًا عن كورنثوس على الأقل إلى حين، لأنه إن كان قد فعل هذا كنوعٍ من التأديب، فإنه ما كان يريد هو ولا هم يريدون هذا.^٥

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ليس أننا نسود على إيمانكم،

¹ Cat. hom 13:17.

² Convivum virginum. Ench. Patr n. 613.

³ على رسالة أفسس ١، ١٣.

⁴ CSEL 81:204.

⁵ In 2 Cor. Hom. 4:1.

بل نحن مؤازرون لسروركم،

لأنكم بالإيمان تثبتون" [٢٤].

يكشف الرسول هنا عن دوره وهو أنه ليس سيّدًا يعلن أوامر ويسود على إيمان الآخرين، إنما كإِ محبٍ يود أن يسندهم ليملاً حياتهم بالسرور والبهجة. إنه لا يود استخدام السلطة والتأديب، بل بروح التشجيع يهبهم فرحًا وسعادة. هذا ما دفعه إلى تأجيل زيارته لهم. إنهم بالإيمان الذي كرّز به بولس الرسول أو غيره من الرسل يثبتون، لذا يليق بهم ألا يعتمدوا على إنسانٍ، مهما كان مركزه أو دوره في الكنيسة، بل على الله موضوع إيمانهم.

❖ يقول بولس هذا لأن الإيمان لا يكون قهراً بل موضوع إرادة حرة^١.

أمبروسياستر

❖ يضيف بولس ذلك لأن سلطانه كان واضحاً، الأمر الذي كان الكورنثيون يخشونه^٢.

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ يقول بولس أنه لم يجد خطأ في إيمانهم. على أي الأحوال توجد أمور أخرى يجب أن توضع في نصابها، وهو مهتم بها^٣.

الأب ثيودور أسقف المصيصة

❖ "ليس أننا نسود على إيمانكم" أيها الأحباء، ولا نعطي أمراً بهذه الأشياء كسادة وأرياب. فإننا معينون للتعليم بالكلمة لا لنوال سلطةٍ أو سلطانٍ مطلقاً^٤.

❖ يتوقف قبول العلاج على رغبة المريض لا الطبيب. هذا ما أدركه الرجل العجيب (بولس) عندما قال للكورنثيين: "ليس أننا نسود على إيمانكم، بل نحن مؤازرون لسروركم" [٢٤]. لأن المسيحيين، دون سواهم، لا يُسمح لهم أن يعالجوا الخطاة بغير إرادتهم. عندما يقبض قضاة العالم على فعلة الإثم بسلطة القانون يستعملون سلطاناً عظيماً، ويمنعونهم من مواصلة شرورهم ولو بالرغم من إرادتهم. أما في حالتنا، فإنه يجب إصلاح الخاطئ لا بالقهر بل بالتواضع^٥.

¹ CSEL 81:204.

² PG 82:386.

³ Pauline Commentary from the Greece Church.

⁴ In Ephes., hom 11.

⁵ On Priesthood, book 2:3.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي ٢ كو ١

حبك يلهب قلبي بمحبة البشرية!

❖ حبك عجيب يا أيها الحب الفائق السرمدي!

أراك في حبك تُسر بالآلام من أجلّي.

فيتسع قلبي بالحب لأسر بالآلام.

لست مستحقاً أن أتألم من أجلك،

ومن أجل أولادك الذين تحبهم!

❖ فيك نتحد جميعاً معاً!

أتمتع بقوة صلواتهم عني،

ولا أكف عن الصلاة من أجلهم.

❖ أفتخر بهم من أجل أنهم صاروا عجباً!

وهم يعتزون بي،

إذ نشترك معاً في نعمتك.

❖ اشتهى رسولك بولس أن يفتقد كنيسة كورنثوس.

بقلبه الناري اشتهى أن يفتقد كل إنسان!

إن سقط أحد يحسب كأن المدينة كلها قد ضاعت،

وإن تاب تتهلل الكنيسة كلها مع السمائيين من أجله.

❖ أشواقه هي ثمرة عمل روحك العجيب!

حقاً، يا لعذوية الحب النابع عنك!

الباب الثاني

مفهوم الخدمة

ص ٢ - ص ٥

مفهوم الخدمة

قدم لنا الرسول في هذه الأصحاحات المفهوم الإنجيلي للخدمة وطبيعتها:

أ. **يطلب توبة الخطاة لا حزنهم (ص ٢).** لقد أجل الرسول زيارته لهم لكي لا يراهم حزانى. كما أظهر الحب لمن سبق فأدّبه (٢: ٥-١١). كان في رسالته الأولى حازماً بالنسبة لمن أراد الزواج بامرأة أبيه. الآن إذ قدم الشاب توبة صادقة بعد عزله من الكنيسة طلب الرسول عودته بمحبة شديدة حتى لا يبتلعه الحزن المفرط (٢: ٧). اتسم بحزمه الشديد ضد الخطية، وحبه الفائق للتائبين مهما كانت خطاياهم. لقد أظهر رائحة المسيح للجميع (٢: ١٢-١٧).

ب. **يقدم خدمة العهد الجديد (ص ٣).** خدمته ليست شكليات، يقدمها معلم لتلاميذه، إنما هي خدمة حب. يحمل تلاميذه في قلبه، فيصرون رسالته المقروءة من جميع الناس. يقرأ الكل قلب بولس، فيجدون النفوس التي خدمها المسيح منقوشة بالروح القدس الحي في أعماقه! لا فضل للرسول فيها، إنما هي انعكاس لمجد الله الذي يسكب بره في مجدٍ على مخدميه. خدمة العهد الجديد هي دخول في المجد الأبدي، ولا وجه للمقارنة بين بهاء مجد برّ المسيح ومجد وجه موسى الزائل.

❖ **خدمة الروح لا الحرف (٣: ١-٣).** لم نعد تحت ظلال الناموس ولا نترقب الرموز والنبوات (٣: ١٨).

❖ **خدمة مجيدة (٣: ٤-١١).**

❖ **خدمة بلا برقع (٣: ١٢-١٧).**

ج. **خدمة الرجاء بروح القوة بلا فشل (ص ٤):** "كما رُحمنّا لا نفشل" (٤: ١). يقدم خبرة مراحم الله معه، فقد كان قبلاً أعمى الذهن، فأناره إنجيل مجد المسيح. هكذا لا يقدم الرسول نفسه بل نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (٤: ٦).

إنها خدمة الضيق حتى الموت لكن بلا يأس: "حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا". (٤: ١٠)

يقدم للموتى **خدمة القيامة المستمرة التي اختبرها ولا يزال يذوقها كل يوم.** "وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً". (٤: ١٦)

د. **خدمة سماوية (٥: ١-١٠):** "لنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيدٍ، أبدي".

(٥: ١)

هـ. خدمة تجديد خلال الإماتة: "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا". (٥: ١٧)

و. خدمة مصالحة: "إذا نسعى كسفراء عن المسيح، كأَن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوًا مع الله". (٥: ٢٠)

الأصحاح الثاني

الرعاية والإصلاح

في هذا الأصحاح يفتح الرسول قلبه أمام أهل كورنثوس ليدركوا مدى حبه لهم [١-٤]. قدم أحد أسباب تأجيل زيارته لهم وهو أنه قد لمس حزن الجميع على الشخص الساقط في الزنا. في محبته لم يرد أن يزورهم في هذا الجو المحزن، لكن إذ تاب الرجل بفرح الكل به ويحضر هو ليشرك فرحهم بتوبته.

يعتصر قلب الرسول حقًا، ويطلب أن تشاركه كل الكنيسة هذه المشاعر فينتوسل إليهم أن يمكّنوا له المحبة حتى يدرك الساقط أن حزنهم لم يكن نابغًا عن انتقام أو كراهية بل هو حب لخلاص نفسه [١١-٥].

ها هو قادم ليبشرهم بأعمال الله العجيبة معه، فقد فُتح أمامه باب للعمل الكرازي، وفاحت رائحة المسيح الذكية لخلاص الكثيرين [١٢-١٧].

١. فرحي هو فرح جميعكم ٤-١.
٢. شفاعته في الساقط النائب ١١-٥.
٣. انفتح لي باب في الرب ١٧-١٢.

١. فرحي هو فرح جميعكم

شهوة قلب الرسول ألا يزورهم وقت حزنهم، لأن حزنهم هو حزن له، وفرحهم هو فرح له. وأيضًا ما يحل به من فرح أو حزن إنما يحل بجميعهم. لقد أحزنهم حين وبخهم على تهاونهم مع القائد الساقط في الزنا، وإذ استجابوا إلى طلبته وحزنوا يود أن يحضر إليهم بعد أن يفرحوا بتوبته، ويتهللوا بعمل الله معه، فتصير الكنيسة أيقونة السماء المتهلهلة برجوع الخطاة.

في أبوته يعلن عن عجزه عن الحضور إليهم بينما هم وهو أيضًا في حزن، إذ يقول:

"ولكني جزمت بهذا في نفسي،

أن لا آتي إليكم أيضًا في حزن" [١].

ولعل الرسول هنا يكشف عن مشاعر حبه، فقد سجل رسالته الأولى في الكثير من الحزم مما سبب حزنًا ولو لقليلين، وربما تعثر بعض الضعفاء فيه بسبب حزمه. الآن يود أن يكشف عن حنوه

الأبوي ولطفه حتى إن وبخ وأدب، وأنه لا يحتمل أن يراهم في حزنٍ.

❖ كان بولس يخشى لئلا إذ ينتهر قلة يسبب ألماً لكثيرين، لأن كل أعضاء الجسم تتألم مع ألم واحدٍ منها^١.

أمبروسياستر

"لأنه إن كنت أحزنكم أنا،

فمن هو الذي يفرحني إلا الذي أحزنته؟!" [٢]

لم يرد أن يزورهم قبل التوبة لئلا يستخدم سلطانه الرسولي لتأديب العصاة مما يسبب حزنًا جماعيًا، بينما يود أن يسود الكنيسة روح التعزيات والفرح.

❖ اترك صلواتك وانتهره، فإنك تصلح من أمره وأنت أيضًا تنتفع. هكذا نحن نساعد الكل لكي يخلصوا ويبلغوا ملكوت السماوات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح^٢.

❖ الاهتمام الخاطئ في استرضاء الغير فحسب هو خيانة ضد خلاص الراعي وخلصهم^٣.

❖ إني أفضل أن أكون في أعينكم إنسانًا متكبرًا لا يمكن التفاهم معه عن أن أترككم تفعلون ما لا يرضي الله^٤.

❖ إني ملتزم بوعظكم وعلى وجه الخصوص استخدام التوبيخ معكم. فكما تذيب النار الشمع هكذا يلين الخوف من العقوبات قلوب الخطاة^٥.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لأمر مخجل أن المرضى جسديًا يثقون ثقة عظيمة في الأطباء حتى إذا قطعوا أو حرقوا أو سببوا آلامًا سبب أدويتهم المرة، ويتطلعون إلى هذه الأمور كإحسانات، بينما لا نحمل ذات الاتجاه نحو أطباء نفوسنا عندما يقدمون صوتًا لخلاصنا بالتأديب الشاق. على أي الأحوال يقول الرسول: "لأنه إن كنت أحزنكم أنا، فمن هو الذي يفرحني إلا الذي أحزنته؟!" [٢]... هذا يليق بمن ينظر

¹ CSEL 81:205.

² In Acts, homily 24..

³ In Joan. PG 59:115.

⁴ In Hebrews. PG 62:46.

^٥ الحب الرعوي، ص ٦١٦.

إلى النهاية، فيحسب ذلك الذي يسبب لنا ألمًا حسب الرب مُحسنًا^١.

القديس باسيليوس الكبير

سبق فأعلن الرسول بولس في رسالته الأولى عن ضرورة حزن الكنيسة من أجل الخطاة. تظل الكنيسة، مع رأسها ربنا يسوع، في حزنٍ حتى يعود الخطاة إلى إلههم ويخضعوا للآب. ويعلق العلامة أوريجينوس على الكلمات، "وأقول لكم إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي" (مت ٢٦: ٢٩)، بقوله إن الخمر في الكتاب المقدس يرمز إلى الفرح الروحي. لقد وعد الله شعبه أنه سوف يبارك في خمرهم، أي سيمنحهم وفرة من الفرح الروحي. لهذا يمنع الكهنة من شرب الخمر عند دخولهم الهيكل، إذ يريدون أن يكونوا في حزنٍ، بينما تُقدم القرايين عن الخطاة. فإذا تمت مصالحة الخطاة مع الله، عندئذٍ يكتمل فرحهم. يعتقد أوريجينوس أن المسيح نفسه مع قديسيه في انتظار توبة الخطاة، ففرحهم إداً لا يزال غير كاملٍ.

❖ يليق بنا ألا نظن أن بولس يحزن من أجل الخطاة وبيكي لتجاوزاتهم، بينما يكف المسيح عن البكاء، حين يدنو من الآب، ويقف عند المذبح ليقدم ذبيحة التكفير عتًا. هذا عدم شرب خمر الفرح "حين يصعد إلى المذبح"، إذ أنه لا يزال يحمل بعد مرارة خطايانا. لذلك فهو غير راغب أن يشرب وحده من الخمر في ملكوت أبيه، بل ينتظرنا، وكما قال: "حتى أشربه معكم". فنحن إداً نؤخر فرحته بالتهاون في حياتنا^٢.

العلامة أوريجينوس

"وكتبت لكم هذا عينه،

حتى إذا جئت لا يكون لي حزن من الذين كان يجب أن أفرح بهم،

واثقًا بجميعكم أن فرحي هو فرح جميعكم" [٣].

كأنه يقول: "أنا أعرف تمامًا أنكم تطلبون مسرتي، هذه التي تتحقق بقداستكم. وإذ تنهال نفسي بكم تنهالون أنتم أيضًا، لأن فرحي هو فرح جميعكم. إنني لا أستطيع أن أصمت على الخطية والعصيان، وفي نفس الوقت ملتزم أن آتي بروح الوداعة وأترفق بكل التائبين". إنه يود أن يكون ينبوع فرح لكل ما استطاع.

❖ لقد قال بولس أنه يُسر بحزنهم. ربما يبدو هذا عجرفة وعنفًا، فلكي يهدئ من الصدمة أضاف

¹ The Long Rules, 52.

² Homilies on Leviticus, 7:2.

هذا. لقد عرف أنه متى كان سعيدًا سيكونون هم سعداء؛ وإن كان حزينًا يصيرون هم أيضًا حزانى... فهو يعني: إنني لم آت إليكم ليس لأنني أشعر بكراهية أو بغضة بل بالأحرى أشعر بحبٍ عظيم^١.

❖ يظهر بولس هنا أنه ليس أقل متأثرًا من أولئك الذين أخطأوا، بل هو متأثر أكثر منهم. بالكاد يستطيع أن يحتمل الألم الذي سببه الكورنثيون له^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة،

لا لكي تحزنوا،

بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي،

ولا سيما من نحوكم" [٤].

يكشف هذا القول عن أن المقاومين للرسول قد شوهوا صورته تمامًا بأنه رجل عنيف ومستبد، يُسر بجراحات الآخرين ومراريتهم. ويبرر الرسول نفسه من هذا الاتهام بتأكيد التكلفة التي دفعها وهو يكتب الرسالة الأولى الحازمة وهي **الدموع الكثيرة والحزن الشديد وكآبة القلب**! دوره كرسول الزمه بالكتابة، لكنه سجلها بتنهيدات قلبه الداخلية ومرارة نفسه ودموعه الغزيرة.

❖ من الذي يكتب في القلوب؟ الله هو الذي يكتب بإصبعه في كل الضمائر الناموس الطبيعي الذي أعطاه للجنس البشري. فيه نبدأ ونأخذ بذور الحق للدخول به إلى العمق. هذه البذور التي إن اعتنينا بزراعتها تأتي فينا بثمارٍ جيدة بالمسيح يسوع^٣.

العلامة أوريجينوس

❖ لنحزن في أذهاننا ليس من أجل تلك الأمور التي للترف التي يحزن عليها الملوك، وإنما من أجل تلك التي لنا فيها نفع عظيم. فإن "الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاصٍ بلا ندامة" (٢ كو ٧: ١٠).

لنحزن على أمور كهذه، لأجل هذه الأمور نتألم، من أجل هذه الأمور يُنخس قلبنا.

هكذا حزن بولس على الخطاة، وهكذا بكى: "من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة".

¹ In 2 Cor. Hom. 4:2.

² In 2 Cor. Hom. 4:3.

³ In Num. Hom 10:2.

فإذ لم يجد علة ليحزن على نفسه فعل ذلك لحساب الآخرين، أو بالأحرى حسب هذه الأمور خاصة به، على الأقل حتى ينتهي الحزن.

آخرون تعثروا، وهو احترق؛ آخرون كانوا ضعفاء، وهو كان ضعيفاً. مثل هذا الحزن صالح يفوق كل فرح عالمي.

إنني أفضل ذاك الذي يحزن هكذا عن كل البشر، بل بالأحرى يعلن الرب نفسه أن الذين يحزنون مطويون، هؤلاء الذين يتعاطفون مع الآخرين.

لست أعجب من هذا ففي اخطاره يتعرض للموت يومياً، ولا يزال هذا يأسرني. فإن هذا يصدر عن نفسٍ مكرسةٍ لله، مملوءة حنواً صادراً عن حب يطلبه المسيح نفسه، به حب أخوي وأبوي، أو بالأحرى، ما هو أعظم من هذا. هكذا يليق بنا أن نحزن، وهكذا ننتحب، ونسكب دموعاً كهذه، إذ تحمل هذه بهجة عظيمة. إن حباً كهذا هو أساس للفرح^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. شفاعته في الساقط التائب

عالج الرسول بولس موضوع قبول هذا الساقط التائب بفكرٍ إنجيليٍّ روحيٍّ حي. بدأ بالحديث أنه وإن حزن عليه بسبب سقوطه، فإن الجماعة ككل حزنت عليه. حزنه يعتبر جزئياً بالنسبة لحزن الكنيسة كلها عليه. فإن كان الرسول قد حزن فليس لأنه فوق الجماعة، بل كواحدٍ منهم يشاركهم حزنهم عليه. أما من جهته هو فإنه لا يريد أن يثقل عليهم بعدما تحركوا كجماعة في حزنٍ عليه، إذ حان الوقت ليفرحوا بتوبته، ولا يعيشوا بعد في مرارة.

"ولكن إن كان أحد قد أحزن،

فإنه لم يُحزني،

بل أحزن جميعكم بعض الحزن لكي لا أثقل" [٥].

يرى أمبروسياستر أنه يقصد بالجميع هنا القديسين من أهل كورنثوس الذين يتألمون بسبب ارتكاب أحدٍ ما خطية. فالكنيسة، رعاة ورعية، لن تستريح متى أخطأ شخص واحد.

❖ إذ وُضع العالم بين يديه لم يهتم بالأمم ككلٍ فحسب، بل وبالأفراد. فبيعت برسالةٍ لصالح أنسيْمُس وأخرى من أجل الشخص الزاني من أهل كورنثوس... ناظرًا إليه كإنسانٍ له تقديره في عيني الله،

¹ In Philip., hom. 15.

فمن أجله لم يضمن الآب عليه بابنه الوحيد.

لا تقل هذا عبد هارب، أو ذاك لص، أو قاتل، أو إنسان مثقل بخطايا غير محدودة، أو متسول أو حقير... بل تأمل أنه لأجله مات المسيح. أما يكفي هذا ليكون أساساً لنعطيه كل اهتمام؟!^١

❖ كان كل الكورنثيين يشاركون بولس غضبه وسخطه على الإنسان الذي ارتكب الزنا. بقوله هذا يُهدأ من غضبهم ضد بولس بإعلانه أنهم هم أيضاً عانوا من ذات سخطه.

❖ لاحظوا أن بولس لم يعد يشير إلى الجريمة في أي موضع، لأن الوقت قد حان للمغفرة.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين" [٦].

لقد تواضع الساقط وقدم توبة، وأطاعت الجماعة وقامت بتأديبه. هذا يكفي له ولهم. في أبوته الحانية قدم الرسول شفاعَةً وتوسلاً من أجل هذا الساقط التائب أمام الكنيسة في كورنثوس.

❖ يشير بولس إلى غير الكورنثيين، إذ تحولوا جميعاً إلى ضد هذا الرجل بمجرد أن طلب منهم ذلك.^٣

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ تقدم الحياة الجماعية بركات أكثر من أن يُعلن عنها بالكامل وبسهولة.

إنها أكثر فائدة من حياة الوحدة وذلك من أجل الحفاظ على الأمور الصالحة التي يهبها الله لنا، ومن أجل المكافأة عن هجمات العدو الخارجية...

فبالنسبة للخاطي الانسحاب من الخطية أسهل بكثير إن خشي عار توجيه اللوم إليه من كثيرين يعملون معاً. حقاً ينطبق القول: "مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين." [٦]. وبالنسبة للإنسان التقى، يجد كفاية عظيمة وكاملة في تقدير الجماعة وتذكية سلوكه.^٤

القديس باسيليوس الكبير

"حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه،

لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط" [٧].

^١ الحب الرعوي، ص ٦٧٨.

^٢ In 2 Cor. Hom. 4:4.

^٣ PG 82:387.

^٤ The Long Rules, 7.

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على تعبير "تسامحون بلطف" *graciously* وتعزونه" قائلاً: [إن ما يقوله هو أنه ليس لأنه يستحق ذلك (تسامحونه)، ولا لأنه أظهر بوضوح ندامة كافية وإنما لأنه ضعيف، من أجل هذا أسأل... لئلا يئس¹.]

نال ما فيه الكفاية وبلغ التأديب غايته، وصار الأمر في غاية الخطورة، فإن لم يجد التائب أحضان الكنيسة الحانية يستعبده اليأس وتهلك نفسه. كما كانوا ملزمين بتأديبه بالعزل الآن ملزمون بتمكين المحبة له وتجديدها لكي تتهلل نفسه بالخلاص.

❖ على أي الأحوال، تذكر هذا، إن صرت كسلاناً وغير مكثرٍ ستمسك بك الخطية في وقتٍ أو آخر. لهذا اظهر اهتماماً، إن لم يكن من أجل أخيك فعلى الأقل من أجل نفسك. قاوم المرض، تغلب على الفساد، اقطع انتشار البلاء السرطاني.

يتحدث بولس عن هذه الأشياء وعن أكثر من هذا. إذ أمر المسيحيين في كورنثوس أن يسلموا الزاني بينهم للشيطان، عاد بعد ذلك يقول: "لقد تغير الزاني". صار إلى حالٍ أفضل "مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين... حتى تُمكنوا له المحبة" [٦-٨].

فمع أن بولس جعله عدوً عاماً، وخصماً للكل، واستعبده عن الجمهور، وقطعه من الجسم. انظروا كيف أظهر اهتماماً لكي يربطه من جديد برباط لا ينحل، ويضمّه إلى الكنيسة. إذ لم يقل مجرد "حبوه" بل "أعيدوا تثبيت المحبة له".

بمعنى آخر: اعلنوا صداقتكم إنها صادقة وثابتة ومملوءة غيرة ومتقدة ونارية. قدموا محبتكم بنفس القوة التي للكراهية (للخطية) السابقة. ماذا حدث؟ اخبرني! ألم تسلمه للشيطان؟ يقول: "نعم، لكن ليس ليبقى في يدي الشيطان، بل لكي يتخلص سريعاً من سلطانه الطاعي".

لاحظوا باهتمام كيف أنه لنفس الأمر كما قلت يخشى بولس من الإحباط كسلاح قوي للشيطان. يقول: "مكنوا له المحبة"، ويضيف السبب: "لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط" [٧].²

❖ أعتقد أن الذي سقط في الخطيئة الخطيرة في كورنثوس، قد استأهل الرحمة. إذ عندما وجه إليه اللوم، بل وطُرد من الكنيسة، لم يكره من اتهمه، بل تقبل النقد بصبرٍ، وتحمله بثباتٍ وجلدٍ. وفي اعتقادي أن الأمر انتهى به إلى محبة أعظم لبولس ولمن وجهوا إليه اللوم طاعة لأحكام بولس.

¹ PG 61: 459

² On Repentance and Almsgiving 1:3:22.

لذلك سحب بولس اتهامه، وحكم بإعادته إلى الكنيسة^١.

العلامة أوريجينوس

- ❖ لم يعد بعد بولس يأمر وإنما يتوسل، ليس كمعلم، بل كمن هو مساوٍ لهم. يضع الكورنثيين على كرسي الحكم ويقف هو في مركز المدافع، سائلاً إياهم أن يمكّنوا له المحبة^٢.
- ❖ يسأل بولس الكورنثيين ليس فقط أن يكفّوا عن لومه، وإنما أن يستعيدوا الرجل إلى مركزه الأول، لأن معاقبة الإنسان دون معالجته لا يعني شيئاً.
- ❖ لاحظوا كيف يحفظ بولس الرجل نفسه في تواضع حتى لا يصير إلى حال أردأ نتيجة العفو عنه. فإنه وإن كان قد اعترف وتاب، فقد أظهر بولس بوضوح أنه نال المغفرة لا بتوبته قدر ما نالها خلال عطية الله المجانية^٣.
- ❖ كان التدقيق الشديد مطلوباً في هذه المواقف أيضاً حتى لا يصير ما هو نافع سبباً لخسارة أعظم. فمهما ارتكب ذاك من أخطاء بعد قطعه، ينبغي على الطبيب الذي يُحسن استخدام مبضعه في علاج مريضه أن يشترك معه في العواقب^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ الشخص الذي يُبتلع في حزنٍ مفرطٍ يعود إلى ارتكاب الخطايا في يأس. التوبة الصادقة، من الجانب الآخر، هي البعد عن الخطية. إن تاب هذا الشخص يؤكد أنه حزين عما يفعله^٥.
- ❖ طلب بولس الآن أن يوحّدوا العضو في الجسم، ويردوا الحمل إلى القطيع، ويظهروا حبهم وحنوهم الكلي الاخلاص^٦.

الأب ثيودورت أسقف قورش

- ❖ بهذه الطريقة تؤدب كلمات بولس الرجل الذي انتهك السرير الزوجي لأبيه مادام غير مدرك لخطيته. ولكن إذ كان لدواء التصحيح فاعليته بدأ يهبه راحة، كمن قد صار مطوّباً بحزنه. وكما

¹ In Psalmum 37 Homilia 1:1 PG 12:1370.

² In 2 Cor. Hom. 4:4.

³ In 2 Cor. Hom. 4:4.

⁴ On Priesthood, book 3:17.

⁵ CSEL 81:207.

⁶ PG 82:387.

يقول "لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط". هكذا ليتنا نحن أيضًا نفكر في هذا عندما نحسب أن التطويب أمامنا، فإنه ليس بدون نفع للحياة الفاضلة، متطلعين إلى أن الطبيعة البشرية إلى حد ما مرتبطة بالخطية والعلاج لها يظهر خلال حزن التوبة^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"لذلك أطلب أن تُمكنوا له المحبة" [٨].

لم يتشكك الرسول في محبتهم للخاطي، لكن الموقف حساس للغاية، ويحتاج هذا التائب إلى فيض من الحب وتأكيدات لنفسه إن الكنيسة قد نست خطاه وأعادته إلى مركزه الأول.

❖ بولس نفسه الذي كان قد طرده من بينهم كأنه أحد الأوبئة، والذي أوصد في وجهه كل الأبواب، وأسلمه إلى حكومة الشيطان، وأعلن له مثل هذا القصاص، لما رأى أن المسكين غرق في الألم، متأسفًا على خطيئته، ومغيرًا سلوكه، وجه إلى الكورنثيين تعليمات مضادة للتعليمات الأولى... وأنتِ تدركين الآن معي أننا حين نغتم فوق ما يجب نعمل لحساب إبليس. كما تدرकिन حيلة الشيطان، وهي أن يدفعنا إلى التطرف. بهذا نحول الدواء الذي يخلصنا إلى سم قاتل. فالتطرف هو سُم فعلي يجعلنا في يدي الشيطان^٢.

❖ وكما ينوح الخاطئ على خطاياها، هكذا بكى بولس على الرجل الذي ارتكب الزنا، مؤكدًا له: "لذلك أطلب أن تُمكنوا له المحبة" (٢ كو ٢: ٨). وحتى حين حرّمه فعل هذا آسفًا بدموع: "لأنني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة، لا لكي تحزنوا، بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم" (٢ كو ٢: ٤). وأيضًا: "فصرت لليهود كيهودي لأريح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأريح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس لأريح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيفٍ لأريح الضعفاء؛ صرت للكل كل شيئًا لأخلص على كل حالٍ قومًا" (٢ كو ٩: ٢٠-٢٢). وفي موضع آخر يقول: "لكي يُحضر كل إنسان كاملًا في المسيح يسوع" (١ كو ٢٨: ٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنني لهذا كتبت لكي أعرف تركيتكم"

¹ The Beatitudes, sermon 3, (ACW)

² To Olympias, 8.

³ في مديح القديس بولس، عظة ٣.

هل أنتم طائعون في كل شيء" [٩].

بعد أن قدم شفاعة في الخاطي أراد أن يثيرهم للتصرف السريع بالحب، فحسب ذلك الطلب مقياساً يدرك به مدى طاعتهم له. يرى البعض أنه يسهل على الإنسان (أو الكنيسة) أن يؤدب، لكن يصعب عليه أن يرد الساقط إلى موضعه الأول داخل القلب وفي الكنيسة.

❖ يحتاج بولس أن يرى أن الكورنثيين مطيعون في إعادة الخاطي كما كانوا مطيعين في معاقبته. لأن العقوبة يمكن أن تحمل شيئاً من الحسد والحقد، أما إن عملوا على إعادته في حب فإنهم يظهرون طاعتهم أنها نقية. هذا هو اختبار التلاميذ الحقيقيين، إن كانوا يطيعون ليس فقط حينما يؤمرون بفعل شيء ما، وإنما يتممونه من جانبهم أيضاً^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والذي تسامحونه بشيء فأنا أيضاً،

لأنني أنا ما سامحت به إن كنت قد سامحت بشيء،

فمن أجلكم بحضرة المسيح" [١٠].

ما يحمله من حب غافر به ينسى ما سبق ففعله هذا التائب إنما يتحقق خلال حب الرسول للكنيسة كلها، إذ يريد العروس الطاهرة. وأن ما يمارسه من نسيان إنما من أجل المسيح الذي هو في حضرته. وكأن هذا التائب عزيز جداً لدى الكنيسة وعريسها المسيح، وليس لدى بولس وحده! ما يفعله الرسول وما يحمله من مشاعر ليس ضد الكنيسة في كورنثوس ولا ضد فكر المسيح، إنما هذا كله متناغم مع فكر الكنيسة والتي تحمل فكر المسيح.

❖ كان بولس يمارس ما يكرز به. كان من حقه أن يصدر أوامر، لكنه لا يستطيع أن يتمتع عن أن يفعل بنفسه ما يطلب من الآخرين أن يفعلوه. في رسالته الأولى أدان جريمة هذا الشخص على رجاء أن كل واحد يشمئز منها (١ كو ٥: ١٣). وأما الآن فيريدون أن يرجعوا ويطلب ألا يظهروا له غضباً. بلاشك لم يكن لدى الكورنثيين حكمة الرسول، ولم يدركوا أن هذا يجب أن يتم فوراً^٢.

أمبروسياستر

❖ يعطي بولس الكورنثيين مركز القيادة ويخبرهم أنه سيتابع ذلك. هذه هي أفضل وسيلة لتلطيف روح

¹ In 2 Cor. Hom. 4:5.

² CSEL 81:207-8.

ساخطة محبة للنزاع. فلئلا يصيروا مهملين ويرفضوا الصفح عنه ضيق عليهم ثانية بقوله أنه هو نفسه قد صفح بالفعل عن هذا الإنسان^١.

❖ يمكن للشيطان أن يحطم حتى تحت مظهر التقوى. فإنه يقدر أن يحطم ليس فقط بأن يقود الشخص إلى الزنا بل وأحياناً بالعكس بالحزن المفرط الذي يجعل اليأس يتبع التوبة. أن يقتنصنا بالخطية هذا عمله المناسب له، وأما أن يقتنصنا في توبتنا فهذا عار مهذب، إذ يقاتلنا بسلحنا لا بسلحه^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ المشكلة ليس أن تعرف حيل إبليس فحسب، وإنما أن تلعب بها. فبولس يعرف ديناميكيته لا لينشغل بها، وإنما لكي لا يسقط في حبالها^٣.

القديس ديديموس الضريع

"لئلا يطمع فينا الشيطان،

لأننا لا نجعل أفكاره" [١١].

يقدم الرسول تعليلاً آخر بجانب تناغم فكره مع فكر الكنيسة والمسيح، ألا وهو لئلا يستغل إبليس الفرصة ويحطمه بروح اليأس. وكما يقول القديس مار فيلوكسينوس أنه إن سقط إنسان في اليأس تدخله كل الشياطين.

❖ لا تيأسوا من أنفسكم. أنتم أناس خلقتكم على صورة الله. ذاك الذي خلقكم أناساً صار هو نفسه إنساناً: لقد سَفَكَ دم الابن الوحيد من أجلكم^٤.

القديس أغسطينوس

٣. انفتح لي باب في الرب

بعد معالجته موضوع تأجيل زيارته لهم وتشفعه في الساقط التائب، استطرد يحدثهم عن عمل الله معه، إذ فتح له الرب باباً للخدمة والكرامة. وهو بهذا يهدف إلى خلق جو من الفرح بالأخبار السارة، ولكي يكشف لهم عن شعوره بالصدقة القوية معهم فيحدثهم في أمور خاصة به لا تمس الكنيسة في

¹ In 2 Cor. Hom. In 2Cor. Hom. 4:5.

² In 2 Cor. Hom. 4:5.

³ Pauline Commentary from the Greece Church.

⁴ Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 56.

كورنثوس مباشرة. كما تحدث معهم عن مشاعره الشخصية نحو تلميذه المحبوب لديه تيطس. فمن جانب أنه لا يكف عن العمل المستمر في بلاد كثيرة، ويد الرب معه تتجح طريقه، ومن جانب آخر أن انشغاله المستمر بالخدمة وأتعبه لن تنزع عنه عواطفه ومشاعره نحو أحبائه.

"ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح،

وانفتح لي باب في الرب" [١٢].

بعد كتابته للرسالة الأولى وسط دموعه الغزيرة وحزنه الكثير وكآبة قلبه [٤] لم يُرد الله أن يتركه في هذه المرارة، بل أبهج قلبه بانفتاح بابٍ جديدٍ للخدمة والكراسة.

"لم تكن لي راحة في روحي،

لأنني لم أجد تيطس أخي،

لكن ودعتهم،

فخرجت إلى مكدونية" [١٣].

كان يتربص مجيء تيطس بفارغ الصبر ليخبره عن أحوالهم، فاضطر أن يذهب إلى مكدونية متوقعًا أن يجده هناك، وبالفعل جاء تيطس يبشره بالأخبار المفرحة [٦-٧].

❖ في سفر الأعمال (١٦: ٩) يُقال أن إنسانًا من مكدونية ظهر لبولس في حلم وسأله أن يذهب ويعينهم. لم يُشر بولس إلى هذا الحدث في رسالته، لأنه من الواضح أنه لم يكن الوقت مناسبًا ليخبر بمثل هذه الأمور عن نفسه^١.

القديس ديديموس الضريير

❖ أشار بولس إلى تيطس هنا لهدفٍ، وهو أنه كان حامل الرسالة إلى كورنثوس. أراد بولس من الكنيسة هناك أن تقدر استحقاقه^٢.

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ كان بولس متعريًا - إن جاز لنا القول - من اللحم والدم. كان كأنه أنكر جسده، حتى يُمكن أن يُقال أنه لم يكن سوى نفسًا تتردد في العالم، وقلبًا خاليًا من كل شهوة وهوى. في مثل هدوء الأرواح الملائكية، كان يحيا على الأرض حياة سماوية. وكان يعيش في رفقة

¹ Pauline Commentary from the Greece Church.

² PG 82:390.

الشاروبيم، يشاركونهم أنغامهم السرية.

كان يحتمل كل الاضطهادات. كأن جسده لا يخصّه: السجن والقيود والنفي والتشريد والتهديد وخوض البحار والضرب والرجم والموت، وما كان يتأثر من شيء أو يخشى شيئاً.

كان يتحمل كل هذا ولكن انفصاله عن عزيز عليه كان كافياً لأن يقلقه ويعذبه إلى حد أنه لم يستطع البقاء في مدينة جاء ليكرز بالإنجيل بين أهلها، فإذا هو ملزم على مغادرتها حالاً [١٢]- [١٣]...

"أجل!" يجيب الرسول: "إن حزناً قد استولى عليّ لعدم وجود تيطس الحبيب. وما أجبرت على المغادرة إلا حين وجدت نفسي مغلوباً لا أستطيع أن أحتمل ما بي من الشوق^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولكن شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين،

ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان" [١٤].

كأنه يقول: "مجيء تيطس نزع عني مخاوفي، وأشبع أعماقي، وتحولت حياتي إلى ذبيحة شكر لله مصدر كل صلاح الذي وهبكم ووهبني إن ننضم إلى موكب نصرته تحت قيادته".

كان من عادة الرومان كما اليونان قبلهم متى غلب القائد في معركة يدخل العاصمة في موكب مهيب حيث يخرج الشعب كله يكرم الجيش الغالب. وكان القائد غالباً ما يرتدي ثوباً من الأرجوان الثمين موشى بالذهب، ويرتدي تاجاً على رأسه، ويحمل في يده إكليلاً علامة النصر، وباليد الأخرى صولجانه. يركب مركبة عظيمة مزينة بالعاج وطبقات من الذهب، غالباً ما يجرها فرسان بيض، وأحياناً تجرها فيلة كما حدث مع بومباي Pompey عندما هزم أفريقيا، أو أسود كما حدث مع مرقس أنطونيوس، أو نمور كما مع Helisgabalus، أو غزلان كما مع أوريليوس Aurelius. وكان أبناءه يجلسون عند قدميه في المركبة أو يركبون فرسان مركبة. وفي وسط هذه العظمة الفائقة يقف عبد خلفه ممسكاً بحجاب وذلك حتى لا ينتفخ القائد ويتعجرف.

يقود الموكب فرق موسيقية تعزف للقائد أناشيد النصر، خلفها مجموعة من الشباب يحملون ذبائح لتقديمها للآلهة، وقد طلوا قرون الذبائح بالذهب، وزينوا رؤوسها بأشرطة جميلة وأكاليل.

يلي ذلك مركبات تحمل الغنائم التي استولى عليها الجيش من العدو وفرسانهم ومركباتهم الخ. يتبع ذلك الملوك والأمراء والقادة الذين أسروا في المعركة وقد ربطوا بسلاسل حديدية.

¹ To Olympias, 8.

بعد هذا كله تظهر مركبة القائد المنتصر حيث يلقي عليه الشعب الورد، ويصرخون بتهليلات النصر.

يلي ذلك موكب الأشراف المتهللون بنصرة جيشهم وقائدهم. يُختم الموكب بالكهنة ومساعدتهم الذين يقدمون ثورًا أبيض كأعظم ذبيحة مع ذبائح أخرى. أثناء هذا الموكب تُفتح المعابد ويُقدم بخور وذبائح على المذابح. كان أهل كورنثوس يعرفون كل هذا، لكنهم منذ قرنين سقطت مقاطعة أخائية، ودُمرت كورنثوس بواسطة القنصل الروماني *Lucius Mummius*.

شأن ما بين موكب النصر الذي كان القائد الروماني يحلم به وبين موكب النصر الذي يعيشه الرسول بولس حيث يسقط إبليس في الأسر، ويتمجد الرسول بولس مع كل العاملين معه، وكل الشعب، وتفوح رائحة بخور سمائية، هي رائحة المسيح الذكية. المؤمن الحقيقي إذ يختفي في الصليب يشعر دومًا بنصرته في المسيح يسوع وتحت قيادته على كل قوات الظلمة: على شهوات الجسد الشريرة والخطية واغراءات العالم الشرير وإبليس وكل قواته. وكما يقول القديس أغسطينوس [لقد غلب العالم كله كما نرى أيها الأحباء... لقد قهر لا بقوة عسكرية بل بجهالة الصليب... لقد رُفع جسده على الصليب فخضعت له الأرواح].

❖ يعرف الله سعيكم وإرادتكم الصالحة، وينتظر جهادكم، ويسند ضعفكم، ويكمل نصرتكم¹.

القديس أغسطينوس

السيد المسيح السماوي نزل إلينا لكي يصير قائد نصرتنا الذي يعبر بنا إلى السماء، إذ هو وحده قادر أن يحملنا فيه ويفتح أبواب السماء أمامنا.

❖ لا تعجب أن العالم كله يخلص، فإنه ليس مجرد إنسان بل هو ابن الله الوحيد، الذي مات عن العالم.

حقًا إنه بخطية واحد، أي آدم، ملك الموت على العالم، فإنه إن كان بمعصية واحد ملك على العالم، فكم بالأحرى تملك الحياة ببر واحد؟!!

إن كانوا قد طردوا من الفردوس بسبب الشجرة التي أكلوا منها أليس من الأسهل أن يدخل المؤمنون الفردوس بسبب شجرة يسوع؟!!

¹ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 56.

إن كان الإنسان الأول، الذي وجد من الأرض، جلب العالم للموت أليس بالأولى يجلب خالقه الحياة الأبدية إذ هو نفسه الحياة؟! إن كان فينحاس في غيرته رد غضب الله بقتله فاعلي الشر (عد ٢٥: ٦-١٢)، كم بالأحرى يسوع الذي لم يقتل آخر بل "أسلم نفسه فدية" ينزع غضب الله عن الإنسان؟!^١

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ تأملوا هذا التقدم العجيب! إنه يرسل ملائكة إلى البشر، ويقود الناس إلى السماويات. هوذا سماء تقام على الأرض لكي تلتزم السماء بقبول الأرضيين^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأننا رائحة المسيح الذكية لله،

في الذين يخلصون،

وفي الذين يهلكون" [١٥].

❖ لماذا تسكب عطورًا بسخاء على جسدٍ دنسٍ في الداخل يا امرأة؟ لماذا تتفقين على ما هو عاصٍ، كمن يبدد العطور على قاذورات أو من يقطر سمًا على قرميد (طوب). يوجد - إن أردت - دهنًا ثمينًا وعطور بها تطيبين نفسك، ليست من العربية ولا من أثيوبيا ولا من فارس بل من السماء عينها، تُشتري لا بذهب بل بإرادة فاضلة، وبإيمانٍ غير مزيف. اشترِ هذا العطر، الذي رائحته يمكن أن تملأ العالم. هذا اشتبهه الرسل "لأننا رائحة المسيح الذكية... رائحة موت للبعض، وللآخرين رائحة حياة". ماذا يعني هذا؟ يُقال أن الخنزير تختنق من رائحة العطور. لكن هذا العطر الروحي يخرج ليس فقط من الأجسام بل وحتى من ثياب الرسل، فقد كانت ثياب بولس مشربة به حتى كانت تُخرج شياطين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ توجد علاقة بين ناردين الإنجيل وعطر العروس (نش ٤: ١٠)، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الناردين الأصيل الغالي الثمن الذي سكب على رأس السيد (يو ١٢: ٣)، وهكذا فاحت رائحته الذكية، وملأت المنزل كله. وبالمثل فإن هذا العطر لا يختلف عن عطر العروس الذي أفاح رائحة العريس.

¹ Catechetical Lectures, 13 :2

² Sunday Sermons of the Great Fathers, vol. 1, p. 113.

جاء في الإنجيل أنَّ سَكَبُ الطيب على رأس ربنا قد فاح رائحة ذكية في أرجاء المنزل حيث أقيمت المأدبة، وكأن المرأة ساكبة الطيب قد تنبأت بسرَّ موت المسيح. وقد شهد الرب لعملها هذا قائلاً: "إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني" (مت ٢٦: ١٢).

المنزل الذي امتلأ بهذه الرائحة يمثل الكون بأكمله، العالم كله: "حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم" تنتشر رائحة عملها هذا مع الكرازة بالإنجيل، ويصير الإنجيل "تذكّاراً لها"، إذاً الناريين في نص تشيد الأناشيد يفيح رائحة العريس لعروسه (نش ١: ١٢)، وفي الإنجيل أيضاً تصوير رائحة المسيح الذكية التي ملأت كل المنزل كطيب يطيب كل جسد الكنيسة في كل المسكونة والعالم أجمع^١.

❖ حين نقول العروس لأصدقاء عريسها: "أفاح نارديني رائحته" (نش ١: ١٢) تأخذ (النفس) من كل زهرة من مختلف مروج الفضيلة، وتصير حياة الإنسان عطرة خلال رائحة سلوكه الذكية، وهكذا يصير كاملاً إلى حدٍّ ما. مثل هذا الشخص لن يكون من طبيعته أن ينظر بثبات على كلمة الله كما على الشمس، لكنه بالأحرى يراها بداخله كما في مرآة. لأن شعاع هذه الفضيلة الحقّة المقدسة يشع في الحياة الطاهرة بافرار، ويجعل الغير منظور منظوراً لنا، والغير مدرك مدركاً، بتصوير الشمس في مرآة نفوسنا.

عندما نتفهم النص نجد أنه لا فرق بين أن نتحدث عن أشعة الشمس، وتدفق الفضيلة أو رائحة العطور الذكية. أيّاً كان التعبير الذي نختاره، فهناك فكرة عامة واحدة للكل، ألا وهي أننا نكتسب معرفة الصلاح من الفضيلة، ذلك الصلاح الذي يتجاوز كل فهم، تماماً مثلما نستدل على جمال أي نموذج من صورته.

هكذا تشبّه بولس العروس بالعريس في فضائله، وصور بعطره الجمال الذي لا يُدنى منه، وذلك من ثمار الروح: الحب، الفرح، السلام وما شابه ذلك. صنع عطره، واستحق أن يصير "رائحة المسيح الذكية" (٢ كو ٢: ١٥). لقد استنشق القديس بولس هذه النعمة غير المدركة التي تجاوزت كل نعمة، وأعطى نفسه لآخرين كرائحة ذكية ليأخذوا منها على قدر طاقتهم، حسب تدبير كل إنسان. صار بولس الرسول عطراً إما لحياة أو موت، فإنه إذا ما وضعنا العطر ذاته أمام خنفس وأمام حمامة، فلن يكون له تأثير مماثل على الاثنين: فبينما يصير الحمامة أكثر قوة حين تستنشقها إذا بالخنفس يموت^٢.
القديس غريغوريوس أسقف نيصص

¹ Commentary on Song of Songs, Homily 3.

² Commentary on Song of Songs, Homily 3.

إذ يعيش الرسول في سلسلة لا تنقطع من مواكب النصره يشتم الآب فيه وفي الكنيسة كلها رائحة المسيح الذكية، حيث يرى فيهم أن إرادته الإلهية قد تحققت.

"هؤلاء رائحة موت لموت،

ولأولئك رائحة حياة لحياة،

ومن هو كفوء لهذه الأمور؟" [١٦]

كانت مواكب النصره تحمل فريقين، فريق غاية في الفرح والتلهيل وعلى رأسهم القائد الغالب وجنوده، وفريق غاية في البؤس والمرارة وهم الملوك المأسورون وأبنائهم وقادتهم، هؤلاء الذين أظهروا ثورةً وعصياناً.

وفي موكب النصره المستمر يتהלل المؤمنون الغالبون حاملين رائحة الحياة، بينما ينهار غير المؤمنين المصممون على العصيان والتمرد في عدم إيمان.

يهب المسيح، شمس البرّ، حياةً ونمواً للأشجار المغروسة في كرمه، المرتوية بمياه الروح، ويجفف تلك التي قُطعت وألقيت على سطح الأرض ولا تتمتع بينابيع المياه الحية.

بقوله: **"ومن هو كفوء لهذه الأمور"** يعني من هو مستحق أن يقوم بهذا العمل العظيم الذي له أثره الفائق: حياة أو موت؟ إنه عمل إلهي فائق ليس في قدرة إنسان ما أن يحققه أو يقاومه. إنه عمل الله نفسه، لن يستطيع الرسل الكذبة مقاومته.

سبق فأدرك إشعيا هذا العمل الإلهي فقال: **"أتمجد في عيني الرب، وإلهي يصير قوتي"** (إش ٤٩: ٥). هكذا يتمتع المؤمن بالمجد لا في أعين الناس والملائكة فحسب، بل وفي عيني الرب نفسه، ويحمل المؤمن في داخله الرب إلهه قوته.

❖ لمن إذن **"رائحة موت لموت"** إلا للذين لا يؤمنون، والذين لا يخضعون لكلمة (لوعوس) الله؟... مرة أخرى، من هم أولئك الذين يخلصون وينالون الميراث؟ بلا شك إنهم الذين يؤمنون بالله ويستمترون في محبته كما فعل كالب بن يفتة ويشوع بن نون (عد ١٤: ٣٠) والأطفال الأبرياء (يون ٤: ١١) الذين ليس لهم إحساس بالشر. لكن من هم أولئك الذين يخلصون الآن، ويتمتعون بالحياة الأبدية؟ أليس الذين يحبون الله، ويؤمنون بوعوده، ويصيرون أطفالاً في الخبث (١ كو ١٤: ٢٠)؟^١

¹ Adv. Haer. 4:28:3

القديس إيريناؤس

❖ ضع مذبح بخور في أعماق قلبك. كن رائحة المسيح الذكية^١.

العلامة أوريجينوس

❖ تصدر رائحة معرفة الله عن المسيح وبه. يقول بولس: "رائحة"، لأن بعض الأشياء تُعرف برائحتها حتى إن كانت غير منظورة. الله غير المنظور يود أن يُدرك بالمسيح. الكرازة بالمسيح تبلغ آذاننا كما تبلغ الرائحة أنوفنا، فتجلب الله وابنه الوحيد إلى أعماق خليقته. من ينطق بالحق عن المسيح يصير مجرد رائحة صادرة عن الله، يتأهل للمديح ممن يؤمنون به. أما الذي يقدم تأكيدات خاطئة عن المسيح فله رائحة سيئة لدى المؤمنين وغير المؤمنين على السواء^٢.

أمبروسياستر

❖ "من هو كفوء لهذه الأمور؟" إذ يرى أنه نطق بهذه الأمور العظيمة عاد ينطق بتواضع، مشيرًا إلى أن كل شيء هو من الله. فإن كل شيء هو من المسيح وليس شيء من ذواتنا... فإن كان لا يوجد أحد كفوء، فإن ما يفعل هو من النعمة^٣.

❖ "كما من الله" بمعنى أننا لسنا نقول أننا نهكم شيئًا من ذواتنا، وإنما من الله الذي يعطي الكل. بقوله "من الله" تعني أننا لسنا نتمجد في شيء كأننا نفعل أمرًا من ذواتنا، بل ننسب كل شيء لله^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يدعو الرسول بولس معرفة الله رائحة، تُشتم أكثر منها ترى.

❖ سواء خلاص الإنسان أم هلك فإن الإنجيل يبقى في قوته. النور حتى وإن أعمى أحدًا فهو نور. والعسل وإن كان مرًا بالنسبة للمرضى لا يزال حلواً. هكذا الإنجيل له رائحة ذكية للكل حتى إن هلك الذين لم يؤمنوا به^٥.

❖ إن ضاع إنسان لا يلوم إلا نفسه. فالطبيب الملطف يُقال أنه يخنق الخنازير. النور يعمي

¹ In Exod. Hom. 9.

² CSEL 81:210.

³ PG 61: 468

⁴ In 2 Cor. Hom 5, PG 61:469.

⁵ In 2 Cor. Hom. 5:2.

الضعفاء. ففي طبيعة الأمور الصالحة ليس فقط أن تُصلح من يلتصق بها، بل وتحطم المقاوم لها، هكذا تعمل قوتها^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ الآن يُدعى الناموس "خدمة الموت" لليهود الذين كُتِب لهم على حجر كرمز لقسوة قلوبهم. لكنه لا ينطبق هذا على الذين ينفذون الناموس بالحب، لأن المحبة تكمل الناموس^٢.
- ❖ كل محنة إما هي عقاب للأشرار أو اختبار للأبرار... هكذا السلام والهدوء في أوقات المشاحنات يمكن أن ينتفع بهما الصالحون بينما يفسد الأشرار^٣.

القديس أغسطينوس

- ❖ هكذا سلك بولس الرسول في فضائل العريس، وأخذ نموذجًا لحياته من الجمال الأبدي، وأصبح له رائحة الناردين من مجموعة الفضائل التي يمارسها الذهن: "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢). ثم قال بعد ذلك أنه "رائحة المسيح الذكية" [١٥]. وهو بذلك يستنشق رائحة ذاك الذي لا يمكن إدراكه، ويأخذ النعمة الفائقة، ويقدم نفسه للآخرين كرائحة بخور، ويصير رائحة حياة للبعض، ورائحة موت لآخرين، حسب سعي كل منهم للخلاص^٤.
- ❖ الروح القدس هو الذي يملأ حياتنا برائحة القداسة، والبخور هو الفضائل المختلفة التي يشتمها العريس كرائحة طيب أفضل من الأطياب الأخرى^٥.
- ❖ لا تدع أي شخص شهواني أو جسداني تتبعث منه رائحة الإنسان العتيق الكريهة (٢ كو ٢: ١٦) أن يقلل من أهمية الأفكار والكلمات المقدسة، ويستبدلها بأخرى شهوانية حيوانية، بل بالأحرى ليخرج كل إنسان من الأنا، ويعتزل العالم المادي. ليصعد إلى الفردوس خلال قطع رباطات العالم، إذ صار مثل الله خلال النقاوة. ثم نقول ليدخل كل منا إلى قدس أقداً الأسرار المعلنة في

¹ In 2 Cor. Hom. In 2Cor. Hom. 5:3.

² To Simplician – On Various Questions, 1:17.

³ Eighty Three Different Questions, 27.

^٤ من مجد إلى مجد فصل ٤:٣.

^٥ من مجد إلى مجد، فصل ٣:٣١.

هذا الكتاب (سفر نشيد الأناشيد)^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ بالنسبة لغير المؤمنين الكرازة بالصليب هي رائحة موت. عند سماعهم كلمة الله يتقبلونها كأنها وباء خلاله يقرع الموت على الباب. وأما الآخرين فهي رائحة حياة. فبالنسبة للمؤمنين كلمة الله هي رسول الحياة الأبدية، تعمل معهم حسب إيمانهم^٢.

أمبروسياستر

"لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله،

لكن كما من إخلص،

بل كما من الله،

نتكلم أمام الله في المسيح" [١٧].

إذ يشهد له ضميره عن إخلاصه وبساطته لا يخلط مفاهيم المسيح وتعاليمه بمفاهيمه الخاصة وتعاليمه. بولس الرسول بذاته غير كفوء لهذا العمل لكنه خلال إخلاصه يعمل الله به ويتم رسالة المصالحة في المسيح يسوع.

إنه لن يسمع ذلك القول الموجه للرسول والأنبياء الكذبة: "صارت فضتك زغلاً، وخمرك مغشوشة بماء" (إش ١: ٢٢). وجاءت الترجمة السبعينية "تاجر خمورك يمزج خمرك بماء"، حيث كان الأنبياء الكذبة والكهنة الأشرار يفسدون كلمة الله بأفكارهم الذاتية الخاصة.

أكد الرسول أنه مرسل من الله، وينطق بما يتحدث به معه مباشرة كسفير له، وأنه يتحدث أمامه وفي حضرته. إنه يطلب تحقيق رسالة المسيح: "تصالخوا مع الله" (٢ كو ٥: ٢٠).

❖ يتكلم بولس في المسيح، ليس بحكمته الذاتية، بل بالقوة الصادرة عنه^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ Commentary on Song of Songs, Homily 1.

² CSEL 81:211.

³ In 2 Cor. Hom. In 2Cor. Hom. 5:3.

من وحي ٢ كو ٢

فُرح قلوبنا معاً فيك!

- ❖ نزلت إلينا يا مصدر الفرح والتطويب الحق.
شاركتنا آلامنا لنشاركك بهجتك الفريدة.
تثن مع أُناتنا، وتتهلل بأفراحنا.
هب لنا هذه الشركة معاً.
- ❖ لأفرح حين يفرح الكل بك.
ولتتحول بهجة خلاصي بهجة لكل المحيطين بي.
لأُتغنى مع بولس الطوباوي:
فرحي هو فرح جميعكم.
- ❖ أقمتني من سقوطي،
ووهبتني القيامة من الموت.
كيف لا أفرح بقيام الساقطين؟
كيف لا يتسع قلبي للتائبين؟
لا تعود تذكر خطاياي،
فكيف أذكر خطايا إخوتي؟
- ❖ لست أتحدث عن أشخاص معينين.
افتح لي باباً للشهادة لعملك الخلاصي أمام الكثيرين.
متى أرى كل البشرية تنعم ببهجة خلاصك؟

الأصحاح الثالث

خدمة العهد الجديد

تحدث الرسول بولس في الأصحاح السابق عن الحب المتبادل بين الراعي والرعية وبين الرعية وبعضها البعض، وقد طلب منهم أن يمكّنوا للخاطئ التائب المحبة الصادقة العملية. الآن يكشف الرسول عن خدمة العهد كخدمة روح تهب الحياة، لا خدمة الحرف القاتل، مقدّمًا مقارنة بين إنجيل العهد الجديد وحرفية الناموس، دون الإساءة إلى الناموس ذاته. أظهر أيضًا ما لهذه الخدمة من مجد لا يُقارن بمجد العهد القديم، وطلب منهم أن يرفعوا البرقع الذي لم يعد له حاجة، حتى يدركوا أعماق مجدها.

١. بين الإنجيل والناموس ١-٥.

٢. خدمة مجيدة ٦-١١.

٣. خدمة بلا برقع ١٢-١٨.

١. بين الإنجيل والناموس

"أفتبتدئ نمدح أنفسنا،

أم لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم،

أو رسائل توصية منكم" [١].

يعلن لهم الرسول بولس أنه ليس في حاجة إلى توصية شفوية أو كتابية إليهم من كنائس أخرى، أو منهم إلى كنائس أخرى. فإن خدمته هي خدمة العهد الجديد العظيمة والمكرمة، فلا يحتاج إلى مديح من إنسان ليهب كرامة أو مجداً. خدمته إلهية وتذكّيته من قبل الله نفسه الذي دعاه لهذه الخدمة. إنه لن يتشك في دعوة الله له، وفي إخلاصه للخدمة، ونصرته بالمسيح يسوع، ومعية الله له.

يقول القديس ديديموس الضرير أن الرسول بولس يُظهر برقة دهشته أن الكورنثيين كانوا لا يزالوا لا يدركون ما وراء استخدامه السلطان الرسولي^١. فإنه لا يتحدث هنا للافتخار، وإنما لكي لا يخدعهم أحد.

¹ Pauline Comm. From the Greek Church.

"أنتم رسالتنا،

مكتوبة في قلوبنا،

معروفة ومقروءة من جميع الناس" [٢].

هم الرسالة التي لم يقرأها بفمه، ولا يبعث بها إلى الكنائس الأخرى، إنما يقرأها بقلبه، فتتهلل أعماقه الداخلية من أجل غنى نعمة الله العاملة فيهم. ليس من يبهج قلب الخادم أكثر من أن يقرأ عمل الله في حياة مخدميه. فيهم يتعرف على ما بلغه من نجاح بالنعمة الإلهية. إنهم في قلب بولس الرسول حيث شعلة نيران الحب المتقدة، لا يحتاج إلى من يذكره بهم، كأنهم موضوع محبته الفائقة. أينما ذهب يقرأ الحاضرون ما حمله لهم من حب، دائم الحديث عنهم أو عن عمل الله معهم خلاله.

❖ كان خلاص الكورنثيين في قلب بولس وقلوب من معه، فهو دائم التفكير في هذا^١.

أمبروسياستر

يقارن القديس يوحنا الذهبي الفم بين رسالة القديس بولس الرسول ورسالة العظيم بين الملائكة رئيس الملائكة ميخائيل، فيقول:

❖ كانت رسالة ميخائيل (رئيس الملائكة) هي الاهتمام بشعب اليهود (دا ١٢ : ١)، أما مهمة بولس الرسول فكانت للأرض والبحار، المسكونة منها وغير المسكونة، هذا لا يعني التقليل من رسالة الملائكة! حاشا! لكنني أوضح أن الإنسان يمكنه التمتع بشركة الملائكة، بل يصير في نفس الرتبة والمكانة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدمة منا،

مكتوبة لا بحبر، بل بروح الله الحي،

لا في ألواح حجرية،

بل في ألواح قلب لحمية" [٣].

كأنه يقول ما حاجتي إلى رسائل توصية وأنتم أنفسكم بحياتكم الجديدة رسالة توصية، منقوشة لا بحبر على ورق، لكنها بالروح في قلوبنا، تشهدون لعملنا أمام ضميري كما أمام الناس. حياتكم هي

^١ CSEL 81:213.

^٢ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

خير خطاب مفتوح دومًا ومقروء.

إنهم رسالة المسيح، أما بولس وغيره من الرسل والخدام فمجرد خدام لهم، آلات يعمل بالسيد المسيح فيهم، مصدر كل صلاح فيهم.

في العهد القديم قدم لهم الله الوصايا على ألواح حجرية (خر ٣١: ١٨؛ تث ٩: ١٠)، الآن حلَّ عهد النعمة، ونزع عنهم الطبيعة الحجرية، وسجل شريعته بروحه القدس على ألواح القلب اللحمية. وكما سبق فوعد في حزقيال: "أعطيك قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحكم، وأعطيك قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم". (حز ٣٦: ٢٦-٢٧) هكذا يقيم الله من قلب المؤمن ما هو أشبه بتابوت العهد الذي يضم بداخله لوحى الشريعة والإنجيل مكتوبين بإصبع الله، أي بروحه القدس.

يرى الرسول في نفسه أشبه بالحبر الذي به يُسجل إصبع الله، أي الروح القدس، إنجيله في داخل قلوب الملايين.

هكذا إذ يتحدث الرسول بولس عن خدمته في وسطهم يعلن مجدها العجيب كالاتي:

أولاً: إنهم رسالته [٢] التي سجلها الرسول بولس بغنى نعمة الله فيه مع جهادٍ وميتاتٍ كثيرة.

ثانيًا: إنهم رسالة المسيح، إذ صاروا إنجيلًا عمليًا مقروءًا من الجميع.

ثالثًا: يسجل روح الله الحي إنجيل المسيح في قلوبهم.

رابعًا: تحولت قلوبهم إلى تابوت عهد جديد يحوي إنجيل النعمة.

خامسًا: صار الرسول أشبه بالحبر الذي يكتب به الروح في قلوبهم.

سادسًا: إنجيل المسيح مُسجل في قلوبهم حيث عواطفهم ومشاعرهم ونياتهم وأفكارهم ممتصة بالكامل لحساب ملكوت الله.

❖ نقرأ أن الشريعة كُتبت بإصبع الله، وأعطيت خلال موسى، خادمه المقدس. يرى الكثيرون إصبع الله أنه الروح القدس^١.

القديس أغسطينوس

"ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله" [٤].

لدى الرسول بولس كمال اليقين بأن الله قد قبل خدمته، وعلامة القبول هي قبول الأمم للإيمان

¹ St. Augustine: On Ps. 8.

بتمتعهم بعمل المسيح الخلاصي. هذا دليل صدق خدمته ونجاحها.

"ليس أننا كفاة من أنفسنا،

إن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا،

بل كفايتنا من الله" [٥].

هذا اليقين في قبول الخدمة لدى الله وإثمارها في حياة الأمم، خاصة أهل كورنثوس، لم يدفع الرسول إلى العجرفة ولا ينسب لنفسه إمكانية إنارة ذهن أو تجديد القلب، إنما يدرك أنه أداة في يد الله. فالله وحده هو الذي يهب الإرادة المقدسة والفكر النقي والعواطف الطاهرة والأحاسيس المباركة. هو مصدر كل قوة وبركة ونعمة.

❖ أن يكون لنا السلطان أن نكون أبناء الله (يو ١ : ١٢) هذا لا يقوم على قوة بشرية، بل على قوة الله. يتقبلونه من الله الذي يوحى في القلب البشري بالأفكار المقدسة، خلالها نهتم "بالإيمان العامل بالمحبة" (غل ٥ : ٦)... فإنه "ليس أننا كفاة من أنفسنا بل كفايتنا من الله"، الذي في سلطانه قلوبنا وأفكارنا^١.

القديس أغسطينوس

٢. خدمة مجيدة

"الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهدٍ جديدٍ،

لا الحرف بل الروح،

لأن الحرف يقتل،

ولكن الروح يحيي" [٦].

إذ حاول المعلمون الكذبة التسلل إلى الكنيسة في كورنثوس ركزوا على الالتزام بالتطبيق الحرفي للناموس الموسوي لمقاومة الرسول بولس المتهم بكسره للناموس.

سبق أن سأل: "من هو كفوء لهذه الأمور؟" (٢ كو ١٦ : ٢)، وقد جاءت الإجابة هنا أن الله جعله هو والعاملين معه كفاة أن يكونوا خداماً لعهدٍ جديدٍ.

دعاه الله لخدمة العهد الجديد، به يخدم بالروح لا بالحرف القاتل. هنا يقارن الرسول بين خدمة العهد القديم التي اتسمت بالحرف وخدمة العهد الجديد التي يلزم ممارستها بالروح. الخدمة الأولى إذ

¹ Gift of Perseverance 8:20.

يغلب عليها الحرف قاتلة، لأنها لا تتعدى الكشف عما بلغ إليه الإنسان من فسادٍ، دون تقديم إمكانية البلوغ إلى عدم الفساد. ليس الناموس في ذاته قاتل، إنما هو مرآة تكشف عن الموت الذي حلّ بالخاطي بسبب عصيانه، أما خدمة العهد الجديد فتقدم العلاج.

لم يتحدث الرسول هنا كمن يضاد خدمة العهد القديم، إنما يحذر من الحرف حتى إن تمسك بها خدام العهد الجديد. فإن كان اليهود برفضهم الفهم الروحي للناموس لم يتمتعوا بخلاص المسيح هكذا أيضًا خدام العهد الجديد إن رفضوا الفهم الروحي للإنجيل يتعثرون.

❖ يلزمنا أن نسبح مع الطوباوي داود قائلين: "قوتي وترنمي" ليس بإرادتي الحرة ذاتها. ولكن بواسطة "الرب، وقد صار لي خلاصًا". لم يكن معلم الأمم جاهلاً بهذا عندما أعلن أنه قد صار كفاء ليكون خادماً للعهد الجديد، ليس بحسب استحقاقه وجهاده بل برحمة الله، "ليس أننا كفاءة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله الذي جعلنا كفاءةً لأن نكون خدام عهد جديد" (٢ كو ٣: ٥-٦).^١

الأب بفنوتيوس

❖ الحرف يعني ما هو مادي، والروح ما هو عقلي، والذي ندعوه روحياً^٢.

❖ صرنا كفاءة بالله خادم العهد الجديد، الذي يقود برهان الروح والقوة، حتى متى اتفق المؤمنون معه يصير إيمانهم لا بحكمة البشر بل بقوة الله^٣.

العلامة أوريجينوس

❖ بحق يقول بولس: "الحرف يقتل والروح يحيي". فالحرف يختن جزءاً صغيراً من الجسم، إما الروح المدرك فيحفظ ختان النفس والجسد بالكامل، فتُحفظ الطهارة، ويُحب التدبير، وتُتزع الأجزاء غير الضرورية (إذ ليس شيء غير ضروري مثل رذيلة الطمع وخطايا الشهوة، هذه التي لا تنتمي للطبيعة، إنما جاءت ثمرة للخطية). الختان الجسداني هو رمز، ولكن الختان الروحي هو الحقيقة، الواحد يقطع عضواً والثاني ينزع الخطية^٤.

❖ يعطي الروح الحياة. لكن يجب أن تفهموا أن وهب الحياة الذي من عمل الآب والابن والروح

¹ Cassian: *Conferences*, 3:15

² *De Principiis* 1:1:2.

³ *Commentary on John*, 4:2.

⁴ *Letter to Clementianus*, 68.

القدس لا ينقسم، ولتتعلموا وحدة وهب الحياة خلال الروح، إذ يقول بولس: "الذي أقام يسوع المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١).^١

القديس أمبروسيوس

❖ كان الناموس روحياً لكنه لم يمنح الروح. كان لدى موسى الحرف لا الروح، بينما أودع لدينا منح الروح.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كيف يُعطي الروح الحياة؟ بأن يتم الحرف فلا يقتل.^٣

❖ لتشتاقوا إلى المسيح، اعترفوا للمسيح، آمنوا بالمسيح، فإن الروح يُضاف إلى الحرف، فتخلصون. فإن نزعتم الروح عن الحرف فإن "الحرف يقتل". وإذ قتل، فأين الرجاء؟ "لكن الروح يحيي".^٤

❖ يا من تخافون الرب سبّوه، لتعبده لا كعبيد بل كأحرار.

تعلموا أن تحبوا من تخافوه، فتستطيعون أن تُسبحوا من تحبونه.

خاف رجال العهد القديم الله بسبب الحرف الذي يُرعب ويقتل ولم يكن لهم الروح الذي يُحيي، فكانوا يجرون نحو الهيكل بالذبائح ويقدمون ضحايا دموية. كانوا يجهلون ما كان ظلاً خلالها، مع أنه كان رمزاً للدم القادم الذي به نخلص.^٥

❖ يأمر الله بالعفة، وهو الذي يهب العفة. يأمر بالناموس، ويعطي الروح، لأن الناموس بدون النعمة يجعل الخطية تزداد (رو ٥: ٢٠). والحرف بدون الروح يقتل. إنه يأمر لكي يعلمنا كيف نسأل عون النعمة حينما نحاول الطاعة لوصاياه وفي ضعفنا نسقط بقلق تحت الناموس. وأيضاً لكي يجعلنا شاكرين له من أجل عونه لنا، إن كنّا نستطيع أن نحقق أي عمل صالح.^٦

❖ إن نزعتم الروح كيف ينفع الناموس؟ تحدث مراوغة. لهذا يقول الكتاب: "الحرف يقتل". الناموس يأمر، وأنتم لا تطيعونه. توجد أمور ممنوعة، وأنتم تمارسونها. انظروا فإن الحرف يقتل.^٧

¹ The Holy Spirit 2:4:30.

² In 2 Cor. Hom. 6:2

³ Easter Season, 251:7.

⁴ Sermons on New Testament Lessons, 86:5.

⁵ Letter to Honoratus 140:19.

⁶ Letter to Hilarius, 157.

⁷ Easter Season 259:3.

❖ ليرتبط الروح بالناموس، فإنكم إذ تستلمون الناموس وليس لديكم عون الروح لا تتممون ما جاء في الناموس... ليكن لكم الروح، ليعينكم حتى تتممون ما تؤمرون به. متى كان الروح غائبًا يقتلكم الحرف... لا تستطيعون أن تعتذروا بحجة الجهل مادمتم قد تسلمتم الناموس. الآن، إذ تعلمتم ما يجب أن تفعلوه ليس لكم أن تعتذروا بالجهل... لكن لماذا يقول الرسول: "الحرف يقتل والروح يحيي"؟ كيف يعطي الروح الحياة؟ لأنه يجعل الحرف يتحقق فلا يقتل. المقدسون هم الذين يحققون ناموس الله حسب عطية الله. يمكن للناموس أن يأمر، لكنه لا يقدر أن يعين. الروح يُضاف كمعين، فتتم وصايا الله بفرح وبهجة. بلاشك كثيرون يلاحظون الناموس عن خوف، ولكن الذين يحفظونه خشية العقوبة يفضلون لو أن الذي يخافونه غير موجود. وعلى العكس، فإن الذين يحفظون الناموس بحبهم البرّ يفرحون ويحسبونه ليس غريبًا عنهم¹.

❖ بناموس الأعمال يقول لنا الله: "اصنعوا ما أمركم به"، ولكن بناموس الإيمان نقول لله: "أعطنا ما أوصيت به"².

القديس أغسطينوس

❖ لم يقل بولس "خدمة الناموس"، بل قال "خدمة الموت"، متحدثًا بالأحرى عن نتائجها لكي يقال من جاذبيته³.

ثيودور أسقف المصيصة

❖ يظهر بولس نتائج الخدمتين، فبينما في الأولى يركز على نتائجها وهو الموت والفصل عن الله؛ يركز في الخدمة الثانية على الروح نفسه⁴.

❖ خدم الناموس الموت لكنه لم يكن هو السبب. الذي سبب الموت هو الخطية، ولكن الناموس جلب العقوبة، وأظهر ما كانت عليه الخطية... لم يخدم الناموس لإيجاد الخطية أو الموت، وإنما لاحتمال العقوبة بواسطة الخاطي، حتى أنه بهذا صار أكثر تدميرًا بالخطية⁵.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ثم إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة

¹ Easter Season, 251:7.

² On the Spirit & the Letter, 22.

³ Pauline Comm. From the Greek Church.

⁴ In 2 Cor. Hom. 7:1.

⁵ In 2 Cor. Hom. 7:1.

قد حصلت في مجد،

حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى

لسبب مجد وجهه الزائل" [٧].

يقصد بخدمة الموت هنا الناموس الذي ثبت عقوبة العصاة، وبه تعرفنا على الخطية فاشتهيناها. هذه الخدمة (الوصايا العشرة) قد سُجلت على ألواحٍ حجرية وهي خدمةٌ مجيدة مملوءة سموًا. ففي استلام الشريعة دخن الجبل وظهرت بروق وحدثت رعود، وأشرق وجه موسى مستلم الشريعة. البهاء الصادر عن ملامح موسى النبي يكشف عن مجد الشريعة التي تسلمها.

❖ كان المجد الذي ظهر على وجه موسى رمزًا للمجد الحقيقي، وكما لم يستطع اليهود أن ينظروا إلى وجه موسى، هكذا فإن المسيحيين يحصلون على مجد النور في داخل نفوسهم. أما الظلمة فتضمحل وتهرب، إذ لا تحتل لمعان النور^١.

القديس مقاريوس الكبير

❖ الأمور التي وُعد بها هي أبدية، ولذلك قيل أنها مكتوبة بروح الله، على خلاف الأمور الوقتية المكتوبة بحبرٍ، والتي تذبل وتفقد قوتها لتسجل أي شيء^٢.

أمبروسياستر

❖ الله هو الذي كتب ذاك الناموس، ولكن بولس وأصحابه هياؤهم لقبول الكتابة. وذلك كما أن موسى قطع الحجارة واللوحين (خر ٣٤: ١-٤) هكذا شكل بولس نفوسهم^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يظهر بولس أفضلية نعمة الروح عن الناموس، وسموّ كرازة الرسل عن تدبير الأنبياء^٤.

سفيريان أسقف جبالة

❖ كتب الله بهذا الإصبع على اللوحين الحجرين اللذين استلمهما موسى. فإن الله لم يُشكّل الحروف التي نقرأها بإصبع جسدي؛ إنما بالروح أعطي الناموس...
فإن كانت رسالة الرسول كُتبت بالروح ماذا يقف في طريق التزامنا بالاعتقاد بأن ناموس الله كُتب

¹ Sermon 47:1.

² CSEL 81:213.

³ In 2 Cor. Hom. 6::2.

⁴ Pauline Comm. From the Greek Church.

ليس بحبر بل بروح الله هذا الذي لا يُشِين أسرار قلوبنا وأذهاننا بل ينيرهما؟^١

القديس أمبروسيوس

❖ كما أن القلم هو أداة للكتابة متى حركته يد شخصٍ مختبرٍ ليسجل ما يُكتب، هكذا أيضًا لسان البار عندما يحركه الروح القدس يكتب كلمات الحياة الأبدية في قلوب المؤمنين. يغمسه لا في حبر، بل في "روح الله الحي". لذلك فإن الكاتب هو الروح القدس، لأنه حكيم ومعلم قدير لكل. ويكتب الروح بسرعة لأن حركة عقله سريعة. يكتب الروح الأفكار فينا، "لا على ألواح حجرية بل على ألواح القلب اللحمية". يكتب الروح حسبما يناسب حجم القلب أكثر أو أقل، إما أمورًا واضحة لكل أو أكثر غموضًا، حسب نقاوة القلب السابقة. وبسبب سرعة الكتابة تنتهي الكتابة، يمتلئ العالم الآن بالإنجيل.^٢

القديس باسيليوس الكبير

❖ هذه هي نواميس العقل، كلمات تهب وحيًا، مكتوبة بإصبع الرب، ليست على ألواح حجرية بل منحوتة في قلوب البشر. إنها تسند فقط الذين قلوبهم لم تلتصق بالفساد. لذلك فإن ألواح القلب القاسي تنكسر، وإيمان الأصاغر يتشكل في أذهان حساسة. كلاً الناموسين خدما الكلمة كوسيلة لتعليم البشرية، واحد خلال موسى، والآخر خلال الرسل.^٣

القديس إكليمنضس السكندري

❖ ربما يكون رب البيت هو يسوع نفسه الذي يُخرج من كنزه، حسب وقت تعليمه، أشياء جديدة روحية، تتجدد دائمًا بواسطته في الإنسان الداخلي للأبرار، هؤلاء الذين يتجددون يوميًا فيوماً (٢ كو ٤: ١٦). وأيضًا يخرج عتقاء منقوشة على حجارة، في القلوب الحجرية للإنسان العتيق، حتى أنه بمقارنة الحرف باستعراض الروح يغني الكاتب الذي يصير تلميذًا لملكوت السماء، ويجعله على شبهه حتى يصير التلميذ كمعلمه. يتمثل أولاً بمن يتمثل بالمسيح، ثم يتمثل بالمسيح نفسه، وذلك كما قال بولس: "تمثلوا بي كما أنا أيضًا بالمسيح" (١ كو ١١: ١).^٤

❖ إذ يُفهم أمران بخصوص الناموس، خدمة الموت المنقوشة في حروف، والتي ليس لها علاقة

¹ The Holy Spirit 3:3:13.

² On Ps. 44, hom. 17.

³ Paedagogus 3:12:94.

⁴ Commentary on Matthew, 10:15.

بالروح. وأيضاً خدمة الحياة التي تُفهم في الناموس بالروح، هؤلاء القادرون بقلبٍ مخلصٍ أن يقولوا: "نحن نعلم أن الناموس روحي" (رو ٧: ١٤). ولهذا فإن "الناموس مقدس، والوصية مقدسة وبارة وصالحة" (رو ٧: ١٢)، وهي الغرس الذي غرسه الآب السماوي^١.

العلامة أوريجينوس

"كيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد؟" [٨]

"لأنه إن كانت خدمة الدينونة مجداً،

فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البرّ في مجد" [٩].

يقصد بـخدمة الدينونة الناموس الذي يتحقق من الخطية ويدينها، بينما يقصد بـخدمة البرّ إنجيل العهد الجديد الذي يبرر من يؤمن بالرب يسوع البار، فيحمل المؤمن برّ المسيح.

عظيم هو الناموس ومجيد ومهوب للغاية، وذلك لمقاومته للخطية ومناهضة مملكة الظلمة، فكم بالأكثر الإنجيل الذي يهب البرّ، ويقيم فينا مملكة النور. ما يبيغيه الناموس ويعجز عن تحقيقه يقدمه لنا الإنجيل بفيضٍ؛ قدم الناموس ظلاً للحق وجلب الإنجيل الحق ذاته.

❖ يدين الناموس الخطاة، وأما النعمة فتتقبلهم وتبررهم بالإيمان. إنها تقودهم إلى المعمودية المقدسة وتهبهم غفران الخطايا^٢.

ثيودورت أسقف قورش

❖ وصايا موسى هي "خدمة الدينونة"، أما النعمة بالمخلص فيدعوها "خدمة البرّ" التي فاقت في المجد...^٣

الناموس الذي يدين أُعطي بموسى، وأما النعمة التي تبرر، فقد صارت بواسطة الابن الوحيد. فكيف لا يكون المسيح فائق المجد وبما لا يمكن مقارنته؟^٣

القديس كيرلس الكبير

❖ لقد فسر بأكثر وضوح ما هو معنى "الحرف يقتل" قائلاً هكذا... أظهر الناموس الخطية، لكنه لم يسببها. "بالأولى كثيراً تزيد خدمة البرّ في مجد"، لأن هذين اللوحين بالحق أظهرتا الخطاة وقاما بمعاقبتهم؛ أما هذه الخدمة فليس فقط لم تعاقب الخطاة بل جعلتهم أبراراً، فإن هذا ما ينعم به

¹ Commentary on Matthew, 11:14

² PG 82:394.

³ Comm on John, book 1, ch. 10:17.

العماد^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بفضل مجد الروح الذي أشرق على وجه موسى والذي لم يستطع إنسان ما أن يحتل التطلع إليه ظهر بهذه العلامة كيف تتمجد الأجساد بقيامة الأبرار. هذا المجد عينه سيحسب النفوس الآمنة أهلاً لنوال الأمجاد في الإنسان الداخلي، إذ نتأمل في مجد الرب بوجه مكشوف، أي في ذات الإنسان الداخلي، يتجلى من مجد إلى مجد حسب ذات الصورة^٢.

الأب غريغوريوس بالاماس

❖ يقول بولس هذا لأنه لا يوجد مجد أعظم من الخلاص من الموت. على أي الأحوال يعدل يحكم القاضي على المذنب ويدينه، لكنه يستحق كرامة أعظم إن أظهر الرحمة، إذ يُعطى للمذنب فرصة لتصحيح طريقه^٣.

أمبروسياستر

❖ نحتاج أولاً إلى المجد الذي سيزول، وذلك من أجل المجد الفائق. وذلك كما نحتاج إلى المعرفة الجزئية التي تزول عندما تحل المعرفة الكاملة^٤.

العلامة أوريجينوس

"فإن المجد أيضاً لم يمجّد من هذا القبيل لسبب المجد الفائق" [١٠].

اختفى مجد الناموس الممجّد إلى حين أمام عظمة بهاء مجد الإنجيل الفائق. قدم البرّ والقداسة والصلاح والرحمة، وأعلن عن عظمة وغنى نعمة الله الفائقة.

❖ لم يكن ناموس موسى أكثر مجداً من أجل البهاء الذي على وجهه (خر ٣٤: ٢٩-٣٥). هذا البهاء لا يفيد أحداً وليس له مكافأة مجد. إنه بالحق أعاقه ليس خلال خطأ فيه بل خلال خطأ الخطاة^٥.

أمبروسياستر

¹ In 2 Cor. Hom 7, PG 61: 481

² The Uncreated Glory, The Triads 3:1:9 [10], p 72.

³ CSEL 81:216.

⁴ Commentary on Matthew, 10:9.

⁵ CSEL 81:216.

❖ لم يحط بولس من قدر العهد القديم بل مدحه بطريقة سامية، حيث أن المقارنة بين اثنين في الأساس متشابهين في النوع.¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نور السراج يشرق ببهاء في ظلمة الليل، أما في الظهيرة فبالكاد يُرى بل ولا يُظن أنه نور.²
ثيودورت أسقف قورش

"لأنه إن كان الزائل في مجد

فبالأولى كثيراً يكون الدائم في مجد" [١١].

يقدم لنا مقارنة بين الناموس والإنجيل، الأول مؤقت ينتهي بحلول الثاني. أما الأخير فيتعدى الزمن ويدخل بنا إلى الأبدية. بهاء وجه موسى زال بموته، أما بهاء مجد المسيح فإلهي ذاتي قائم إلى الأبد.

يقول أمبروسياستر: إلم ينكر بولس ما في الناموس من إشراق، كذلك إشراق وجه موسى (خر ٣٤: ٢٩-٣٥)، لكن هذا الإشراق لم يستمر، لأنه كان رمزاً لا حقيقة. الاختلاف بين وجه موسى ومجد المسيح كاختلاف الصورة عن الشخص الذي له الصورة.³

٣. خدمة بلا برقع

يليق بخدام الإنجيل ألا يضعوا برقعاً على وجوههم كما فعل موسى النبي، بل يكشفوا الحق الإنجيلي في كمال بهائه، فإن التدبير الإنجيلي واضح ومُقدم للجميع بروح البساطة، لا في رموز ولا في ظلال، بل في النور الإلهي الذي جاء إلى العالم ليراه الكل.

"فاذ لنا رجاء مثل هذا نستعمل مجاهرة كثيرة" [١٢].

فتحت بركات الإنجيل أمامنا باب الرجاء، وقدمت لنا يقيناً بأن الوعود الإلهية قد تحققت، وصار لنا أن ننالها، فهي للجميع. ويبقى الله عاملاً وسيعمل على الدوام لحساب الكل. مع الثقة واليقين بسمة الإنجيل بالوضوح وعدم الغموض، إذ لا يخفي عن المؤمن شيئاً. يليق بخدام العهد الجديد أن ينطقوا بالحق الإنجيلي في بساطة ووضوح حتى يمكن للكل أن يتمتعوا به.

❖ يقول بولس الرسول أن لنا رجاء في رؤية المجد، لا من النوع الذي على وجه موسى، بل الذي

¹ In 2 Cor. Hom. 7:2.

² PG 82:395.

³ CSEL 81:216.

رآه التلاميذ الثلاثة على الجبل حينما أعلن الرب عن نفسه (مت ١٧: ١-٢؛ مر ٩: ٢-٣). لهذا يليق بنا أن نتجاوب مع حب الله قدر ما نستطيع بأن نكون حارين في حبنا له، ذلك الذي إذ يطهرنا من خطايانا يهبنا هذه الثقة. الآن يلزم أن تزيد ثقتنا، لأن ما نراه أخيرًا سيكون متناسبًا مع ما نؤمن به الآن^١.

أمبروسياستر

❖ أي رجاء لنا؟ الرجاء بأن نعمة الروح لن تبطل مثل الناموس، بل تبقى حتى بعد القيامة^٢.

سفيريان أسقف جبالة

"وليس كما كان موسى يضع برقعًا على وجهه،

لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل" [١٣].

لم يتأهل شعب بني إسرائيل إن يتطلعوا إلى بهاء وجه موسى، وهو مجد مؤقت وزائل. وقد سمح الله لهم بذلك حتى يطلبوا ما هو أعظم: المجد الأبدي غير الزائل.

❖ يقول بولس بأنه لا حاجة لنا أن نغطي أنفسنا كما فعل موسى (خر ٣٤: ٣٣)، إذ نحن قادرون أن نرى المجد الذي يحيط بنا حتى وإن كان أكثر بهاءً من الأول^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لماذا يقول هذا؟ لأن من يقطن في المعنى الحرفي المجرد، ويشغل نفسه بحفظ الناموس، يكون كما لو أن قلبه قد تغلف بقبول الحرف اليهودي مثل برقع موضوع عليه. هذا يحدث له بسبب جهله بأن الحفظ الجسدي للناموس قد بطل بحضور المسيح، وذلك من أجل أن الرموز تتحول إلى حقائق للمستقبل...

ذاك الذي له القوة أن يتطلع إلى أعماق معنى الناموس، وبعد ذلك يعبر خلال غموض الحرف كما من خلال برقع لكي يصل إلى الأمور التي لا يُنطق بها يكون مثل موسى الذي ينزع البرقع عندما يتحدث مع الله. هذا يرجع عن الحرف إلى الروح.

هكذا ينطبق البرقع الذي على وجه موسى على غموض تعليم الناموس، وينطبق التأمل الروحي على الرجوع إلى الرب. مثل هذا... يصير بالأكثر مثل موسى الذي يتمجد وجهه باعلان الله.

¹ CSEL 81:217.

² Pauline Comm. From the Greek Church.

³ In 2 Cor. Hom. 7:2.

وكما أن الأشياء التي توضع بالقرب من الألوان البهية هي نفسها تحمل مسحة من البهاء المشرق حولها، هكذا ذاك الذي يركز نظره بثبات على الروح. فإنه يمجّد الرب إلى حدٍّ ما يتجلى إلى سمو أعظم، ويستتير قلبه كما ينور ينسكب من الحق الذي للروح. هذا هو "التحول" إلى مجد الروح، ليس إلى درجة شحيحة أو باهتة أو غير واضحة، وإنما كما نتوقع بالنسبة لذاك الذي يستتير بالروح^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ الحقيقة بأن العهد القديم لجبل سيناء أنتج أبناء العبودية، الآن لا يهدف سوى للشهادة للعهد الجديد. وألا تكون كلمات الرسول غير صادقة: "حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة موسى يوضع على قلوبهم"، ولكن عندما يتوجه إنسان من العهد القديم إلى المسيح "يُرفع البرقع". ما يحدث هو أن النسمات العميقة التي لأولئك الذين يحدثون تغييرًا بالتحول من العهد القديم إلى الجديد، يبدأون في التطلع إلى السعادة الروحية أكثر من الأرضية^٢.

❖ يوجد بلا شك برقع في العهد القديم، يُرفع حالما يأتي الإنسان إلى المسيح. عند الصلب انشق حجاب الهيكل (مت ٢٧: ٥١) ليعني ما قاله الرسول عن برقع العهد القديم، ففي المسيح قد أُبطل^٣.

❖ ليس العهد القديم هو الذي أُبطل في المسيح، بل البرقع الذي يحجب، حتى يفهم بالمسيح. بمعنى أنه يصير ظاهرًا مكشوفًا، وبدون المسيح يكون مخفيًا وغامضًا. يضيف نفس الرسول في الحال: "عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع". لم يقل: "يُزال الناموس أو العهد القديم". الأمر ليس كذلك! بنعمة الرب ما كان مُغطى يُزال لعدم نفعه، يُزال الغطاء الذي يخفي الحق النافع.

هذا ما يحدث للذين يطلبون بشغف وتقوى، وليس بكبرياءٍ وشرٍ، معنى الكتب المقدسة. بالنسبة لهم يُشرح لهم بوضوح نظام الأحداث وسبب الكلمات والتصرفات والتوافق بين العهدين القديم والجديد، فلا تبقى نقطة واحدة بدون اتفاق تام.

مثل هذه الحقائق السرية بلغت خلال الرموز، عندما تُحضر إلى النور. بتفسير الحقائق يُلزم الذين يرغبون في النقد إلى التعلم^٤.

¹ On the Spirit 31 (52).

² City of God 17:7.

³ Letter to Honoratus, 140:10.

⁴ The Usefulness of Belief 3:9.

القديس أغسطينوس

❖ يقول بولس أن الناموس يخفت، ويقصد بذلك أنه ينتهي في المسيح، الذي سبق فتنبأ الناموس عن مجيئه^١.

الأب ثيودورت أسقف قورش

"بل أغلظت أذهانهم،

لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف،

الذي يبطل في المسيح" [١٤].

إذ عكفوا على الحرف لا الروح، وأغمضوا أعينهم حتى لا يروا نور الإنجيل المُقدم لهم غلظت قلوبهم وامتلاؤا غباوة. وكأن البرقع الذي يحجب بهاء وجه موسى عنهم لازال قائماً. صار لهم برقع الظلمة والجهالة على قلوبهم، الذي يمنع التطلع إلى مجد الإنجيل من الإشراق عليهم.

❖ ما حدث مرة في حالة موسى يحدث باستمرار في حالة الناموس. ما يُقال ليس اتهاماً للناموس، وليس له انعكاس على موسى الذي وضع برقعاً، وإنما هو اتهام ضد ضيق أفق المهتمين بحرفية الناموس اليهودي. فإن للناموس مجده اللائق به، وإنما هم كانوا غير قادرين على معاينته. فلماذا نتعجب من أن اليهود لم يؤمنوا بالمسيح، إذ لم يؤمنوا حتى بالناموس؟^٢

❖ يوضع البرقع على قلوبهم... بسبب ذهن اليهود الثقيل الجسداني... ألا تروا أنه لم يكن البرقع على وجه موسى بل على البصيرة اليهودية؟ حدث هذا ليس لكي يخفى مجد موسى، وإنما لكي لا يروه، لأنهم لم يجدوا طريقاً للرؤية. فالعيب هو فيهم، هذا لم يجعل موسى مجهولاً في شيء ما^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ تقلب (العروس) صفحات الأنبياء كمثال، صفحة فصحة، تجد المسيح نابغاً منها. الآن إذ زال البرقع الذي غطى هذه الصفحات تدركه ببرز ويظهر من الصفحات التي تقرأها، ويندفع منا في اعلان واضح تماماً^٤.

العلامة أوريجينوس

¹ PG 82:395.

² In 2 Cor. Hom. 7:3.

³ In 2 Cor. Hom 7, PG 61: 484

⁴ The Song of Songs, Comm., Book 3:11. (ACW)

❖ "إلى هذا اليوم" لا تعني مجرد إلى وقت بولس، بل وإلى وقتنا أيضًا، وبالحقيقة إلى نهاية العالم^١.

القديس كيرلس الأورشليمي

"لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى،

البرقع موضوع على قلوبهم" [١٥].

كان اليهود يغطون رؤوسهم بالكامل ببرقع *Taliyt* (من الكلمة العبرية *Taalal* وتعني "يغطي") عند قراءة الناموس. هذا البرقع يبطل ويزول وذلك لأنه بالشركة مع المسيح تزول الظلمة، ويتجلى الحق بفكرٍ روحيٍّ صادقٍ.

❖ وجود البرقع ليس بسبب موسى، بل بسبب أذهانهم الجسدانية الفادحة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حجاب الهيكل يُمزق، لأن ما قد حُجب في يهوذا صار مكشوفًا لكل الأمم. يُمزق الحجاب، وتُعلن أسرار الناموس للمؤمنين، أما لغير المؤمنين فهي مخفية إلى هذا اليوم عينه. عندما يُقرأ موسى - العهد القديم - بصوتٍ عالٍ بواسطة اليهود في كل سبتٍ حسب شهادة الرسل "يغطي البرقع قلوبهم". إنهم يقرأون الناموس، الذي فيه الحق الكافي، لكنهم لا يفهمون، لأن أعينهم تنمو في ظلامها فلا يقدروا أن ينيروها. إنهم بالحق مثل الذين يقول عنهم الكتاب المقدس: "لهم أعين ولا يرون، ولهم آذان ولا يسمعون"^٣.

القديس جيروم

❖ غير أن الظلال تجلب الحق، حتى إن كانت ليست الحق تمامًا. بسبب هذا وضع موسى الموحى إليه إلهيًا برقعًا على وجهه، وتكلم هكذا إلى أبناء إسرائيل جميعًا. لكن بهذا العمل يصرخ بأنه يليق بالشخص أن يتطلع إلى جمال منطوقات لا خلال المظهر الخارجي الرمزي، وإنما بالتأملات الخفية فينا (٢ كو ٣: ١٥-١٦). لذلك فلنرفع البرقع عن الناموس، ونجعل وجه موسى متحررًا من كل الأغطية، لننأمل الحق عاريًا^٤.

القديس كيرلس السكندري

¹ Catechetical Lectures 15:32.

² In 2Cor. Hom. 7:3.

³ On Ps. 88 (89).

⁴ Letter, 41.

❖ مادام الإنسان لا يصغي للمعنى الروحي، يُوضع برقع على قلبه. وبسبب هذا البرقع الذي هو الفهم المتبدل، يُقال أن الكتاب نفسه موضوع عليه برقع. هذا هو تفسير البرقع الذي يُقال أنه يغطي وجه موسى عندما يتحدث مع الشعب، بمعنى عندما يُقرأ الناموس علانية. أما إذا رجعنا إلى الرب، حيث يوجد كلمة الله، وحيث يُعلن الروح القدس المعرفة الروحية، يُرفع البرقع، ونستطيع أن ننظر مجد الرب في الكتب المقدسة بوجهٍ بلا برقع¹.

❖ إشراق مجيء المسيح بإنارة ناموس موسى ببهاء الحق يرفع البرقع الذي يُعطي حرف الناموس ويُغلق عليه، وذلك لكل من يؤمن به ويخفي في داخله هذه الأمور الصالحة².

العلامة أوريجينوس

يرى العلامة أوريجينوس أن هذا البرقع الذي حجب عن أعين اليهود معرفة ربنا يسوع هو الذي دفعهم لقتله ومقاومة كنيسته.

❖ لم يقم اليهود حتى الآن ضد الأمم التي تعبد الأوثان وتجذب على الله. إنهم لا يبغضونهم ولا ينقموا منهم، بل هم ناقدون على المسيحيين، ومشتعلون بكرائية لا تخدم تجاه من هجروا الأوثان وتحولوا إلى عبادة الله³.

❖ إذ لم يبقَ لهم مذبح ولا هيكل ولا كاهن، ولم يكن بالتالي تقدمات ذبائح كانوا يشعرون بأن خطيتهم باقية فيهم، وأنه لا سبيل لهم لنوال المغفرة. إن كان الذي قتل الرب يسوع يهوديًا، فإنه لا يزال يتحمل مسؤولية هذه الجريمة إلى يومنا هذا، وذلك ثمرة عدم فهمه لما في باطن الناموس والأنبياء⁴.

العلامة أوريجينوس

يطالبهم العلامة أوريجينوس أن ينزعوا البرقع حتى تتحول أنظارهم من المفهوم الحرفي للهيكَل والذبائح إلى المفهوم السماوي:

❖ يا معشر اليهود، عندما تأتون إلى أورشليم وتجدون إنها خربت، وتحولت إلى تراب ورماد، فلا تبكوا كالأطفال (١ كو ٤). لا تحزنوا، بل أنشدوا لكم مدينة في السماء بدلاً من تلك التي تبحثون

¹ De. Principiis 1:1:2.

² De principiis 1:1:3.

³ Hom. on Psalm 36:1.

⁴ In Jer. hom. 12:13; J.W. Trigg: Origen, SCM, p. 185.

عنها هنا على الأرض. ارتفعوا بأبصاركم، فستجدون في الأعالي أورشليم الحرة التي هي أمانة جميعاً (غل ٤: ٢٦).

لا تحزنوا على غياب الهيكل هنا، ولا تيأسوا لافتقاركم إلى كاهن. ففي السماء تجدون مذبحاً وكهنة الخيرات العتيدة، على رتبة ملكي صادق، في موكبهم أمام الله (عب ٥: ١٠). فقد شاعت محبة الرب ورحمته أن ينزع عنكم الإرث الأرضي، حتى يتسنى لكم أن تطلبوا السماوي^١.

العلامة أوريجينوس

إن كان شعب الله في العهد القديم دُعي "إسرائيل" ففي رأي العلامة أوريجينوس أن هذه الكلمة تعني "الذهن الذي يعاين الله". لهذا إذ وضع برقع على ذهنهم فلم يروا الله وفقدوا هذا اللقب لكي تتقبله كنيسة العهد الجديد "إسرائيل الجديد" التي رجعت إلى الرب وتمتعت برؤية إلهية فائقة. هذا البرقع الذي حرم اليهود من الرؤية السماوية وإدراك سرّ الصليب أبقت اليهود عند مارة ليشرّبوا من مياه الناموس المرة، هذه التي يشرب منها المسيحيون فيجدونها خلال الصليب عذبة.

❖ مازال اليهود عند مارة، مازالوا مقيمين عند المياه المرة، لأن الله لم يريهم بعد الشجرة التي بها يصير الماء عذبةً. ألقى الرب بشجرة في المياه مما جعلها عذبة. أما عندما تأتي شجرة (صليب) يسوع ويسكن في داخلي تعليم مخلصي يصير ناموس موسى عذبةً، ويصير مذاقه لم يقرأه ويفهمه بالحقيقة حلواً^٢.

العلامة أوريجينوس

"ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع" [١٦].

يتحدث هنا عن حالة موسى النبي (خر ٣٤: ٣٤). ولعله يشير هنا إلى رجوع اليهود إلى الإيمان بالسيد المسيح كرب وفادٍ، فينزع عنهم برقع الجهالة وعمى الذهن وقسوة القلب، إذ يشرق عليهم النور الحقيقي، ويروا الحق بكل وضوح.

يرى الرسول إن اليهود كجماعة ستقبل الإيمان بالمسيح، ويصيروا مع الأمم قطيعاً واحداً لراعٍ واحدٍ وأسقف نفوس الكل.

❖ يلزمنا أن نستعطف الرب نفسه، الروح القدس نفسه، لكي يرفع كل سحابة وكل ظلمة تجعل رؤية

¹ In Jos. hom. 17:1.

² In Exodus hom. 7:3.

قلوبنا غامضة قاسية بوصمات الخطايا، حتى نستطيع أن نرى معرفة ناموسه الروحية العجيبة^١.

العلامة أوريجينوس

❖ غاية البرقع ليس إخفاء موسى بل منع اليهود من رؤيته، إذ كانوا عاجزين عن فعل هذا. لكن

عندما نرجع إلى الرب، فالبرقع يُرفع طبيعياً.

عندما تحدث موسى مع اليهود كان وجهه مُغطّى، ولكن عندما تحدّث مع الله رفع البرقع. هكذا

عندما نرجع إلى بالرب نرى مجد الناموس ووجه مُسلم الناموس غير مغطّيين. ليس هذا فقط، فإننا نحن سنكون في شاكلة موسى^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لنحذر لئلا ليس فقط "عندما يُقرأ موسى" بل وأيضا عندما يُقرأ بولس يوضع برقع على قلوبنا. إذا

ما سمعنا بإهمال، إن كنا لسنا غيورين للتعليم والفهم ليس فقط أسفار الناموس والأنبياء، بل وحتى الرسل والأنجيل تُغطّى ببرقع عظيم.

إني أخشى لئلا بالإهمال العظيم وبلادة القلب ليس فقط تُحجب الأسفار الإلهية بالنسبة لنا بل وتُختتم، حتى إذا ما وُضع كتاب في يدي إنسان لا يقدر أن يُقرأ وإذا يُطلب منه أن يُقرأ يقول: لا أستطيع القراءة. وإذا وضع في أيدي إنسان قادر على القراءة يقول: إنه مختوم.

لهذا فإننا نرى أنه يلزمنا ليس فقط أن تكون لنا غيرّة لتعلم الأدب المقدس، بل ونصلّي إلى الرب ونتوسل إليه نهائياً وليلاً لكي ما يأتي الحمل الذي من سبط يهوذا ويمسك بنفسه السفر المختوم ويفتحه. فإنه هو الذي يفتح الأسفار، ويلهب قلوب تلاميذه، فيقولوا: "ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا عندما فتح لنا الكتب المقدسة؟" ليته الآن يرى أننا نتأهل ليفتح لنا ما أوحى به لرسوله، ويقول: "ولكن الرب هو روح، وحيث روح الرب فهناك حرية"^٣.

العلامة أوريجينوس

❖ يظهر بولس أن الروح والله هما متساويان. حوّل موسى عينيه نحو الله (خر ٣٤: ٣٤)، ونحن

نحوّل أعيننا نحو الروح القدس. كان يصعب على بولس أن يقول بأن ما يعلنه الروح أعظم مما رآه موسى لو أن الروح مجرد مخلوق وليس هو الله نفسه^٤.

¹ In Levit. Hom 1.

² In 2 Cor. Hom. 7:4.

³ In Exod. Hom. 12.

⁴ PG 82:398.

ثيودورت أسقف قورش

❖ الشخص الذي يتبارك بروح الرب يتحرر من دينونة الناموس، لأن المواهب الروحية تعطي قوتها بالروح. علاوة على ذلك فإن العطية توهب مجاًناً للمستعدين لقبولها^١.

سفيريان أسقف جبالة

❖ اليهود هم مثل أولاد تحت إشراف معلم. الناموس هو معلمنا، يُحضرنا إلى السيد، والمسيح هو سيدنا... المعلم نخافه، والسيد يشير إلى طريق الخلاص. الخوف يحضرنا إلى الحرية، والحرية إلى الإيمان، والإيمان إلى الحب، والحب يجلب بنوة، والبنوة تجلب ميراثاً. لذلك حيث يوجد الإيمان تُوجد حرية، لأن العبد يعمل في خوفٍ، والحر يعمل بالإيمان. الأول تحت الحرف، والثاني تحت النعمة. الأول في عبودية والآخر في الروح. "وحيث روح الرب فهناك حرية"^٢.

القديس أمبروسيوس

❖ توجد فائدة لنزع برقع العروس: فعيونها أصبحت حرة بلا نقاب وتتمكن من النظر بدقة لترى محبوبها. ويشير نزع البرقع بلاشك إلى عمل الروح القدس حسب كلام الرسول: "ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع. وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢ كو ٣: ١٦-١٧)^٣.

❖ ليس في قدرة الإنسان أن يقتني مثل هذه العطية، لكن تخفي النية الإلهية وراء جسم الكتاب المقدس، كما خلف برقع، فبعض الشرائع والقصص التاريخية تغطي الحقائق التي يتأملها الذهن. لهذا يخبرنا الرسول أن الذين يتطلعون إلى جسم الكتاب المقدس ولهم برقع على قلوبهم غير قادرين أن ينظروا مجد الناموس الروحي، إذ هو مخفي وراء البرقع الموضوع على وجه واضع الناموس. لهذا يقول: "الحرف يقتل وأما الروح فيُحيي"^٤.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ "البرقع موضوع على قلوبهم"، فلا يرون أن "الأشياء العتيقة قد مضت، وهذا الكل قد صار جديداً" (٢ كو ٥: ١٧)...

¹ Pauline Comm. From the Greek Church.

² Letters to Loymen, 69.

³ Commentary on Song of Songs, Homily 10.

⁴ Against Eunomius, 7:1

لماذا هي أشياء عتيقة؟ لأنها نُشرت منذ وقت طويل.

ولماذا جديدة؟ لأنها تخص ملكوت الله.

كيف يُنزع الحجاب؟ هذا ما يخبرنا به الرسول: "ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع". إذن اليهودي الذي لا يرجع إلى الرب لا يمكن لعيني ذهنه أن تتطهر حتى النهاية. وذلك كما في هذا الزمان، أبناء إسرائيل في هذا المثال لا يحملون بصيرة ليعاينوا إلى النهاية، أي إلى وجه موسى. فإن وجه موسى المشرق يحوي رمزاً للحق، والبرقع يعترض الرؤيا، لأن أبناء إسرائيل لم يستطيعوا حتى الآن أن يروا مجد ملامحه.

أي رمز قد بطل؟ هكذا يقول الرسول: "الذي يبطل". لماذا يبطل؟ لأنه إذ يحضر الإمبراطور تبطل صورته^١.

❖ فان العهد القديم من جبل سيناء يجلب عبودية، ولا ينفع شيئاً ما لم يحمل شهادة للعهد الجديد. مادام موسى يُقرأ والبرقع على قلوبهم، ولكن إذ يرجع أحد إلى المسيح يبطل البرقع^٢.

❖ كلما ازداد عدد البراقع كرم ذلك الذي خلفها حتى وإن لم تدركه. لأن من هو أكثر كرامة تتدلى بالأكثر البراقع في قصره. تغطي البراقع المحفوظ وراءها مكرماً سرياً، ومن يكرمها تنزع عنه البرقع، أما الذي يحتقرها فيطرد لكي لا يمسخها. فإننا إذ نرجع إلى المسيح، يبطل البرقع^٣.

❖ يقول الرسول نفسه أن كل كنوز الحكمة والمعرفة مخفية فيه. هذه الكنوز لم يخفها لكي تُرفض، إنما لكي يثير الشوق إليها لأنها مخفية. هذا هو نفع الأمور السرية. كرم حتى ما لم تفهمه فيه. وكلما كانت كرامتها أكثر يزداد عدد الستائر التي تخفيها. الإنسان ذو المرتبة السامية يعلق ستائر أكثر في بيته. الستائر تضيف كرامة لما تحفظه سرّاً، أما الذين يكرمونها فترفع عنهم الستائر. أما الذين يسخرون من الستائر فيخيبون ويمنعون من الاقتراب إليها. لذلك إذ نرجع إلى المسيح يبطل البرقع^٤.

القديس أغسطينوس

❖ "ملكوت الله في داخلكم" (لو ١٧: ٢١)... وذلك من أجل التوبة عن الحرف إلى الروح الحي؛ "إذ

¹ Sermons on New Testament Lessons, 24:5.

² The City of God, 17:7.

³ Sermons on New Testament Lessons, 1:5

⁴ Sermons for Christmas and Epiphany (ACW), 1:5

يرجع أحد إلى الرب يُرفع البرقع".^١

العلامة أوريجينوس

"وأما الرب فهو الروح،

وحيث روح الرب هناك حرية" [١٧].

يقدم لنا بركة التمتع بالروح عوض الحرف، مؤكدًا أن مؤمني العهد الجديد سعداء لثلاثة أمور:

أولاً: التمتع بالنور عوض الظلمة.

ثانيًا: التمتع بالحرية الداخلية.

ثالثًا: تجديد الطبيعة حتى نصير أيقونة المسيح.

هنا يتحدث عن الحرية، فإذا يعمل الروح القدس خلال تدبير الخلاص الذي قدمه لنا السيد المسيح يتمتع المؤمن بالحرية من حرفية الناموس وعبودية الفساد، فيجد نفسه ملتصقًا بالله، تتناغم إرادته مع إرادة الله. يتحرر القلب من عبودية الأنانية، فيتسع بالحب نحو كل البشرية، ويجري في طريق الوصية الإلهية المتسعة.

يرى البعض إن الرسول يعني بالروح هنا الإنجيل الذي نتمتع به بالروح لا بالحرف. فحيث ننعم بإنجيل الرب ننال بالنعمة الإلهية التي تحررنا ليس فقط من الحرف اليهودي القاتل وإنما أيضًا من الخطية وسلطانها وفسادها وموتها.

❖ يليق بنا أن نعلم أن نزع هذا البرقع هو نوع من النعمة، لأنه يليق بالعين أن تكون حرة من كل عائق، حتى يمكنها أن تبصر جمال الحبيب.^٢

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ أي إنسان يسعى إلى الوصول إلى كمال التعليم الإنجيلي، هذا الذي يعيش تحت النعمة، لا يسقط تحت سلطان الخطية، لأن البقاء تحت النعمة معناه العمل بالأمور التي تأمر بها النعمة. أما الإنسان الذي لا يخضع نفسه للمطالب الكاملة الخاصة بكمال الإنجيل، فيلزمه ألا يجهل أنه وإن كان قد اعتمد، وإن صار راهبًا، لكنه بالرغم من هذا فهو ليس تحت النعمة، إنما مقيد بقيود الناموس ومُتَقَلِّ بأثقال الخطية. لأن ذاك الذي وهب نعمة التبني ويقبل الذين يقبلونه، يرغب في

¹ Commentary on Matthew, 10:14

² من مجدٍ إلى مجدٍ، فصل ٥١:٣.

أن يضيف إلى البناء لا أن يهدمه، إذ أراد أن يكمل الناموس لا أن يهدمه.

إذ لا يفهم البعض هذا الأمر، مهملين نصائح المسيح الرائعة ومواعظه، يتخذون من الحرية فرصة للإهمال والتهور الزائد، حتى أنهم يعجزون عن تنفيذ أوامر المسيح كأنها صعبة جدًا، محتقرين أيضًا وصايا الناموس الموسوي^١ كأمر عتيق، مع أن الناموس قدمها للمبتدئين والأطفال. بهذا ينادون بالحرية الخطيرة التي يلعبها الرسول قائلين "أنخطئ^٢ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟" (رو ٦: ١٥). هؤلاء ليسوا تحت النعمة، لأنهم لم يتسلقوا قط مرتفعات تعاليم الرب. ولا هم تحت الناموس، لأنهم لم يقبلوا حتى تلك الوصايا البسيطة التي للناموس. هؤلاء إذ هم ساقطون تحت سلطان الخطية المزدوج يظنون أنهم قد قبلوا نعمة المسيح... ويسقطوا فيما يحذرنا منه الرسول بطرس قائلاً: "كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر" (١ بط ٢: ١٦). ويقول الرسول بولس الطوباوي: "فإنكم إنما دُعِيتُم للحرية أيها الاخوة. غير أنه لا تُصَيِّرُوا الحرية فرصة للجسد" (غل ٥: ١٣)، أي دُعِيتُم للتحرر من سلطان الخطية، وليس معنى إبعاد أوامر الناموس بمثابة تصريح بعمل الخطية. وعلّمنا الرسول بولس أن هذه الحرية لا توجد إلا حيث يوجد الرب، إذ يقول: "وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢ كو ٣: ١٧)^٢.

الأب ثيوداس

"ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوفٍ كما في مرآة،

نتغير إلى تلك الصورة عينها،

من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح" [١٨].

إذ ننعم بالنور الإلهي والحرية الحقيقية تتجدد طبيعتنا وتنمو كل يوم لكي نتشكل ونصير أيقونة المسيح خالقنا. نرتفع كما من مجدٍ إلى مجدٍ. هكذا يتذوق المؤمن خبرة يومية ومعرفة عملية خلال قوة الكلمة المجددة على الدوام.

كان اليهود عاجزين عن التطلع إلى وجه موسى وسيط العهد القديم، فكان لزامًا إن يضع على وجهه برقعًا. أما نحن فصار لنا الوجه المكشوف لنرى كما في مرآة كيف تتشكل طبيعتنا كل يوم حسب الوعود المجيدة التي لإنجيل المسيح وذلك بفعل الروح القدس "الرب الروح".

❖ يظهر أنه ليس ممكنًا للنفس أن تتحد بالله غير الفاسد بأية وسيلة ما لم تصر تقريبًا طاهرة خلال

^١ يقصد الوصايا وليس الذبائح اليهودية الرمزية، لأن هذه لا يجوز العودة إليها بعدما جاء الرمز (السيد المسيح).

^٢ Cassian: Conferences, 21:32

عدم الفساد، حتى تنعم الشبه بالشبه، وتقيم نفسها كمرآة تنطلع نحو نقاوة الله، فيتشكل جمال النفس بالشركة في الجمال الأصلي والتمتع بانعكاسه عليها^١.

❖ مادمننا قابلين للتغيير فالأفضل أن نتغير إلى ما هو أفضل: "من مجدٍ إلى مجدٍ". وهذا يجعلنا نتقدم دائماً نحو الكمال بالنمو اليومي، مع عدم الاكتفاء بحدود معينة نحو الكمال. يعني عدم التوقف نحو ما هو أفضل، وعدم وضع أية حدود نقف عندها في نمونا^٢.

❖ نحن نرى الآن العروس يقودها الكلمة إلى أعلى درجات الفضيلة، إلى علو الكمال. في البداية، يرسل لها الكلمة شعاعاً من نورٍ من خلال شبابيك الأنبياء وكوى الوصايا. ثم يشجعها على أن تقترب من النور، وتصير جميلة بواسطة تحويلها إلى صورة الحمامة في النور. وفي هذه المرحلة تأخذ العروس من الخير قدر ما تستطيع. ثم يرفعها الكلمة لكي تشارك في جمال أعلى لم تتذوقه من قبل. وبينما هي تتقدم تنمو رغبتها في كل خطوة، لأن الخير غير محدود أمامها. وتشعر باستمرار مع حلول العريس معها أنها قد ابتدأت صعودها للنور فقط. لذلك يقول الكلمة للعروس التي أقامها من النوم: "انهضي". وإذ جاءت إليه يقول لها: "تعال"، لأن الشخص الذي دعاها للنهوض بهذه الطريقة في استطاعته أن يقودها إلى الارتقاء والنهوض بها إلى مستوى أعلى.

الشخص الذي يجري نحو الله ستكون أمامه مسافات طويلة. لذلك يجب علينا أن نستمر في النهوض، ولا نتوقف أبداً عن التقرب من الله. لأنه كلما قال العريس: "انهض" و"تعال" فإنه يعطي القوة للارتقاء لما هو أفضل. لذلك لا بد أن تفهم ما يأتي بعد في النص. عندما يحفز العريس العروس الجميلة لكي تكون جميلة فهو يذكرنا حقاً بكلمات الرسول الذي يطلب منا أن نسلك سلوكاً فاضلاً لكي **نتغير من مجدٍ إلى مجدٍ (٢ كو ٣: ١٨)**. وهو يعني بكلمة "مجد" ما فهمناه وحصلنا عليه من بركة في وقت من الأوقات، ولا يهم مقدار ما حصلنا عليه من مجدٍ وبركةٍ وارتقاءٍ، لأنه يُعتقد أننا حصلنا على أقل مما نأمل في الحصول إليه. ولو أنها وصلت إلى جمال الحمامة بما قد حققه إلا أن العريس يأمرها بأن تكون حمامة مرة أخرى بواسطة تحويلها إلى شيءٍ أفضل. فإذا حدث ذلك فإن النص سوف يُظهر لنا شيئاً أفضل من هذا الاسم "حمامة"^٣.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

¹ Concerning Virginity 11. PG 46:368 BC.

^٢ من مجدٍ إلى مجدٍ، تعريب القمص إشعيا ميخائيل، ١٩٨٤، فصل ٢:١.

³ Commentary on Song of Songs, Homily 5.

❖ لا يشير هذا إلى الأمور التي ستنتهي بل إلى الأمور الباقية. الروح هو الله، ونحن نرتفع إلى مستوى الرسل، لأننا جميعًا سنراه معًا بوجوه مكشوفة. إذ نعتمد تتلاً النفس أكثر بهاءً من الشمس. إذ تتطهر بالروح، ليس فقط نعاين مجد الله، بل ونقبل منه نوعًا من الإشراق¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نتغير من معرفة الناموس إلى نعمة الروح. يجب أن نتذكر أننا نأتي من مجد الروح العامل فينا إلى مجد ميراثنا كأبناء. هذا هو عمل الروح، إذ يليق أن نفهم هنا كلمة "الرب" بمعنى الروح لا ابن الله².

سفيريان أسقف جبالة

❖ مع أن القول "كما في مرآة" يشير أنه ليس جوهريًا، إلا أنه يظهر بوضوح أننا على أي الأحوال نطلب أن نكون شبيهه³.

القديس مار إسحق السرياني

❖ يسير الأمر هكذا: أعلن العهد القديم عن الآب علانية والابن بطريقة أكثر غموضًا. وأعلن العهد الجديد عن الابن وأوحى بلاهوت الروح. الآن الروح نفسه يسكن بيننا ويمدنا ببراهين أوضح عن نفسه. فإنه ليس من الأمان أنه عندما لم يُعرف لاهوت الآب بعد أن يُعلن عن الابن بوضوح، ولا عندما لا نتسلم لاهوت الابن أن نتحمل (إن تجاسرت بهذا التعبير) بالأكثر بلاهوت الروح القدس... لهذا السبب أظن أنه هكذا جاء الروح تدريجيًا ليسكن في تلاميذه، ويملاهم حسب إمكانية قبولهم له: في بدء الإنجيل، وبعد الآلام، وبعد الصعود، وعندئذ جعل قوتهم كاملة، إذ حلّ عليهم وظهر في السنة نارية. حقًا قد أعلن يسوع عنه قليلًا كما ستتعلمون بأنفسكم متى قرأتم بأكثر انتباه⁴.

القديس غريغوريوس النريزي

❖ أتريدون أن تعرفوا طريقًا آخر فيه تُحسبون لعجائب أعظم؟ كان اليهود في أيامهم عاجزين عن رؤية وجه موسى متجليًا مع أنه كان العبد رفيقهم وقريبهم. أنتم ترون وجه المسيح في مجده. لقد

¹ In 2Cor. Hom. 7:5.

² Pauline Comm. From the Greek Church.

³ Ascetical Hom. 2.

⁴ The Theological Orations. 4:26.

صرخ بولس عاليًا، قائلاً: "نحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجوه مكشوفة". في ذلك الوقت كان المسيح يتبع اليهود، أما الآن فهو يتبعنا بالأكثر... الآن هو يتبعنا، فلسنا فقط نشكر موسى (الجديد) بل وشكرًا لاستعداد طاعتكم. لأن اليهود جاءوا في البرية بعد مصر، أما أنتم فستأتون إلى السماء بعد خروجكم. كان موسى قائدًا لهم ورئيسًا ممتازًا، أما نحن فلنا موسى آخر، الرب، يقودنا ويأمرنا¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لست أظن أن هذا أمر مخيف (أقصد بذلك أن طبيعتنا متغيرة). ليكن التغير إلى الأفضل، فيكون لنا نوع من الجناح لنطير إلى الأمور الأعظم. لهذا ليته لا يحزن أحد إن رأى في طبيعته ميلًا للتغير. لتتغير في كل شيء إلى ما هو أفضل. ليتغير الشخص من مجدٍ إلى مجدٍ، فيصير أعظم خلال النمو اليومي، والكمال المستمر دون بلوغ حد الكمال بسرعة هكذا. فإن هذا هو الكمال الحقيقي، ألا تقف في النمو نحو ما هو أفضل وألا تضع حدًا للكمال².

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ لم يدعُ الروح الرب فحسب، وإنما أضاف: "حيث روح الرب هناك حرية". هكذا نحن جميعًا بوجه مكشوف، بانعكاس مجد الرب نتشكل من جديد إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح، بمعنى نحن الذين قد رجعنا إلى الرب، كما بفهمٍ روحيٍ لكي نرى مجد الرب، كما في مرآة الكتب المقدسة، الآن نتغير من ذاك المجد الذي يردنا إلى الرب، إلى المجد السماوي³.

القديس أمبروسوس

❖ تعبير الرسول "وجهًا لوجه" لا يلزمنا أن نعتقد أننا سنرى الله بوجه جسدي فيه عينا الجسد، إذ سنراه بدون توقف في الروح. لو لم يشر الرسول إلى الوجه في الإنسان الداخل ما كان يقول: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوفٍ كما في مرآةٍ، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجدٍ كما في الرب". فإنه بالإيمان نقرب إلى الله، والإيمان هو عمل الروح لا الجسد⁴.

القديس أغسطينوس

نلاحظ أن الرسول في هذا الأصحاح تحرك من الدفاع عن رسوليته ونجاح خدمته في كورنثوس

¹ The Third Instruction 3:25.

² On Perfection.

³ Of the Holy Spirit.

⁴ The City of God, 22:30.

كما في أماكن أخرى إلى إبراز عظمة خدمة العهد الجديد ومجدها لكي يتمتع بها كل المؤمنين:

أولاً: خدمة العهد القديم مجيدة كما حدث عند استلام موسى النبي للشرعة على جبل موسى، لكن الشعب خشي الموت، وطلبوا ألا يتحدث الله معهم حتى لا يموتوا (خر ٢٠: ١٩؛ تث ١٨: ١٦) فنالوا روح العبودية للخوف (رو ٨: ١٥). أما نحن فنلنا روح القوة والحب (٢ تي ١: ٧)، روح التبني لله الآب (٢ كو ١٢: ١٨-٢٤).

ثانياً: موسى الذي أضاع وجهه كان خادماً للناموس منقوش على لوح حجارة، أما الرسل فهم خدام العهد الجديد أو إنجيل المسيح المنقوش بالروح القدس في قلوب المؤمنين اللحمية لا الحجرية.

ثالثاً: قدم موسى الحرف الذي يقتل، أما الرسل فقدموا الإنجيل بالروح الذي يحيي.

رابعاً: نال موسى مجداً، وأشرق وجهه لكن إلى حين، أما المجد الذي نناله من المسيح فهو دائم النمو، به نرتفع من مجدٍ إلى مجدٍ حتى نبلغ الأمجاد الأبديّة.

خامساً: كان الناموس مُعلنًا خلال رموز وظلال غامضة، أما إنجيلنا فجاء واضحاً وبسيطاً.

سادساً: رأى اليهود مجد موسى الزائل في الخارج عنهم، أما المسيحيون فيرون شخص المسيح ساكنًا فيهم. هم رأوه في وجه موسى، أما نحن فنراه في داخلنا كما في مرآة تعكس بهاء مجده السماوي.

من وحي ٢ كو ٣

إني أقرأ عملك في قلوب شعبك!

❖ رأيتك يا مخلصي في قلوب شعبك.

لمست نعمتك الغنية في أعماقهم.

كغارسٍ ألقى ببذار كلمتك على مسامعهم،

وأنت يا واهب الحياة تقدم لهم النمو!

❖ إنجيلك مفرح للغاية.

يشعل قلبي بنار الحب لك ولكل البشرية.

وهبتي أن أقرأ عملك في قلوب شعبك.

لست أقرأ حروفًا مكتوبة بالحبر،

ولا منقوشة على حجارة.

بل هي لغة روحك القدوس الناري.

تقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم.

تسجل إنجيلًا حيًا يقدس النفس والجسد معًا.

❖ قلبي متهلل، لأنك دخلت بي إلى عهد النعمة.

نعمتك تهبني تقديسًا فائقًا.

نعمتك تسندني فلا أكسر الحرف.

لا يعود الحرف يقتلني، لأن روحك يحييني.

❖ استلم موسى النبي ناموسك،

فأشرق وجهه ببهاء سماوي فائق.

وضع الشعب الإسرائيلي برقعًا على وجه موسى.

إذ لم يستطيعوا معاينة إشراقائك على وجهه.

الآن وهبتي نعمتك.

تتجلى في قلبي كما على جبل تابور.

وتتملى أعماقي بأنوار فائقة.

أدخلتني إلى أمجاد فائقة.

نزعَت الحجاب لكي أدخل مقادسك،

هناك ألتقي بك يا واهب المجد!

❖ أرجع دومًا إليك،

فلا يكون للبرقع موضع فيّ.

لا تقدر قوة أن تحجب بهاء مجدك عن بصيرتي.

لا يمكن لأحد أن يخفي الحق الإلهي عن أعماقي!

❖ إنجيلك صار مفتوحًا أمامي.

وأبواب السماء تفيض عليّ بأسراركَ.

أتطلع إلى مجدك بوجه مكشوف كما في مرآة.

تحملني من أمجاد إلى أمجاد،

حتى تدخل بي إلى يوم مجيئكَ العجيب.

لك المجد يا واهب المجد لمحبيك!

الأصحاح الرابع

الأمانة في الخدمة

إذ تحدث عن علاقات الحب المتبادلة بين الراعي ورعيته (ص ٢)، وكشف عن مجد خدمة العهد الجديد التي أوتمن عليها (ص ٣) يحدثنا الآن عن أمانته في الخدمة وسط الآلام والأتعاب.

١. المثابرة في الخدمة ٢-١.
٢. رفض الأشرار للنور ٣-٤.
٣. استقامة الخدمة ٥-٧.
٤. آلام الخدمة والعون الإلهي ٨-١٨.

١. المثابرة في الخدمة

بعد أن أعلن عن مجد الخدمة نراه يبرر نفسه من الاتهام الذي وجهه المعلمون الكذبة ضده وضد العاملين معه، بأنهم مخادعون. ولعلمهم قلبوا الموازين حينما استغلوا آلام الرسول ومن معه وضيقاتهم كدليل على عدم رضى الله عليهم، وتخلي النعمة الإلهية عنهم.

"من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة كما رُحِمنا لا نفشل [١]."

بينما يتطلع المعلمون الكذبة إلى كثرة آلام الرسول والعاملين معه كعلامة غضبٍ إلهي، يرى الرسول في هذه الآلام رحمة الله الفائقة التي وهبهم بركة وكرامة قبول الآلام من أجل الخدمة، فدفعت بالأكثر إلى الرجاء المفرح، مؤكداً: "لا نفشل!" وكأنه يقول: "إننا نواجه مصاعب كثيرة، لكننا في هذه كلها نختبر نعمة الإنجيل المفرح، لن يتسلل روح الفشل أو اليأس إلى قلوبنا".

خلال الرحمة الإلهية والنعمة تسلم بولس العمل الرسولي (رو ١: ٥)، وخلالهما تسلم القوة للمثابرة في هذا العمل. "وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة" (١ تي ١: ١٢). كثيرون من الأبطال والعظماء يعانون من الشعور بالفشل الداخلي حتى وإن مجدهم الملايين من البشر، لأنهم لا يتلامسوا مع رحمة الله ونعمته ويدركوا القوة الداخلية التي تسندهم. أما الرسول بولس فيقول: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة" (١ كو ١٥: ١٠).

❖ ينسب بولس مثابرته لا لاستحقاقه البشري بل لرحمة الله، التي في البداية تطهر الشخص ثم

تجعله بارًا، وتتنبأه ابنًا لله، وتهبه مجدًا كمجد ابنه^١.

أمبروسياستر

❖ تُنسب هذه المثابرة (في الخدمة) لمحبة الله المترفقة، فإننا ليس فقط لا نسقط تحت ثقل تجارينا بل ونفرح ونتكلم بجسارة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بل قد رفضنا خفايا الخزي،

غير سالكين في مكر،

ولا غاشين كلمة الله،

بل باظهار الحق،

مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله" [٢].

أراد الرسول أن يسلك بلا لوم، فلم يسمح لنفسه أن يمارس أي خزي أو أي عارٍ يفعله الأشرار ولو خفية في الظلام، يرى البعض أنه يتحدث هنا عن تصرفات بعض المعلمين الكذبة خاصة الذين من أصل يهودي، الذين يمارسون أخطاء جسدية في الخفاء. هذا ما دفع البعض إلى الوقوف في صف ذاك الذي أخطأ مع زوجة أبيه.

لم يسلك الرسول في مكر *Panourgia* بل في بساطة كاملة وقلب مفتوح، فلا يغطي تصرفاته بمظاهر برّاقة تخفي وراءها شيئاً رديئاً.

❖ من يقوم بدور قيادي يلزمه أن يكون أكثر بهاءً من أي كوكبٍ منيرٍ، فتكون حياته بلا عيب، يتطلع الكل إليه ويقتدون بسلوكه^٣.

❖ "ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج، لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس" (١ تي ٣: ٧) ... حتى الوثنيون يوقرون الإنسان الذي بلا عيب. لذلك لبيتنا نحن أيضاً نعيش هكذا حتى لا يقدر عدو أو غير مؤمن أن يتكلم عنا بشراً. لأن من كانت حياته صالحة يحترمه حتى هؤلاء، إذ بالحق يغلق أفواه حتى الأعداء^٤.

^١ CSEL 81:220.

^٢ In 2 Cor. Hom. 8:1.

^٣ الحب الرعوي، ١٩٦٥، ص ٦٥٤.

^٤ الحب الرعوي، ١٩٦٥، ص ٦٥٥.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لم يغش الرسول ومن معه كلمة الله، بل ينطقون بالحق الإنجيلي في وضوح. يرى البعض إن الرسول يلمح هنا إلى ما يفعله المقامرون المخادعون والمساومون في الأسواق الذين يخلطون الأمور الصالحة بالفاصلة.

يقدم الرسول ومن معه الحق من كل ضمائرهم لكي تتمتع به ضمائر السامعين، إنها خدمة القلب للقلب. كما ينطق الخدام الحقيقيون بالحق لا لهدف آخر غير محبة الحق ذاته، لهذا لا يباليون بحكم الآخرين عليهم إنما يهتمون بشهادة ضمائرهم الخفية حتى وإن ولم يظهروها، أي شهادة أعماقهم التي يراها الله وحده.

❖ يتحدث بولس هنا عن الختان حيث التزم به سرًا الرسل الكذبة الداخلون حديثًا من الأمم إلى الإيمان¹.

ثيودورت أسقف قورش

❖ إذ نعرف أن المسيح هو النور الحقيقي (يو ١: ٩)، ليس فيه بطلان (١ تي ٦: ١٦)، نتعلم هذا: أنه من الضروري لحياتنا أيضًا أن تستنير بأشعة النور الحقيقي. لكن الفضائل هي أشعة شمس البر (مل ٣: ٢٠) تتبعث لإنارتنا، خلالها نخلع أعمال الظلمة (رو ١٣: ١٢) حتى نسلك بلياقة كما في النهار (رو ١٣: ١٣)، ونرفض خفايا الخزي [٢]. إذ نفعل كل شيء في النور نصير النور ذاته، الذي يشرق على الآخرين (مت ٥: ١٥-١٦)، وهو نوع مميز من النور. وإن عرفنا المسيح أنه "تقديس" (١ كو ١: ٣٠)، الذي فيه كل عمل يكون راسخًا ونقيًا، فلنبرهن بحياتنا أننا نحن أنفسنا مشاركون حقيقيون في اسمه، نتناغم في الفعل والكلام مع قوة تقديسه².

❖ يلزمنا أن نتعري من كل هذه الأغطية التي تعرينا، الملابس الجلدية، أي حكمة الجسد. يلزمنا أن نجحد كل الأمور المخزية التي تُصنع في الخفاء ولا نتغطي بأوراق تين هذا العالم المرّ. عندئذ إذ نمزق هذه الاغطية التي لأوراق هذه الحياة القابلة للهلاك يليق بنا أن نقف ثانية في نظر خالقنا، ونصد كل خداعات التدنق والنظر، ونأخذ وصايا الله وحدها قائدًا لنا عوض السم الذي تبثه الحياة³.

¹ PG 82:399.

² On Perfection.

³ On Virginité, 12.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ انظروا كيف يضيء نوره قدام الناس فيروا أعماله الصالحة^١.

القديس أغسطينوس

٢. رفض الأشرار للنور

"ولكن إن كان إنجيلنا مكتومًا،

فإنما هو مكتوم في الهالكين" [٣].

إن كان الإنجيل الذي يكرز به الرسول مكتومًا *Kekalummenon*، أي محتجبًا، أو وُضع عليه بُرُقع كما على وجه موسى، فهذا بالنسبة للذين بإرادتهم صاروا عميًا. وإذا ما وُضع برقع على قلب إنسان، فهذا دليل على أنه صار من الهالكين تحت سلطان الخطية، الذين أسلموا أنفسهم للشر. لقد جاء يسوع المسيح لخراف إسرائيل الضالة (مت ١٠: ٦؛ ١٨: ١١؛ لو ٩: ١٠)، يطلب ويخلص ما قد هلك. إنه الراعي الصالح الذي يترك التسعة وتسعين في البرية ويبحث عن الخروف الضال (مت ١٨: ١٢؛ لو ١٥: ٤).

ما يوضحه الرسول هنا أنه إن كان الإنجيل مكتومًا فليس العيب في الإنجيل ولا في الخدام، بل في الذين أصروا إن تبقى نفوسهم في الضياع والدمار، ولم يستجيبوا للنداء الإلهي.

❖ إنه مكتوم لغير المؤمنين وحدهم. إنه ليس مخفيًا عن كل أحد كما كان وجه موسى مخفيًا عن كل إسرائيل في العهد القديم^٢.

سفيريان أسقف جبالة

"الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين،

لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله" [٤].

العلة الأخرى لبقاء الإنجيل مكتومًا بالنسبة للبعض هي تجاوبهم مع إله هذا الدهر الذي يعمي بصيرة غير المؤمنين الداخلية، ويظلم فهمهم، ويثير فيهم الإجحاف والعصيان لكي يبقوا تحت سلطان ظلمته في جهالة وتمرد، ويحرموا من النور الإلهي.

ماذا يعني بإله هذا الدهر سوى رئيس هذا العالم (يو ١٦: ١١)، فقد سقطت ممالك العالم وأمجاده

¹ Sermons on New Testament Lessons, 4:1.

² Pauline Comm. From the Greek Church.

تحت سلطانه (مت ٨ : ٩).

ويرى البعض أنه يقصد هنا الله نفسه الذي إذ يرفع نعمته عنهم بسبب إصرارهم على العصيان يجرمهم من النور، وكما قيل: "تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تتظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وأذانهم ثقل سماعها وغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (مت ١٣ : ١٤-١٥؛ إش ٦ : ٩). "كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعبوئاً حتى لا يبصروا، وآذانا حتى لا يسمعوإ إلى هذا اليوم" (رو ١١ : ٨). وقد جاء في (١ تي ١ : ١٧) عن الله أنه "ملك الدهور".

❖ لا يشير إله هذا العالم إلى الشيطان، ولا إلى خالق آخر كما يقول أتباع ماني، بل إلى إله المسكونة الذي أعمى أذهان غير المؤمنين الذين من هذا العالم. في العالم العتيد لا يوجد غير مؤمنين، إنما هم موجودون في هذا العالم وحده^١.

❖ إننا نؤكد أن هذه العبارة تتحدث لا عن الشيطان بل عن إله الكل^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه يعني إله السماء، وليس فقط إله هذا (الدهر)، بل إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ بل وليس إله هؤلاء فقط بل إله الجميع^٣.

القديس ثيوفيلوكت

يرى كل من القديسين إيريناؤس ويوحنا الذهبي الفم وأغسطينوس والعلامة ترتليان والأب ثيودورت وغيرهم أن النص يعني: "أعمى الله أذهان غير المؤمنين الذين من هذا الدهر".

❖ لو لم يكن الابن وحده هو النور الحقيقي، وكانت المخلوقات تشترك معه في هذه السمة أيضاً... فلماذا يصرخ القديسون بصوت عالٍ، طالبين من الله: "أرسل نورك وحقك" (مز ٤٣ : ٣)؟... إن كان الإنسان غير محتاج إلى الكلمة الذي ينير، فلأي هدف يطلب منه القديسون أن ينيرهم، إن كان لا يستطيع أن يعينهم؟

إذن، الابن الوحيد الجنس مختلف بالطبيعة عن المخلوقات، إذ هو النور الذي يضيء للذين بلا نور...

¹ In 2 Cor. Hom. 8:2.

² In 2 Cor. Hom 8:2. PG 61:493.

³ Theophylact. PG 124:236A.

إذا كنا نحتاج إلى النور من آخر، فنحن بكل وضوح لسنا النور الحقيقي. لذلك ليس لنا نحن ذات طبيعة الكلمة، هذا الذي بالطبيعة يفوقنا بغير قياس¹.

❖ النور ليس هو المسئول عن مرض غير المستيرين، لأنه كما يُشرق نور الشمس على الكل، ولا يستفيد منه الأعمى دون أن نلوم الشمس، وإنما نلوم المرض الذي أصاب العينين، هكذا أثار الكلمة، ولكن الخليفة المريضة لم تقبل النور. هكذا النور الحقيقي، الابن الوحيد، الذي ينير الكل، لكن "إله هذا الدهر" كما يقول بولس: "أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا يضيء لهم نور معرفة الله ويشرق عليهم"² [٤].

القديس كيرلس الكبير

❖ كل غير مؤمن هو من هذا العالم. ليس أحد غلب العالم وصار مستحقاً للعالم العتيد معمي في فهمه، لأن عينيه قد استارتا³.

القديس ديديموس الضيرير

❖ يقول بولس أن عدم الإيمان قاصر على هذا العالم، لأن في العالم القادم سيكون الحق واضحاً لكل أحد⁴.

ثيودورت أسقف قورش

❖ أيها الأبناء، معلمنا يماثل الله أباه... إنه بلا خطية وبلا لوم... الله الظاهر في شكل بشري يحقق إرادة أبيه. إنه الله الكلمة، الذي في حضن الآب، وأيضاً عن يمين الآب، في ذات طبيعة الله. إنه الصورة التي بلا عيب (٢ كو ٤: ٤). يليق بنا أن نتشبه بهذا في الروح قدر المستطاع... لكن يلزمنا أن نجاهد بكل قدرتنا أن نكون بلا خطية قدر الإمكان. ليس شيء أهم لنا من اقتلاع أي انحراف مخطئ اعتدنا عليه.

الكمال العلوي بالطبع هو عدم الخطأ نهائياً بأية طريقة، هذا لا يُقال إلا عن الله وحده. السمو الذي يليه هو ألا يرتكب الإنسان الخطأ عن عمد، هذا الحال يليق بالإنسان صاحب الحكمة.

¹ Comm. On John, book 1, ch. 8.

² Comm. On John, book 1, ch. 9:24.

³ Pauline Comm. From the Greek Church.

⁴ PG 82:399.

في الدرجة الثالثة لا يأتي عدم الخطأ إلا في ظروف نادرة، وهذه علامة الإنسان المثقف جدًا. أخيرًا في أدنى الدرجات يلزمنا أن نؤجل الخطأ إلى لحظات قليلة، لكن حتى هذا يخص الذين يُدعون لإصلاح ما أصابهم من خسارة وتوبتهم كخطوة في طريق الخلاص^١.

القديس إكليمنضس السكندري

❖ إنه الصورة الواحدة معه في ذات الجوهر. ولأنه هو من الآب وليس الآب منه، فإن هذه هي طبيعة الصورة، إنها من نتاج الأصل الذي تحمل اسمه. ولكن هنا يوجد ما هو أكثر من ذلك. ففي اللغة العادية الصورة هي ممثل ساكن لما هو متحرك، أما في هذه الحالة فإنها صدور حي عن الكائن (الواحد) الحي ويشبه بالأكثر صدور شيث عن آدم (تك ٥: ٣)، أو أي ابن عن أبيه^٢.

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ بماذا يشبه وجه الله؟ صورته. بالتأكيد كقول الرسول بأنه صورة الآب في ابنه (كو ١: ١٥). بصورته يشرق علينا، بمعنى يشرق صورته، الابن، علينا لكي يشرق هو علينا، لأن نور الآب هو نور الابن. من يرى الآب يرى أيضًا الابن، ومن يرى الابن يرى الآب. حيث لا يوجد اختلاف بين مجدٍ ومجدٍ، فإن المجد هو واحد بعينه^٣.

القديس جيروم

❖ ابن الله هو الكلمة والبر. لكن كل خاطئ هو تحت سطوة رئيس هذا الدهر [٤] حيث أن كل خاطئ يصير صديقًا للدهر الحاضر الشرير. إذ لا يُسلم نفسه لذلك الذي بذل ذاته عن خطايانا ليخلصنا من الدهر الحاضر الشرير، وينقذنا حسب إرادة إلهنا وأبيننا، كما جاء في الرسالة إلى أهل غلاطية (١: ٤). الشخص الذي بإرادته يخطئ هو تحت طغيان رئيس هذا الدهر، وتحكمه الخطية. لهذا يأمرنا بولس ألا نخضع بعد للخطية التي تريد أن تسيطر علينا. فقد أوصانا بالكلمات التالية: "إذا لا تملكن الخطية في جسدكم المانت لكي تطيعوها في شهواته" (رو ٦: ١٢)^٤.

العلامة أوريجينوس

¹ Paedagogus 2;4.

² Theological Orations 4:20.

³ Homily 6 on Psalm 66 (67) (FC 48:45).

⁴ On Prayer 25:1.

٣. استقامة الخدمة

"فإننا لسنا نركز بأنفسنا،

بل بالمسيح يسوع ربًا،

ولكن بأنفسنا عبيدًا لكم من أجل يسوع" [٥].

علامة استقامة خدمته أن يتقدم إليهم عبدًا لهم ليكرز بالمسيح لا بنفسه. ما يشغله تقديم فكر المسيح وحبه وعمله وشخصه الإلهي لا تقديم ذاته. شهوة قلبه أن يخدم العالم لكي يقبل سيده مخلص العالم. لا يخجل الرسول من أن يدعو نفسه عبدًا *doulos* لهم، فهذا هو إحساسه الحقيقي العميق، وهذه هي الدعوة الإلهية التي وُجّهت إليه. لا يشتهي أن يركز بحكمته ولا بقدرته ولا ببره الذاتي، بل يشهد للمسيا أنه الرب الذي له سلطان على السماء والأرض، الذي يصلح البشرية مع الآب.

❖ إنه ليس نحن بل هو الذي يمكن إيماننا، يقبلنا ويديننا به^١.

القديس ديديموس الضريع

❖ إذ يعبر بولس عن نفسه بتواضع يتحدث بطريقة معينة ليظهر أنه لم يكن يركز بالإنجيل لصالحه الخاص، وإنما لمجد المسيح الرب، الذي هو مطيع له^٢.

أمبروسياستر

❖ أنا خادم. لست إلا خادمًا للذين يقبلون الإنجيل، أمارس كل شيء من أجل الآخر (المسيح)، وأفعل كل شيء من أجل مجده. فإذ تخاصمونني تهينون من هو لله^٣.

❖ إن خدمت هكذا فأنت لست عبدًا، ذلك إن فعلت هذا عن مبدأ، وبنية صالحة، ومن القلب، إن كان ذلك من أجل المسيح. هذه هي العبودية التي يمارسها بولس الحر ويعلن عنها بقوة: "فإننا لسنا نركز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربًا، ولكن بأنفسنا عبيدًا لكم من أجل يسوع". انظروا كيف يعري عبوديتكم من معناها. فإنه بنفس الطريقة كما لو إن إنسانًا قد سرقه أحد فإن اعطاه أكثر مما أخذ منه، فلا يحسب كمن سُرِق، بل بالأحرى بين الذين يعطون بسخاء، وليس بين الذين عانوا من شر بل ممن يصنعون الخير^٤.

^١ Pauline Comm. From the Greek Church.

^٢ CSEL 81:222.

^٣ In 2 Cor. Hom. 8:3.

^٤ In Ephes., hom 22.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ تدركون ثمار التواضع وعقوبة الغرور تمثلوا بالسيد بأن يحب أحدكم الآخر، ولا تخشوا الموت أو أية عقوبة أخرى من أجل صلاح الغير. لكن الطريق الذي دخله الله من أجلكم أدخلوا فيه من أجل الغير، عاملين بدون توقف بجسد واحد ونفس واحدة للدعوة العليا، لله المحب ولأجل بعضكم البعض. لأن محبة الرب ومخافته هما الإتمام الأول للناموس¹.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

يعلن بولس الرسول هنا أنه الناطق باسم الرب، لا باسم نفسه، فيشعر كمن هو مع أبناء سيده محتاج معهم إلى عمله الإلهي. وإن كان سيده بمسرة قبل أن يكون عبداً للبشر لكي يهبهم البنوة لله أفلا يحسب الرسول أنه يشارك سيده مسرته حين يقبل أن يكون هو أيضاً عبداً للبشر؟

❖ "إن لم يبين الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون، وإن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس" (مز ١٢٧: ١)... إننا نحرسكم في عملنا كوكلاء لله: لكننا نحن أيضاً نود أن يحرسنا معكم. إننا كما لو كنا رعاة بالنسبة لكم، لكننا أيضاً في رعاية الله، إذ نحن خراف زملاء لكم. إننا معلمون بالنسبة لكم، لكننا بالنسبة لله فهو السيد الواحد.

إن أردنا أن يحرسنا الله الذي تواضع من أجلنا وتمجد لكي يحفظنا، فلنتواضع نحن أيضاً فلا يحسب أحد نفسه أنه شيء. فإنه ليس لأحد شيء صالح ما لم يكن قد أخذه من الله الذي هو وحده صالح².

القديس أغسطينوس

"لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة،
هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله،
في وجه يسوع المسيح" [٦].

يتطلع الرسول بولس إلى التمتع بالاستنارة الداخلية بأنها عمل خلق لن يحققه أحد سوى الله نفسه. يشير هنا إلى تكوين ١: ٣ حيث قال الله "ليكن نور" حين كانت الظلمة تغطي وجه الأرض فكان نور. هكذا يتطلع إلى قلوبنا التي سادتها ظلمة الجهالة ليشرق بنوره الإلهي عليها وتتمتع بالمعرفة السماوية، فتستنير وتنير الآخرين. أما قوله "في وجه يسوع المسيح" فإن هذه الاستنارة تتحقق

¹ On the Christian Model of Life (FC 5:147).

² الحب الرعوي، ١٩٦٥، ص ١٣٦-١٣٧.

بالمسيح، وفيه نتمتع بشركة مجده الإلهي، ونحمل بره وقداسته.

❖ أترون كيف يظهر بولس مجد موسى مشرقاً ببهاءٍ زائدٍ على الذين يريدون أن يروه؟ إنه يشرق في قلوبنا، كما أشرق على وجه موسى كقول بولس (خر ٣٤: ٢٩-٣٥). أولاً يُذكرهم بما حدث في بدء الخلقة (تك ١: ٣)، وبعد ذلك يظهر أن هذه الخلقة المتجددة هي أعظم^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حيث أن الطبيعة الإلهية غير منظورة، وباقية على الدوام، تُرى ما هو عليه في ناسوت يسوع المسيح الذي يشرق بنورٍ إلهيٍّ وتُرسل أشعتها^٢.

ثيودورت أسقف قورش

❖ عندما قال الرسول: "اللَّهُ الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا" [٦] يشير إلى القيامة. لقد أظهر أن هذه القيامة خروج من الحالة القديمة التي كانت على شبه الجحيم *Sheol* تسجن الشخص حيث لا يشرق نور الإنجيل عليه سريعاً. تشرق هذه النسمة من الحياة خلال الرجاء في القيامة. بها يشرق فجر الحكمة الإلهية في القلب، حتى يصير الشخص جديداً، ليس فيه شيء قديم^٣.

القديس مار إسحق السرياني

❖ "إن لم تعرفي نفسك أيتها الجميلة بين النساء، فاخرجي على آثار الغم، وارعي جداءك عند خيام الرعاة" (نش ١: ٨) ... هذا هو الطريق المؤكد لحماية نفسك، ويمكن التحقق من أن الله قد وضعنا في مستوى أعلى بكثير من بقية المخلوقات. فلم يصنع السماوات على هيئته ولا القمر أو الشمس أو النجوم الجميلة أو أي شيء آخر تراه في الخلقة. أنت وحدك قد خلقت على مثال هذه الطبيعة التي تعلو فوق أي إدراك، على هيئة الجمال الأبدي وصورته، كما استقبلت البركات الإلهية الحقيقية، وختم النور الحقيقي، وستصير مثله عندما تنظر إليه. وعندما تقتدي به، هذا الذي يشرق في داخلك (٢ كو ٤: ٦) وينعكس نوره بواسطة طهارتك^٤.

¹ In 2 Cor. Hom. 8:3.

² PG 82:402.

³ Ascetical Homilies, 37.

⁴ Commentary on Song of Songs, Homily 2.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

في طقسنا المعاصر، قبل الاحتفال بعيد القيامة المجيد أو الفصح المسيحي، يُقرأ الإنجيل الخاص بتفتيح عيني الأعمى في أحد التناصير، الأحد السابق لأحد الشعانين. وكأن العماد المقدس (التناصير) في حقيقته تفتيح لبصيرتنا الداخلية لمعاينة أسرار الحب الإلهي، فنقبل دخول المسيح نور العالم إلى أورشليمنا الداخلية لكي ننعم به بسرّ الفصح الحقيقي كسرّ استنارة يمس حياتنا الشخصية^١.

بهذا نفهم كلمات ربنا نفسه عن العماد المقدس، أنه بدونه لا نقدر أن نعاين ملكوت الله (يو ٣: ٥)، أي بدونه لا تكون لنا البصيرة الداخلية المستنيرة التي تترك ملكوت النور وتنعم به.

❖ يسمى هذا الاغتسال - أي المعمودية - استنارة، لأن الذين يتعلمون هذه الأمور تستنير أفهامهم^٢.

القديس يوستين

❖ تُغفر خطايانا بدواء عظيم، بمعمودية الكلمة.

إننا بالمعمودية نتطهر من جميع خطايانا، ونصير في الحال مُبرئين من الشر. وهي بعينها نعمة الإنارة حتى أننا لا نبقي بعد اهتدائنا (تغيير طريقنا) كما كنا قبل أن نغتسل، نظرًا إلى أن المعرفة تيزغ مع الاستنارة، وتضيء حول العقل، ونحن الذين كنا بلا معرفة أصبحنا على التو متعلمين. هذه المعرفة التي قد أنعم علينا بها...

لأن التعليم البديهي يقود إلى الإيمان، والإيمان يُلقّن لنا بالروح القدس في المعمودية^٣.

القديس إكليمنضس السكندري

❖ إذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نُتَبَنى، وإذ نُتَبَنى نكمل... ويُدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعني نعمة واستنارة وكمالاً وحميمًا... فهو استنارة إذ به نرى النور القدس الخلاصي، أعني أننا به نشخص إلى الله بوضوح^٤.

^١ راجع كتابنا: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، ١٩٨١، ص ٨٢-٨٣.

^٢ Apology 1:16.

^٣ Kay's Writings of Clement of Alexandria, p437.

القمص باخوم المحرقي (أنبا غريغوريوس حاليًا): القيم الروحية.. في سرّ المعمودية، ص ٤٧.

^٤ Paed. 1:6.

❖ بثلاث غطسات ودعاء مساوٍ لها في العدد يتم سرّ المعمودية العظيم لكي يتصور رسم الموت وتستتير نفوس المعمدين بتسليم معرفة الله^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ الاستنارة وهي المعمودية... هي معينة الضعفاء... مساهمة النور... انتفاض الظلمة.
الاستنارة مركب يسير تجاه الله، مسايرة المسيح، أساس الدين، تمام العقل!
الاستنارة مفتاح الملكوت واستعادة الحياة...
نحن ندعوها عطية وموهبة ومعمودية واستنارة ولباس الخلود وعدم الفساد وحميم الميلاد الثاني وخاتماً وكل ما هو كريم^٢.

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ المعمودية هي ابنة النهار، فتحت أبوابها فهرب الليل الذي دخلت إليه الخليقة كلها!
المعمودية هي الطريق العظيم إلى بيت الملكوت، يدخل الذي يسير فيه إلى بلد النور!
هذا الثوب الذي لبسته يا إنسان داخل المعمودية سداه نور، ولحمته روح، وهو لهيب. لقد أعدّه لك الآب، ونسجه لك الابن، وأحاكه لك الروح. في داخل المياه نزلت ولبسته إلهياً. لقد قدم الثالوث النار بالمعمودية ليحرق الإثم ولكي تحيا النفوس مع الله^٣.

مار يعقوب السروجي

"ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية،

ليكون فضل القوة لله لا منا" [٧].

لماذا لا يركز بولس والعالمون معه بأنفسهم؟ لأنهم مجرد أوانٍ خزفية، لا قيمة لها في ذاتها، إنما في الكنز الذي يحملونه ويكرزون به.

التعبير الأصلي ostrakinois يعني أوان من القواقع (الصدف) وهي هشة للغاية، وكما تحوي القوقعة سمكة في الداخل هكذا نحمل كلمة الحق في أعماقنا. أيضاً تحمل معنى الخزف الذي يصنع من التراب أو الطين وحرقه بالنار.

جاء في الأدب اليهودي إن أميرة ذهبّت إلى الحاخام يشوع بن قانانيا Chananiah وقالت له:

^١ On The Holy Spirit 15.

^٢ للمؤلف: الحب الإلهي ص ٨٥٥-٨٥٦.

^٣ ميمر عن المعمودية المقدسة.

"يا لعظمة مهارتك في الشريعة! مع هذا يا لبشاعة منظرك! كيف تُلقى الحكمة في إناء دني؟" سألها الحاخام عن الأواني التي تحفظ فيها الخمر. أجابت أنها خزفية من التراب، تفعل مثلما يفعل عامة الشعب. قال لها أنه أليق بها كابنة للإمبراطور أن تحتفظ بخمرها في أوانٍ فضية. فعلت الأميرة هذا ففسد الخمر، وإذ سأل الإمبراطور عمن قدم لها هذه المشورة وعرف أنه الحاخام يشوع استدعاه. أخبره الحاخام بكل ما جرى بينه وبين الأميرة، وقال له بأن الحكمة لا تستودع في شخص وسيم مهتم بمظهره الخارجي فحسب وإنما في إنسان متواضع كإناء تراي^١.

❖ إنه الكنز الذي أُعطي لهم في هذه الحياة ليمتلكوه في داخل نفوسهم، الذي "صار لنا حكمة الله وبرًا وقداًسة وفداءً" [٣٠]. فالذي وجد كنز الروح السماوي واملكه يتم به كل بر الوصية وكل تتميم الفضائل بنقاوة وبلا لوم، بل بسهولة وبدون تغصّب. لذلك فلنتضرع إلى الله، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكي ما نستطيع أن نسلك في وصاياه كلها بطهارة وبلا لوم، ونتمم كل بر الروح بنقاوة وكمال، بواسطة الكنز السماوي، الذي هو المسيح^٢.

القديس مقاريوس الكبير

❖ هل لانزال نجسر ونفتخر بالإرادة الحرة ونهين بركات الله واهب العطايا إن كان الإثناء المختار (بولس) يكتب بوضوح: "ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا" (٢ كو ٤: ٧)^٣؟

القديس جيروم

يرى القديس جيروم أن أثنى كنز موجود في أوانٍ خزفية هو كلمة الله المخفية في كلمات الكتاب المقدس، أي في حروف اللغات البشرية^٤.

❖ "لنا كنز في أوانٍ خزفية هكذا" (٢ كو ٤: ٧). كثيرون يفسرون هذه العبارة الأخيرة بخصوص الجسد للروح، ليعني بالطبع أننا نفتتني كنزًا في أوانٍ أرضية. يوجد هذا التفسير الأكيد، لكنني أظن أن الفهم الأفضل للكنز هو أنه لدينا أثنى كنز في أوانٍ خزفية رمزًا لكلمات الكتاب المقدس

¹ Adam Clarke Commentary

² Sermon 18:1,2.

³ Against the Pelagius 3:9.

⁴ Cf. On. Ps, hom. 11.

البسيطة^١.

❖ كل كلمة من الكتاب المقدس لها رمزها الخاص. هذه الكلمات البسيطة يتأملها الأشخاص في كل جيل وهي تُغلف معنى سرّيًا كاملاً... "ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية" [٧]. لنا كنز إلهي من المعاني في كلمات عادية جدًا^٢.

القديس جيروم

❖ يُظهر كل من عظمة الأمور الموهوبة مع ضعف الذين يستلمونها قوة الله، الذي ليس فقط يهب أمورًا عظيمة، وإنما يعطيها أيضًا للضعفاء. يستخدم تعبير "أرضي (خزفي)" (٢ كو ٤ : ٧) كتلميح عن ضعف طبيعتنا الميته وإعلان ضعف جسدنا. فإنه ليس بأفضل من الأنية التي سرعان ما تتحطم وتتدمر بالموت والمرض، بل وحتى بتغيير درجات الحرارة. تبرز قوة الله جدًا عندما تحقق أعمالاً قديرة باستخدام أشياء تافهة وديئة^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هنا نفهم من الكنوز (٢ كو ٤ : ٧)، كما في عبارات أخرى، كنز المعرفة والحكمة المخفية، ونفهم الأواني الخزفية أسلوب الكتب المقدسة المتواضع، الذي قد يحتقره اليونانيون، والذي فيه يظهر سمو قوة الله بوضوح^٤.

العلامة أوريجينوس

٤. آلام الخدمة والعون الإلهي

"مكتّبين في كل شيء لكن غير متضايقين،

متحيرين لكن غير يائسين" [٨].

أكد السيد المسيح لتلاميذه أنه في العالم سيكون لهم ضيق (يو ١٦ : ٣٣). وقد أحاط الضيق بالرسول بولس ومن معه في كل شيء: "مكتّبين في كل شيء" لكن لم يكن لكل هذه الضيق أن تقف عائقاً أمام الرسول أو تحبس عمله، بل كانت بالنسبة له فرصة لاكتشاف إمكانيات الله إله المستحيات. فهو قادر أن يسند ويعين ويحول المرارة إلى عذوبة.

¹ Homily 11 on Ps. 77 (78) (FC 48:84).

² Homily 20 on Ps. 90 (91) (FC 48:160).

³ In 2 Cor. Hom. 8:3.

⁴ Commentary on John, 4:2

عبر الرسول عما حل به ومن معه هكذا:

أولاً: كانوا مكتئبين في كل شيء.

ثانياً: متحيرين.

ثالثاً: مضطهدين [٩].

رابعاً: مطرودين.

ثلاثة من هذه التعبيرات كانت تستخدم في الصراعات الأستيموس *Isthmus* في كورنثوس والتعبير الرابع في سباق الجري.

جاء تعبير: "مكتئب" هنا في اليونانية ليصف من يسقط في يدي خصمه الذي يصارع ضده ولا يقدر أن يقاوم، فيبدو كمن عجز تماماً عن تكلمة المعركة.

وجاء تعبير "متحير" *Aporoumenoi* يصف من يقف في حيرة أمام قدرة خصمه المصارع ضده ومهارته مغلوباً على أمره ولا يعرف ماذا يفعل.

هكذا يبدو الرسول بولس كمن في حلبة المصارعة قد سقط في يدي خصمه الذي كاد أن يفتك به، ووقف مذهولاً في حيرة كمن هو بلا خبرة أمام خصم قوي ومُدرّب حسناً. مع هذا كله لم يحل به الضيق ولا سقط في اليأس، لأنه حتماً بالمسيح يسوع يقوم ويغلب وينال إكليل النصرة.

❖ هذا معناه أننا لم نسقط تماماً... هذه الأمور يسمح بها الله لتدربنا وكنوعٍ من الاختبار^١.

❖ تحل الأحزان ليس فقط من الأعداء، بل حتى من أهل بيتنا ومن أصدقائنا. يسمح الله بهذه الأمور لا لهزيمتنا بل لتأديبنا^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ذاك الذي يحب المسيح، أي الكلمة، يتمثل به قدر المستطاع. هكذا لم يكف المسيح عن أن يصنع صلاحاً للبشر. إذ عومل بحقارة وجُدف عليه كان طويل الأناة ومات بواسطتهم. لقد احتمل دون أن يفكر شراً في أحدٍ من الجميع. هذه الأمور الثلاثة هي أعمال محبة القريب. وفي غياب هذه الأمور من يقول أنه يحب المسيح أو يحمل ملكوته إنما يخدع نفسه^٣.

الأب مكسيموس المعترف

¹ In 2 Cor. hom 9. PG 61:498.

² In 2 Cor. Hom. 9:1.

³ The Four Hundred Chapters on Love, 55.

❖ إن لم يحدث شيء من هذه الأمور لن نُعلن عظمة قوة الله^١.

ثيودورت أسقف قورش

❖ ينقذنا الله من الأحزان ليس حين لا نعود نصير في حزن (يقول بولس: "مكتئبين في كل شيء" لأنه لا يوجد وقت نكون فيه غير مكتئبين)، ولكننا لا نتحطم ونحن في حزننا، وذلك بمعونة الله. بحسب استخدام اللغة الدارجة لدى العبرانيين "أن نكون مكتئبين" تعني ظروف حرجة تحدث لنا بغير اختيارنا، يغلب عليها الاكتئاب ونسقط تحت سلطتها. هكذا بحق يقول بولس: "مكتئبين في كل شيء ولكن غير محطمين *crushed*"^٢.

❖ بسبب هذه العطية الصالحة للمحبة أو الحب، لم يكن القديسون متضايقين في التجارب، ولا متحيرين تمامًا في شك، ولا يهلكون عندما ينطرحوا. وإنما في اللحظات الحاضرة تعمل خفة تجاربهم لحسابهم لتقل المجد الأبدي بغير قياس. هذه التجربة الحاضرة لا تُوصف على أنها إلى لحظات وخفيفة بالنسبة لكل أحد، وإنما لبولس ومن هم على مثاله بنوالهم محبة الله الكاملة في المسيح يسوع منسكبة في قلوبهم بالروح القدس (رو ٥: ٥)^٣.

العلامة أوريجينوس

❖ ينبغي علينا أن نعرف أن البشر جميعًا يجربون لأسباب ثلاث:

أ. غالبًا لأجل اختبارهم (تزييتهم).

ب. وأحيانًا لأجل إصلاحهم.

ج. وفي بعض الحالات بسبب خطاياهم.

١. فمن أجل اختبارهم، كما نقرأ عن الطوباويين إبراهيم وأيوب وكثير من القديسين الذين تحملوا تجارب بلا حصر.

٢. ومن أجل الإصلاح، وذلك عندما يؤدب أبراره من أجل خطاياهم البسيطة (اللاإرادية) والهفوات، ولكي ما يسمو بهم إلى حال أعظم من النقاء، منقياً إياهم من الأفكار الدنسة، وذلك كالقول "كثيرة هي بلايا الصديق" (مز ٣٤: ١٩)، "يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تحز إذا وبَّخك. لأن

¹ PG 82:4-2

² On Prayer 30:1.

³ The Song of Songs, Comm. Prologue 2.

الذي يحبُّه الربُّ يُؤدِّبُه ويجلد كل ابنٍ يقبلُه فأبني لا يؤدِّبُه أبوه. ولكن إن كنتم بلا تأديبٍ قد صار الجميع شركاءَ فيه فأنتم نغول (أي أولاد زنا) لا بنون" (عب ١٢: ٥-٨)...

٣. كعقاب من أجل الخطية وذلك كما هدد الله بأن يُرسل أوبئة على بني إسرائيل (لشهم) "أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض" (تث ٣٢: ٢٤). وأيضاً في المزامير: "كثيرة هي نكبات الشرير" (مز ٣٢: ١٠)، وفي الإنجيل جاء: "ها أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر" (يو ٥: ١٤)...

ينبغي للإنسان المستقيم ألا يكون عقله مثل الشمع أو أي مادة رخوة فيسهل تشكيله بما يُضغَط عليه، فيُختم أخذًا شكل الختم إلى أن يأخذ شكلاً آخر عندما يُختم بختم آخر. وبهذا لا يبقى ثابتاً على شكله، بل يتغير ويتشكل متأثراً بما يُضغَط عليه. إنما يلزم أن يكون كالختم الحديدي الصلب، فيحتفظ العقل على الدوام بصلاحيته وطهارته، خاتماً شكله على كل شيء، مظهراً علاماته عليها. وبهذا فإنه مهما حدث من الأمور لا تنزع عنه علاماته^١.

الأب ثيودور

"مضطهدين لكن غير متروكين،

مطروحين لكن غير هالكين" [٩].

تعبير "مضطهد" *Diokomenoi* هنا يشير إلى من فاته السباق وصار في المؤخرة وعاجز عن أن يلحق بالآخرين.

تعبير "مطروح" *Kataballomenoi* يخص المصارع وقد سقط ملقياً على الأرض.

إن كان قد صار في مؤخرة سباق الجري عاجز عن اللحاق بمنافسيه أو طرحه العدو المصارع أرضاً، فبالمسيح يسوع يسبق الكل، ويقوم ليغلب ويُكلل.

❖ كان الله معهم مثل راعٍ عندما كانوا في عوز. كان يتطلع إلى اهتماماتهم حتى لا ينال أعداؤهم منهم شيئاً^٢.

أمبروسياستر

❖ أما رئيس هذا العالم (الشیطان)، المسيطر حيثما وجد الضلال والاضطراب، فيبتعد عن إنسان

^١ للمؤلف: يوحنا كاسيان، ١٩٩٨، ص ١٦٢-١٦٤،

^٢ CSEL 81:224.

تسود حياته السلام والترتيب الكامل وسيطر عليها ابن الله. فعندما ينشأ هذا السلام من الداخل ويثبت، فإن جميع الاضطهادات التي يثيرها رئيس هذا العالم من الخارج، لا تستطيع أن تهز شيئاً من ذلك البناء الداخلي، بل يؤدي قوة البناء من الداخل إلى فشل مكائد إبليس من الخارج. لذا أكمل الرب قائلاً "طوبى للمطرودين من أجل البرّ. لأن لهم ملكوت السماوات".^١

القديس أغسطينوس

"حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع،

لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا" [١٠].

يتحدث الرسول عن آلامه المستمرة بكونها تطابق آلام المسيح، وكأن الرسول يشارك السيد المسيح آلامه، وأيضاً آلام المسيح يسوع تعمل في آلام المؤمنين الذين يحملون إماتة الرب يسوع في جسدهم، مقدمين مثلاً رائعاً لقبول آلام المسيح بفرح وإعلان قبول حياته فيهم.

من أجل الحق الإنجيلي كان الرسول يتوقع الموت مع كل لحظة من لحظات حياته. وكما أن المصارعين يحملون في أجسادهم آثار الجراحات والكدمات التي تلقوها من المنافسين ويفتخرون بها بعد نوال إكليل النصر، هكذا يرى الرسول آثار الآلام علامة مجد، لأنها شركة مع المسيح في آلامه. بحسب الفكر البشري يموت الرسول وتنتهي حياته، لكن إذ يعمل المسيح فيه يهبه حياة جديدة كل يوم، هي حياة المسيح العامل فيه.

❖ يشترك المسيح نفسه في موت الشهداء. آلامهم هي آلامه. حياته تظهر أجسامهم. آلامهم هي شهادة للحقيقة أنهم معدون لنوال الحياة العتيدة التي وعد بها المسيح.^٢

أمبروسياستر

❖ ما هو موت يسوع الذي حملوه معهم؟ إنه الميئات اليومية التي ماتوها، والتي بها ظهرت أيضاً القيامة. هذا سبب آخر للتجارب، وهي أن تعلن حياة المسيح في أجسامنا البشرية. فما يشبه الضعف والعوز في الواقع يعلن قيامته.^٣

❖ لاحظ هذا. تقول: إن هابيل قدم ذبيحة مقبولة (تك ٤: ٤)، بهذا كان متميزاً. لكن إن اخترنا ذبيحة بولس نجدها تفوق تلك التي لهابيل كما تعلو السماوات عن الأرض. تسأل ماذا أعني؟

^١ الموعظة على الجبل، ١: ٢: ٩.

^٢ CSEL 81:225.

^٣ In 2 Cor. Hom. 9:1.

ببساطة قدم بولس ذاته ذبيحة يومية كاملة، وكانت تقدمته مضاعفة:

أولاً: كان يموت كل يوم (١ كو ١٥: ٣١).

ثانياً: كان يحمل في جسده إماتة يسوع على الدوام (٢ كو ٤: ١٠)، إذ كان دائماً يواجه أخطاراً، وكان راغباً في الاستشهاد، بإماتة جسده صار بالفعل تقدمة ذبيحية، بل وبالحق أكثر من ذبيحة! لأنه لم يقدم ذبيحة غنم أو ماشية، بل تقدمة جسده ودمه كذبيحة يومية مضاعفة. لهذا تجاسر فقال: "أنا الآن أسكب في ذبيحة" (٢ تي ٤: ٦)، داعياً دمه تقدمة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ لم نستعن بحياته الأصلية وسقطنا في الخطية، نزل هو إلى موتنا حتى إذ يموت للخطية نحمل في جسدنا موت يسوع فنقبل حياته الأبدية. فإن هؤلاء الذين دوماً يحملون في جسدنا موت يسوع سينالون حياة يسوع أيضاً مُعلنة في أجسادهم^٢.

❖ إن كان أحد وهو إنسان يميل الشهوات الإنسانية، فيميل بالروح أعمال الجسد، ويحمل دوماً في الجسد موت يسوع حتى يبلغ إلى مرحلة الطفل الصغير الذي لا يذوق الملذات الحسية ولا يكون له ادراك بالدوافع الخاصة بالبشر، مثل هذا يتحول ويصير طفلاً صغيراً. ويقدر ما يعظم تقدمه يدخل بالأكثر في مرحلة الأطفال الصغار من جهة العواطف. وذلك إن قورن بالذين لهم تدرب دون تقدم عظيم في مرتفعات ضبط النفس، مثل هذا يكون الأعظم في ملكوت السموات^٣.

العلامة أوريجينوس

لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع،

لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت" [١١].

نحن الذين في خطر الموت الدائم نحيا مقدمين حياتنا ذبيحة حب لحساب السيد المسيح الذي يتمجد فينا إذ يهبنا الحياة المقامة.

يعتقد العلامة أوريجينوس أن السيد المسيح بذاته، رب الشهداء، هو الشهيد الحقيقي الذي يعمل في حياة المؤمنين به. فقد عايش عهوداً عديدة من الاضطهاد، وأعلن أن المسيح، يسمح بالآلام للشهيد، إذ هو يتألم في شهدائه. ويمنح الشهيد النصر، ويُلْبِسه الإكليل، ويقبل ذلك الإكليل في

^١ في مديح القديس بولس، عظة ١.

^٢ Commentary on John, 1:35.

^٣ Commentary on Matthew, 13:16.

ذاته. ويدرك أن الإخلاص المطلق الذي للشهيد المسيحي يحمل في ذاته قوة إقناع قادرة أن تأتي بالوثنيين إلى رؤية الحق^١.

"إذا الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم" [١٢].

يقول: "نحن الرسل في خطر مستمر، نمارس الإماتة على الدوام، كمن هم موتى، أما الشعب فيقبلون الإنجيل الذي يهبهم الحياة السماوية الجديدة".

❖ يقول بولس هذا لأنه كان هو وتيموثاوس مهّدين بالموت، فبسبب كرازتهما للألم أثارا كراهية اليهود والأمم، وتعرضا لخطر الموت^٢.

أمبروسياستر

❖ نحتمل موته لكي يظهر قوة حياته^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنتم تصدقون أن بولس قد اختطف إلى السماء الثالثة، وإلى الفردوس، حيث "سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنها" (٢ كو ١٢: ٢، ٤)، فسوف تتيقنوا بالتالي أنكم ستتعرفون على أمور أكثر وأعظم مما كُشف لبولس، والتي هبط بعدها من السماء الثالثة. أما أنتم فلن تهبطوا، إذا ما حملتم الصليب وتبعتم يسوع، رئيس كهنتنا، الذي اجتاز السماوات (عب ٤: ١٤). إن كنتم لا ترتدون عن إتباعه، فإنكم تجتازون السماوات، مرتفعين، لا فوق الأرض وأسرارها فحسب، بل وفوق السماوات وأسرارها أيضًا^٤.

العلامة أوريجينوس

"فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب:

آمنت لذلك تكلمت،

نحن أيضًا نؤمن ولذلك نتكلم أيضًا" [١٣].

كما كتب داود: "آمنت لذلك تكلمت" (مز ١١٦: ١٠) هكذا نحن نؤمن بأننا تقبلنا تحقيق الوعود الإلهية، وصار لنا حق التمتع بالخلاص الأبدي وشركة المجد مع المسيح. هذا ما نشهد عنه ونتكلم

¹ Rowan A. Greer: *Origen, Paulist Press, 1979, p.5.*

² CSEL 81:225.

³ In 2 Cor. Hom. 9:1.

⁴ Exhortation to Martyrdom, 17.

به.

ما آمن به رجال العهد القديم خلال إعلانات الروح هو ذات إيماننا، لكن ما نرجوه هو تمتعنا نحن به لذا لاق بنا أن نشهد له.

❖ يذكرنا بولس بالمزمور ١١٦: ١٠ الذي يذكرنا بالحكمة السماوية، ويناسب بالأكثر تشجيعنا أثناء المخاطر. نطق المرتل بهذه الكلمات عندما كان في خطرٍ عظيم، ولم يكن هناك أي احتمال للهروب إلا بقوة الله. في ظروف مماثلة يقول بولس إننا نحن الذين لنا ذات الروح سنتعزى أيضًا مثله. هكذا يظهر بولس أنه يوجد تناغم عظيم بين العهدين القديم والجديد. ذات الروح يعمل في كليهما. كان رجال العهد القديم في خطرٍ كما نحن أيضًا. ويليق بنا نحن أيضًا أن نجد مثلهم حلاً خلال الإيمان والرجاء^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ علاوة على هذا فإن شفيعنا، إذ أعلن لنا، أراد أن يظهر سرّ تجديدنا، ولكن بالنسبة لأبرار العهد القديم كان الأمر مخفيًا، مع أنهم هم أيضًا يخلصون بذات الإيمان الذي أعلن في حينه. فإننا لا نجسر أن نفضل مؤمني عصرنا عن أصدقاء الله الذين بهم قُدمت هذه النبوات، حيث أن الله أعلن عن نفسه أنه إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب، معطيًا لنفسه هذا الاسم أبدًا... فكما أنهم آمنوا بتجسد المسيح الذي كان سيحدث حين كان مخفيًا، هكذا نحن أيضًا نؤمن بأن هذا قد حدث^٢.

❖ قبل مجيئه في الجسد آمنوا أنه سيأتي في الجسد. إيماننا هو بعينه كإيمانهم، حيث آمنوا بأن هذا سيحدث، أما نحن فنؤمن بأن هذا قد حدث^٣.

القديس أغسطينوس

"عالمين إن الذي أقام الرب يسوع سيقمنا نحن أيضًا بيسوع،
ويحضرنا معكم" [١٤].

وسط هذه الآلام التي حولت حياة الرسل إلى إماتة دائمة تشرق عليهم قيامة المسيح، فيتمتعون بعبود القِيامة معه. لم يخفِ الرسل الموت، إذ حسبوه طريق القِيامة المفرح، به يعبرون مع المسيح

¹ In 2 Cor. Hom. 9:2.

² Letters to Dardandus, 186:34 (FC 30:248-49).

³ Letters to Optatus 190 (FC 30:274).

وبالمسيح إلى المجد.

❖ الذي أقام يسوع من الأموات سيقمنا نحن أيضًا (٢ كو ٤: ١٤) إن فعلنا إرادته وسلطنا في وصاياه وأحببنا ما يحبه، ممتنعين عن كل شرٍ وطمعٍ ومحبة مالٍ وكلامٍ شريرٍ وشهادة زور^١.

القديس بوليكاربوس

❖ مرة أخرى يملأ بولس أهل كورنثوس بالأفكار السامية حتى لا يشعروا أنهم مدينون بشيء للرسول الكذبة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ اعتقد بولس أنه قد صار خلال عمل المسيح هو والمؤمنون أعظم من الموت، وأنهم جميعًا سيُحضرون أمام كرسي الحكم الرهيب (٢ كو ٤: ١٤)^٣.

ثيودورت أسقف قورش

"لأن جميع الأشياء هي من أجلكم،
لكي تكون النعمة وهي قد كثرت بالأكثرين
تزيد الشكر لمجد الله" [١٥].

يقصد بجميع الأشياء هنا خبرة الألم والموت اليومي والتمتع بعربون القيامة والحياة الجديدة، كل هذه الخبرات التي يعيشها الرسل مقدمة للشعب. الألم في حياة الخدام هو الطريق الحي لكسب نفوس جديدة وبنيان المؤمنين ونموهم الروحي.

❖ لا يريد الله أن يُستبعد أحد من عطيته. لكن لأنه ليس كل أحدٍ قد استلم كلمة الإيمان، لهذا فإن رسول الله الذي عرف إرادة الله لم يخف من احتمال الاضطهادات والمخاطر مادام يستطيع الكرازة لكل واحدٍ بإيمان حتى يؤمن أناس أكثر^٤.

أمبروسياستر

❖ لم يقد الله المسيح من الأموات من أجل شخصٍ واحدٍ فقط بل لنفعا نحن جميعًا^٥.

¹ Ep. To the Philippians, 2.

² In 2 Cor. Hom. 9:2.

³ PG 82:403.

⁴ CSEL 81:226.

⁵ In 2 Cor. Hom. 9:2.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لذلك لا نفشل،

بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى،

فالدخل يتجدد يومًا فيومًا" [١٦].

لن يتسلل اليأس إلى حياتنا، لأنه من الخارج يشيخ الجسد بحواسه ويفنى خاصة خلال الآلام والتجارب، لكن النفس في الداخل التي لا يراها أحد تتجدد طبيعتها، وتتقبل النور الإلهي والحياة الجديدة، فتمتع بالحياة المقدسة المطوبة وتتجدد يومًا فيومًا. بينما يشيخ الجسد تتمتع النفس بالحدثاء أكثر فأكثر.

❖ بدأ تجديد البشرية في جرن المعمودية المقدس، ويتقدم تدريجيًا ويتم بأكثر سرعة في بعض الأفراد وأكثر بطئًا في آخرين. لكن كثيرين يتقدمون نحو الحياة الجديدة، إن لاحظنا الأمر بأكثر دقة وبدون تحيز. وكما يقول الرسول: "وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالدخل يتجدد يومًا فيومًا" (٢ كو ٤: ١٦). إنه يقول إن الإنسان الداخلي يتجدد يومًا فيومًا حتى يصير كاملاً، لكن يلزمكم أن تسمحوا له بالبدء في الكمال فهل تشتهون بالحق ذلك؟ لكنكم تسعون أن تقودوا الغافلين في ضلال لا أن ترفعوا الضعفاء^١.

❖ الإنسان ليس جسدًا وحده، وليس نفسًا وحدها، بل هو كائن يتكون من كليهما. هذا بالحق حقيقة، أن النفس ليست هي الإنسان كاملاً ولكنها الجزء الأفضل منه، ولا الجسم هو الإنسان كله، لكنه الجزء الأقل، وعندما يرتبط الاثنان معًا يحملان اسم الإنسان. على العكس عندما يكون الإنسان حيًا والجسم والنفس متحدتين يُدعى كل منهما باسم "الإنسان" فنحدث عن النفس أنها "الإنسان الداخلي"، والجسم "الإنسان الخارجي"، كما لو كانا اثنين وإن كانا معًا بالحق إنسانًا واحدًا^٢.

القديس أغسطينوس

❖ في أوقات الاضطهاد تتقدم النفس. تضيف في كل يوم شيئًا أكثر إلى خبرتها للإيمان. حتى إن حلّ دمار بالجسم فإنه يبلغ به إلى الخلود خلال استحقاق النفس^٣.

أمبروسياستر

¹ The Way of Life of the Catholic Church 1:35:80.

² The City of God, 13:24.

³ CSEL 81:227

❖ ينحل الجسم بجَلده واضطهاده، ولكن الإنسان الداخلي يتجدد بالإيمان والرجاء والإرادة المتطلعة إلى قدام التي تشجع الذين في شدة. لأن رجاء النفس يتناسب مع آلام الجسم.^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لن يدعوها جميلة ما لم ير صورتها تتجدد يوماً فيوماً.^٢

العلامة أوريجينوس

❖ الإنسان الذي له اهتمام أفضل في قلبه سيهتم بصفة خاصة بنفسه ولا يكف عن احتمال أية آلام تحفظه بلا دنس ويكون صادقاً مع نفسه.

إن هزل جسمه من الجوع أو بجهاذه مع الحر والبرد، أو أصيب بمرضٍ أو عانى من عنفٍ من أحدٍ، فإنه لا يبالي كثيراً بهذا، بل يتجاوب مع كلمات بولس فيقول في كل مصائبه: "وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً"...

وإن كان يجب أن يترفق الإنسان بجسمه كأمرٍ ضروري للنفس، فقط بالقدر الذي يحفظه به ويكون نشيطاً برعاية معتدلة لخدمة النفس.^٣

القديس باسيليوس الكبير

"لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً" [١٧].

يرى الرسول إن الضيق يعمل لحساب تمتعه بالسماء، وأنه حتماً سيزول لأنه وقتي. لنحرص على استغلاله، لأنه يقدم لنا ثقل مجدٍ أبدي. ليس من موازنة بين آلام زمنية أرضية وأمجاد خالدة أبدية سماوية. إن قورنت الآلام بكل ثقلها واستمرارها مع الزمن بالمجد المعد لنا تُحسب وقتية وهينة. يقابل الرسول الآلام بالأمجاد، الأولى حاضرة والثانية مستقبلية، الأولى مؤقتة والثانية خالدة، الأولى خفيفة للغاية والثانية تمثل ثقلًا عظيمًا.

❖ لو لم يكن لنا خصوم لما كانت توجد معركة ولا مكافأة مخصصة للمنتصرين، ولما قدم لنا ملكوت السماء. "خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً" (٢ كو ٤: ١٧). ولما كان لأحدٍ منا رجاء في المجد العظيم في الحياة العتيدة نتيجة الصبر في الضيقات المحتملة.^٤

¹ In 2 Cor. Hom. 9:2.

² The Song of Songs, Comm., Book 4:14. (ACW)

³ Homily 21 on Detachment.

⁴ In Num. Hom. 14:2.

❖ لم يكن بالأمر الهين الحزن المؤقت لكل أحد، إذ لهم المحبة الكاملة لله في المسيح يسوع بالروح القدس منسكبة في قلوبهم^١.

العلامة أوريجينوس

❖ يقول بولس أن أحزاننا الحاضرة خفيفة إذ تحدث في حدود زمنٍ ما ومكانٍ معين. مقابل هذا التعب الهين نقفني المجد بدرجةٍ تفوق كل قياس^٢.

أمبروسياستر

❖ نرى الرسول المبارك يثبت أنظاره بسهولة على عظمة المكافأة العتيدة، مستهيناً باضطهاداته غير المحصية، قائلاً: "لأن خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً" (٢ كو ٤: ١٧). هذا ما يؤكد في موضع آخر قائلاً: "فإني أحسب آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨: ١٨). هكذا مهما بلغ جهاد الضعف الإنساني، لن يبلغ (بذاته) إلى المكافأة المقبلة. ووجود جهاده لا ينفي عن النعمة الإلهية كونها مجانية^٣.

الأب شيريمون

❖ هكذا طريق الصالحين فوق الكل، عندما يحتملون شيئاً من أجله، غير مبالين بمظهر ما يحدث بل يفهمون العلة وراء ذلك، فيحتملون كل شيء برباطة جأش.

هكذا عرف بولس معلم الأمم السجن والمحاكمات والمخاطر اليومية، كل هذه المصاعب الكثيرة التي لا تُحتمل، كأعمالٍ هيئة. ليس لأن هذه كانت هكذا بالحقيقة في طبيعتها، وإنما بسبب ما تنتجها من ورائها من اتجاه فيه لا يعود يرجع لمواجهة هذه التهديدات التي تحل به. لتصبح بعد هذا كله إلى قوله: "لأن خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً" (٢ كو ٤: ١٧). فتوقع المجد المعين لنا لنواله - كما يقول - بالمتعة غير المنقطعة يجعلنا نحتمل المتاعب واحدة فواحدة بغير صعوبة، ونحسبها كلا شيء. أترون كيف أن حب الله يخفف من كثافة المتاعب وينزع عنا أي إحساس بها حين تحل بنا؟ حتماً بسبب هذا احتمال هذا الطوباوي كل شيء برباطة جأش مستنداً على الإيمان والرجاء بالله^٤.

¹ Comm. On the Song of Songs.

² CSEL 81:227.

³ Cassian: Conference 13:13.

⁴ Homilies on Genesis 25:17.

❖ كان القديس بولس من أنبل الرجال ومثالاً واضحاً لسمو الطبيعة البشرية وإمكاناتها (خلال النعمة) في الفضيلة. خلال حديثه عن شخص السيد (المسيح) وحثنا على الفضيلة أدام (بولس الرسول) المنادين بفساد الطبيعة البشرية، وأبكم أفواه الناطقين بالافتراءات، مؤكداً أن الفرق بين الملائكة والبشر طفيف جداً إن أرادوا الوصول إلى درجة الكمال.

لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا؛ ولا نفسه مختلفة، ولا عاش في عالم آخر، بل سكن في نفس العالم والمدينة وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر. الآن، أين هؤلاء المعترضون على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطية؟ فهذا الرجل يدينهم بكلماته: "لأن خفة ضيقاتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدي" (٢ كو ٤: ١٧). فإن كانت ضيقاته محتملة وخفيفة فكم بالأحرى ضيقاتنا التي إن قارنتها بها صارت كلا شيء أو مجرد لذات؟^١

❖ حجم الأخطار التي واجهها ساعدت على زيادة النقد الموجه ضده، وجعلت النقد يتشككون أن عظمتة نابغة من قوة ما خارقة... سُمح له بالتألم حتى تدرك أنت أن طبيعته كانت مثل أي شخص آخر ولكن قوة إرادته جعلته ليس فقط إنساناً فوق العادة ولكن صار كواحد من الملائكة. يمثل هذه الروح وهذا الجسد تحمل ميتات كثيرة مستخفاً بالأشياء الحاضرة والمستقبلية وجعلته ينطق بهذه الكلمات الرائعة التي ظنّها الكثيرون شبه مستحيلة: "إني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو ٩: ٣).^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى،

بل إلى التي لا تُرى،

لأن التي تُرى وقتية،

وأما التي لا تُرى فأبدية" [١٨].

الآلام زمنية يمكن للحواس إدراكها، فالعين الطبيعية ترى ما يحل بالإنسان من ضيقات، خاصة التي تصيب الجسم، أما الأمجاد فروحانية سماوية تخص شركتنا مع الله غير المنظور.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

^٢ في مديح القديس بولس، عظة ٦.

❖ يقول بولس أن الذين يشتاقون إلى السماويات يحرقون أمور هذا العالم، لأنه بمقارنته بما يشتهونه تكون هذه كلاً شيء^١.

أمبروسياستر

❖ ستكون أحزاننا الحاضرة تافهة ومستقبلنا مجيداً إن حولنا نظرننا عن المنظورات، وركزنا على الروحيات عوضاً عنها.

أي عذر نقدمه إن اخترنا الأمور الوقتية عوض الأبدية؟

حتى إن كان الحاضر فيه متعة، فإنه لن يدوم، بينما الحزن الذي يسببه يدوم. لا يمكن للذين يتمتعون بعطية عظيمة هكذا أن يتذللوا ويسقطوا أمام أمور هذه الأرض^٢.

❖ تأملوا أيها الأحباء الأعزاء أن متاعب الحياة، حتى إن كانت قاسية، فإنها لمدة قصيرة الأمد، أما الصالحات التي تحل بنا في الحياة العتيدة فهي أبدية وباقية... لهذا لیتنا نحتمل ما يعبر دون شكوى، ولا نكف عن الجهاد في الفضيلة حتى نتمتع بالصالحات الأبدية والباقية إلى الأبد^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنت تطلب الأمور الوقتية تصلي علانية وبياب مفتوح.

إن كنت تطلب الأمور الأبدية تكون صلاتك سرية، إذ تنتهي نوال لا الأمور التي تُرى بل التي لا تُرى^٤.

قيصريوس أسقف جبالة

❖ لنحتمل التقدم بجلدٍ كاملٍ واحتمالٍ دون دهشة أو اضطراب، غير مباليين بالضيقة بل ما نفتنيه منها. هذا التحول كما ترون هو روحي.

يميل الناس إلى تحقيق مكاسب المال والانشغال بمعاملات هذه الحياة لزيادة ثروتهم بطريق معرض لخطرٍ عظيم في البر والبحر (فيليق بهم أن يضعوا في اعتبارهم تصرفات قُطّاع الطرق وقراصنة البحر)، ومع ذلك فهم مستعدون أن يقبلوا كل شيء بحماسٍ عظيم، غير مباليين بالمتاعب وذلك خلال توقعهم للمكاسب. بنفس الطريقة يلزمنا أن نحفظ ذهننا على الثروة والغنى الروحي اللذين

¹ CSEL 81:228.

² In 2 Cor. Hom. 9:3.

³ Homily on Genesis 25:24 (FC 82:143).

⁴ Sermon 146:3. (FC 47: 310-11).

ننالهما من هذا. يليق بنا أن نفرح ونبتهج، دون اعتبار لما يُمكن أن يُرى، بل ما لا يمكن أن يُرى، كنصيحة بولس: "غير ناظرين إلى ما يمكن أن يُرى".^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول داود في شخص الرب: "اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبيك وبيت أبيك" (مز ٤٥: ١٠)، فالذي يقول "اسمعي يا بنت" بالتأكيد هو أب... ذاك الذي يطلب منها أن تترك شعبها (عاداتها القديمة) وبيت أبيها، وهذا يحدث بالموت مع المسيح عن هذا العالم. وكما يقول الرسول: "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى، لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية" (٢ كو ٤: ١٨). محوّلين عيوننا عن هذا المسكن الزمني المنظور، رافعين عيون قلوبنا نحو الأمور الأبدية النافعة لنا. هذا يُمكننا النجاح فيه عندما لا نضاد الله ونحن في هذه الحياة، معلنين بتصرفاتنا وأعمالنا عن طريق الحق الذي يقول عنه الرسول الطوباوي: "إن سيرتنا نحن هي في السموات" (في ٣: ٢٠).

❖ إذ ننبذ كل أخطائنا نصعد إلى مرتفعات النوع الثالث أيضاً حيث نسمو لا علي مجرد الأشياء التي في هذا العالم أو التي تخص البشر، بل نسمو علي العالم كله الذي هو حولنا والذي يبدو مجيداً، ناظرين إليه بقلوبنا وروحنا أنه باطل وسريع الزوال، فننتطلع إليه كقول الرسول: "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية" (٢ كو ٤: ١٨).^٢

الأب بفنوتيوس

❖ أبغضهم العالم لأنهم ليسوا من العالم (يو ١٧: ١٤). فإنه أبغضنا منذ صرنا لسنا بعد غير ناظرين إلى الأمور التي تُرى بل إلى الأمور التي لا تُرى، بسبب تعليم المسيح، ليس (أننا) لسنا من عالم السماء والأرض وأولئك الذين منهما مندمجين معاً، بل لسنا من البشر الذين على الأرض وهم في رفقتنا.^٣

❖ يعلمنا بولس الرسول أن الأشياء غير المنظورة تُفهم خلال الأمور المنظورة. وأن الأشياء غير المرئية تُرى خلال علاقتها وشبهها بالأشياء المرئية. وهكذا يظهر أن العالم المنظور يعلمنا عن

¹ Homily on Genesis 63:20.

² Cassian: Conferencws, 3:6, 10.

³ Commentary on Matthew, 13:20.

العالم غير المنظور، وأن هذا المشهد الأرضي يحوي نموذجًا معينًا للأشياء السماوية. هكذا يمكننا أن نصعد من الأمور السفلية إلى العلوية، وأن ندرك ونفهم مما نراه على الأرض الأمور التي تخص السماء^١.

العلامة أوريجينوس

❖ أن تقول بأن السماء والأرض وبقية محتويات الخليقة صارت من العدم، أو كما يقول الرسول من الأشياء التي لا تُرى، هذا لا يهين صانع المسكونة، فإننا نعرف من الكتاب المقدس أن كل هذه الأشياء ليست منذ الأزل ولن تبقى إلى الأبد^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

من وحي ٢ كو ٤

هب لي أن أستعبد نفسي،

فأقتني بالحب الكثيرين!

❖ كيف يمكن للضيق أن يحطمني؟

كيف يمكن للفشل أن يطرق بابي؟

صرت يا خالق الكل عبدًا،

وبآلامك وصلبك فتحت الباب للكل.

هب لي وسط آلام أن أشاركك آلامك.

أستعبد نفسي بالحب للكثيرين،

وأشتهي أن أقتني بنعمتك كل نفسٍ بشرية!

❖ روحك القدوس يهبني القداسة،

فأسلك بلا لوم!!

ولا يقدر للغش أن يعبر بي.

أنت الحق الحقيقي،

أقتنيك فأفكر بالحق وأنطق به وأشهد له وأحياء.

¹ The Song of Songs, Comm., Book 3:12. (ACW)

² Against Eunomius, 1:26.

- ❖ ليشرق نورك في داخلي،
فأعكسه على إخوتي،
حتى وإن صار مكتومًا بالنسبة للمقاومين.
عدوّ الخير يفسد أعينهم،
فيظنّوا نورك في ظلمة.
- ❖ أتمتع ببهاء أيقونتك في أعماقي،
فأكرز لحساب ملكوتك لا لمجدي!
أنا عبد لهم ومعهم من أجلك،
لتملك في قلبي وقلوبهم.
تقيم ملكوت النور في داخلي،
فأنعم بإشارة معرفتك.
لن يحل بي ليل الجهالة،
بل أبقى في نهار معرفتك أبدًا!
- ❖ أنا تراب ورماد،
لم تحتقري، بل أقمت منّي إناءً خزفيًا.
أحملك في داخلي يا أيها الكنز الفريد.
- ❖ لأدخل بك ومعك الطريق الضيق،
لتحل الأحران،
لكنك تحوّل أحراني إلى أفراح لا تنقطع.
إن طرحتني العدو،
تحملني بذراعيك إلى أحضان حبك.
لن تتركني أهلك!
بل تهبني عوض الموت شركة الحياة الجديدة.
- ❖ لأحمل الإماتة معك، فأتمتع ببهجة قيامتك،
لأمت كل يوم فأحيا بك.

أختبر مع إخوتي قوة قيامتك.

❖ لِنُغْنِي إِنْسَانِي الْخَارِجِي،

فمع كل إماتة له أختبر تجديدًا في الداخل.

ليعبر جسدي في الضيق الزمني.

سيعبر لينعم جسدي مع نفسي بشركة المجد.

المجد لك يا من رفعت قلبي إلى السماء!

المجد لك يا من حوَّلت ضيقي إلى خبرة السماء!

الأصحاح الخامس

خدمة المصالحة مع السماوي

يختم الرسول حديثه عن خدمة العهد الجديد برفع القلوب إلى العرش السماوي لكي يدخل الكل إلى حضن الآب، وجاءت دعوة خدمته كسفير للسيد المسيح: "تصالخوا مع الله!"

١. بيتنا السماوي ينتظرنا ١-١١.

٢. الكل قد صار جديدًا ١٢-١٧.

٣. تصالخوا مع السماوي ١٨-٢١.

١. بيتنا السماوي ينتظرنا

أراد الرسول أن يكشف عن السرّ الخفي الذي يدفع الخادم الحقيقي كي لا يفشل ولا ييأس وسط الضيقات اليومية بل والميتات الكثيرة. إنه يرى أبواب السماء مفتوحة وبيته غير المصنوع بيد بشرية ينتظره. يرى حياة جديدة فريدة نال عربونها الآن، ويتمتع بكمالها في الأبدية. يرى حضن الآب ينتظره ليستقر فيه أبدًا.

يتحدث الرسول هنا عن ما يتوقعه ويرجوه في يقين وعن الحياة المطوّبة الأبدية التي ينعم بها في الدهر الآتي.

"لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي،

فلنا في السماوات بناء من الله،

بيت غير مصنوع بيدٍ أبدي" [١].

بقوله: "نحن نعلم" يكشف عن يقين الرجاء الذي فيه أن له موضع في السماء يدعوه بيتًا، إما حياته هنا فيدعوها "خيمة" لأنها غير مستقرة. هناك يجد له بيتًا أو مسكنًا، أو موضع راحة، أو بيت أبيه أو البيت الأبدي. إنه في الأعالي قام ببنائه الله نفسه أعده لمحبيه، لا يُقارن بأي قصرٍ في هذا العالم.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن البعض يقولون بأن المنزل الأرضي هو العالم، لكن يبدو له أنه بالأحرى يشير الرسول إلى الجسد^١.

¹ In 2 Cor. hom 10. PG 61:506

يقصد بالخيمة جسم الإنسان الذي تقطن فيه النفس كما في خيمة أثناء رحلتها في برية هذا العالم حتى تدخل كنعان السماوية. حينما تتحل الخيمة أو الجسد تتطلق النفس إلى الفردوس لترى مسكنًا جديدًا اختبرت عربونه وهي في الجسد، تقيم فيه حتى يوم الرب فيلبس جسدها عدم الفساد ويعيش الإنسان بكل كيانه في السماء عينها.

ماذا يعني **بالبناء من الله**؟ يرى البعض أن الرسول يشير هنا إلى مركبة سماوية معينة يبعث بها الله إلى النفوس عند خروجها من الأجساد، والبعض يظن أنها تشير إلى قيامة الجسد، وآخرون يروا أنها إشارة إلى الحالة المطوّبة للقديسين المتمتعين بملكوت الله. جسمنا الحاضر هو خيمتنا الأرضية، جسمنا المُقام هو بيتنا السماوي.

جاء في العظة الخامسة **للقديس مقاريوس** أن المسيحي الحقيقي إذ صارت له شركة الروح القدس، لأنه مولود من الله من فوق، قد صارت **مدينته في السماوات** (في ٣: ٢٠)، يكشف له الروح "الخيرات الأبدية كما في مرآة". إنه يهبه سلام المسيح ومحبة الرب وشهوة السماء، وذلك خلال الآلام والعرق والتجارب والحروب الروحية الكثيرة، لكنه ينعم بهذه الأمور بنعمة الله^١. المسيحي الحقيقي يدخل إلى خبرة مجد سماوي خارج عن الجسد، إذ يُجرح بجمالٍ آخر (غير جسدي) لا يُنطق به^٢: "أولئك الذين تساقط عليهم ندى روح الحياة، أي ندى اللاهوت، فجرح قلوبهم بحب إلهي للمسيح الملك السماوي، وارتبطوا بذلك الجمال والمجد الفائق الوصف والحسن عديم الفساد وغنى المسيح الملك الحقيقي الأبدى، الغنى الذي يفوق الوصف"^٣.

بهذا الغنى يتدرب الإنسان على الحياة الملوكية، حتى متى جاء يوم الرب العظيم يدخل الملكوت فلا يراه غريبًا عنه، إنما عاش في عربونه وتمتع بغناه بالروح القدس وهو على الأرض.

❖ يلزمنا نحن جميعًا أن نجتهد ونسعى في كل نوعٍ من الفضيلة، وأن نؤمن أننا سنقتني ذلك البيت ونمتلكه منذ الآن. لأنه إن كان بيت جسدنا يُنقض فليس لنا بيت آخر للنفس لكي تدخل فيه^٤.

القديس مقاريوس الكبير

❖ يتحدث بولس هنا عن عالمين مختلفين، واحد أرضي مصنوع بأيدي منظور، والآخر غير منظور

^١ عظات القديس مقاريوس ٣:٥-٥.

^٢ المرجع السابق ٥:٥.

^٣ عظة ٦:٥.

^٤ Sernon 5:7.

مصنوع بغير أيِّد، سماوي. على الأرض نفوسنا تلتحف بالجسد والدم وهما الجسم المنظور العضوي. لكن ما أن يُترك هذا الجسم تتحرك النفس نحو الجو السماوي حيث تستعيد جسمها لكنه جسم يتحول إلى جسم سماوي^١.

القديس ديديموس الضيرير

❖ مرة أخرى يلمح بولس إلى القيامة التي لم يفهمها كثير من الكورنثيين أو لم يقبلوها. الخيمة الأرضية هي جسمنا. ومما لا يمكن إنكاره أنها ليست من صنع أيِّد، ولكن بولس في بساطة يقارنها بالبيوت التي نعيش فيها. لم يكن يحاول أن يقدم مغايرة دقيقة بين الأرضي والسماوي بل بالأحرى أن يمجّد الأخيرة قدر المستطاع^٢.

❖ ما هو المسكن؟ اخبرني. الجسم غير الفاسد الذي سنلبسه في القيامة. الآن نحن نئن، لأن ما سيحدث فيما بعد أفضل بكثير مما نحن عليه الآن... فإنه بالتأكيد ليس جسداً ينزل إلينا من فوق. إنما التعبير يعلن عن النعمة التي تُرسل إلينا من فوق... لذلك يدعوها من هنا فصاعداً ليست خيمة بل بيتاً، وهذا بالأحرى أكثر مناسبة. لأن الخيمة بالحق يمكن تمزيقها إلى قطع، أما المسكن فيبقى بلا تغيير^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الجسم السماوي ليس شيئاً مختلفاً، إنما هو ذات الجسم الذي لنا الآن والذي سيتحول^٤.

ثيودورت أسقف قورش

❖ بخصوص طبيعتنا الجسمية يلزمنا أن نفهم أنه لا يوجد جسم واحد نستخدمه الآن في انحطاطٍ وفسادٍ وضعفٍ، وجسم مختلف نستخدمه فيما بعد في عدم فساد وفي قوةٍ ومجدٍ. وإنما هو ذات الجسم، تُنتزع عنه الضعفات الحاضرة، ويتحول إلى شيء من المجد وبصير روحانياً. النتيجة هي أن ما كان إناءً للهوان هو نفسه يتتقى ويصير إناءً للكرامة ومسكناً للطوباوية. ويلزمنا أن نؤمن أن جسمنا يبقى على هذا الحال إلى الأبد بدون تغيير كإرادة الخالق. لقد تحققنا من هذه الحقيقة الأكيدة بعبارة الرسول بولس حيث يقول: "لنا في السموات بيتاً غير مصنوع بيدٍ أبدي"^٥.

¹ Pauline Comm. From the Greek Church.

² In 2 Cor. hom 10:1.

³ In 2Cor. hom 10. PG 62:506.

⁴ PG 82:406.

⁵ DE Principiis 3:6:6.

العلامة أوريجينوس

❖ من جانب فإن جسمنا الفاسد هو ثقل على نفوسنا، ومن جانب آخر فإن علة هذا العائق ليس في طبيعة الجسم وجوهره. لذلك إذ نعرف فسادَه لا نرغب في أن نتعرّى من الجسم بل بالأحرى أن يلبس عدم فسادَه. في الحياة الخالدة سيكون لنا جسم، لكنه لن يصير بعد ثقلاً إذ لا يكون بعد فاسداً... لقد نتقلنا إذن بهذا الجسم الفاسد. لكننا إذ نعلم أن حالة الثقل هذه ليست من طبيعة الجسم وجوهره إنما من فسادَه، لذا فإننا لا نرغب في أن نتخلص منه بل أن نلبسه مع عدم فسادَه. عندئذٍ سيوجد جسم، لكنه لا يعود يكون ثقلاً لأنه لا يعود يكون فاسداً^١.

القديس أغسطينوس

❖ لنتحدث الآن عن الزهد الذي أعلنه الكتاب المقدس والتقليد في أنواع ثلاثة. ليتأمله كل إنسان بدقة لكي يصير كاملاً.

النوع الأول هو الذي يختص بالجسد، فيزهد الإنسان الثروة والممتلكات التي في هذا العالم.

والنوع الثاني فيه ننبد أساليب السلوك والردائل القديمة الخاصة بالروح والجسد.

والنوع الثالث فيه تتحرر الروح من كل الحاضرات والمرئيات متأملة في الأبديات، فينشغل القلب

بغير المنظورات.

لقد سمعنا أن الله طلب من إبراهيم أن ينفذ هذه الأنواع الثلاثة (من الزهد) دفعة واحدة، إذ قال له: "اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك" (تك ١٢ : ١)...

إذا نفذنا النوع الأول من الزهد بكل إخلاص وأمانة، لا ننتفع كثيراً ما لم نكملة بالنوع الثاني بنفس الغيرة والاشتياق. فإذا ما نجحنا في هذا يمكننا أن نبلغ النوع الثالث حيث نخرج من "بيت أبينا" القديم، إذ "كُنَّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً" (أف ٢ : ٣)، مثبتين أنظارنا تجاه العلويات. ويُحدّث الكتاب المقدس أورشليم - التي احتقرت الله الأب الحقيقي - عن الأب القديم قائلاً: "أبوك أموري، وأمك حنّة" (جز ١٦ : ٢). وفي الإنجيل جاء: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو ٨ : ٢٤).

فإذ نترك هذا الأب عابرين من المنظورات إلى غير المنظورات نستطيع أن نقول مع الرسل: "لأننا نعلم أنه إن نُقِصَ بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيدٍ أبدي"

¹ The City of God, 14:3.

(٢ كو ٥ : ١)، ونقول أيضًا: "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضًا ننتظر مخلصًا هو الرب يسوع المسيح الذي سيعبر شكل جسد تواضعنا ليكون علي صورة جسد مجده" (في ٣ : ٢٠ - ٢١)، وننطق بما يقوله داود الطوباوي: "غريب أنا في الأرض" (مز ١١٩ : ١٩)...

يلزمنا أن نكون مثل أولئك الذين يحدث الرب أباه عنهم قائلاً في الإنجيل: "ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم" (يو ١٧ : ١٦)، وأيضًا محدثًا التلاميذ أنفسهم قائلاً: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو ١٥ : ١٩).^١

الأب بفنوتيوس

"فإننا في هذه أيضًا نحن،

مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء" [٢].

إذ نحن في هذا الجسد نحن من الضعفات التي تحمل بنا والتجارب التي تواجهنا، فنشعر أن الحياة مملوءة بالآلام والأحزان. وكأن كل ما حولنا يصرخ: "قم ارحل من هذا الجسد إذ ليس فيه راحة". حتى القديسون يشعرون أحيانًا بتقل جسد الخطية والفساد الذي يحل فيه، فيصرخون: "ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو ٧ : ٢٤).

حقًا يشعر المسيحي بأن جسده هو عطية إلهية مفرجة، والحياة هبة من قبل الله، لكن تذوقه لعربون الأبدية يلهب في داخله الحنين أن يلبس جسده ثوب عدم الفساد، لكي يتهيأ للحياة السماوية.

جاءت كلمة "لبس" بالعبرية *labash* لتعني ما يحيط بالجسم أو يغطيه أو يغلفه. جاء في الكتابات اليهودية أن موسى إذ دخل السحابة التحف بها كثوب، كما قيل عن الأبرار إنهم ملتحفون بالنور كثوب.

أما المسكن هنا فجاء بالعبرية "بيت" *beeyt* وفي ترجم *Onkelos* بيت الوجه هو البرقع، وبيت الأصابع هو القفاز، وبيت القدمين الحذاء. فارتداء النفس المسكن هنا يعني التحافها بسمات معينة كالفضيلة.

يرى بعض اليهود أن للنفس ثياب في هذا العالم وفي الدهر الآتي. فالله أرسل النفوس لكي تلتحف بثوب خلال دراسة الناموس والعمل الصالح. آدم بعد سقوطه تعرى إذ صار في حالة الخطية

¹ St. John Cassian: Conferences, 3:6-7.

بدون ثوبٍ يستر النفس.

يرون أن الإسرائيليين نالوا ثيابًا تلتحف بها نفوسهم على جبل سيناء، لكنهم إذ عبدوا العجل المسبوك تعرفوا. هنا الثوب يشير إلى تمتع الإنسان بأيقونة الله خلال الحياة المقدسة.

جاء في *Synopsis Sohar* عن الحكمة العلوية: عندما يقترب الوقت لرحيل إنسانٍ من هذا العالم ينزع ملاك الموت عنه ثوبه القابل للموت ويلبسه ثوبًا من الفردوس، فيه يرى الحكمة السامية ويتأملها. لذلك يُقال أن ملاك الموت يكون مترفعًا جدًا بالإنسان إذ ينزع عنه ثوب هذا العالم ويلبسه ثوبًا أثمن بكثير مُعد في الفردوس.

عندما يقول الرسول بأنهم يشناقون أن يلبسوا فوقها مسكننا الذي من السماء بالتأكيد يعني بأن الذين يؤمنوا بالله ويسلكون بالروح قد أُعدوا للتمتع برؤية الخالق والمخلص المبهجة للغاية.

النفوس المقدسة للرب لن توجد عارية في الدهر الآتي إذ ترتدي ثياب البرّ والتسبيح والمجد، إذ غسلوا ثيابهم في دم الحمل (رؤ ٧: ١٤). هذه النفوس تشعر بيقين الرجاء في هذا الثوب السماوي لذا تشتاق أن ترتديه بخروجها من العالم.

نلبس ثوب العرس الأبدي "السيد المسيح نفسه"، فلا يمكن لقوة ما أن تنتزعنا عن وليمة السماء، أو تطردنا خارجًا. إذ قيل: "لما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنسانًا لم يكن لابسًا لباس العرس، فقال له: يا صاحب، كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك لباس العرس؟ فسكت، حينئذٍ قال الملك للخدام اربطوا رجله ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية" (مت ٢٢: ١١-١٣).

يدعو القديس يوحنا الذهبي الفم هذا الثوب:

"الثوب الذي لن يمكن أن يوجد مثله".^١

الثوب الملوكي.

الثوب الذي بلا عيب.

الثوب اللامع والمتلألئ بالبهاء.^٢

❖ إن كان المسيح هو ابن الله، وأنتم قد لبستموه، إذ صار يغطيكم، وصرتم مثله، فإنكم قد صرتم واحدًا معه وتحملون شكله.^٣

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In Exp. in Ps. 5 PG 55:63C.

² See ACW, Vol. 31, p. 316.

³ Comm. in Gal. 3. PG 61:656C – D.

إذ يتحدث القديس إكليمنضس الإسكندري عن ثياب المسيحي، يُطالبنا أن نرتدي الثياب اللائقة بنا كمسيحيين، وهي تختلف حسب سن الإنسان وطبيعته والظروف المحيطة به. فما يليق بشخص ما قد يُحسب غير لائقٍ بالنسبة لغيره. لذا وجب أن يكون لنا روح التمييز لنختار الملبس اللائق بنا. وفي نفس الوقت يليق بنا أن ندرك أن لنا ثوبًا أهم يلتزم كل المؤمنين أن يرتدوه، ألا وهو شخص السيد المسيح، وهو ثوب ملوّن، يقدم لنا مواهب متعددة تبقى زاهية لا يقدر عامل الزمن أن يفقدها جمالها.

❖ إلهي! انزع عني بنعمتك ثوب الأهواء والجحيم المظلم، وألبسني رداء نورك القدوس الذي هو العالم الجديد بنفسه، قبل أن أخرج من الجسد.

أعطني ربي جمال منظرك مأكلاً، وتجليات أسرارك المخفية في حضن جوهرك مشرباً مفرحاً. اجعلني يا سيدي عضواً في جسد وحيدك، فأشعر بسرّ اتحادك بك قدر ما تستطيع طبيعتي الضعيفة^١.

❖ الويل للراهب الذي لا تفوح الخرق التي علي جسمه بالطيب، إذ يكون اللباس الذي يرتديه غريباً!^٢
الشيخ الروحاني (يوحنا الدلياتي)

❖ الثوب الذي نلبسه هو ربنا يسوع المسيح، والذي ينسدل حتى أقدامنا، والألوان المتعددة لهذا الثوب هي ألوان زهور الحكمة والأسفار المقدسة والأنجيل المتنوعة التي لا تبهت ولا تضيع ألوانها مع الزمن^٣.

القديس إكليمنضس الإسكندري

❖ إذ تعرت طبيعتنا عن الاستتارة الإلهية والبهاء الإلهي أخذ طبيعتنا وأعلنها مرة أخرى لتلاميذه المختارين، ملتحفة بطريقة ملحوظة على تابور (مت ١٧: ٢؛ مر ٩: ٢؛ لو ٩: ٢٩). لقد أشار إلى ما كنا عليه يوماً ما وما سنصير عليه خلاله في الدهر المقبل إن اخترنا هنا ونحن أسفل أن نحيا حسب طرقه قدر المستطاع...

قبل العصيان اشترك آدم في الاستتارة بالبهاء الإلهي، وإذ بالحق التحف بثوب المجد لم يكن عارياً ولا كان في موضع شائن لأنه كان عرياناً...

^١ رسالة ٨: ٤.

^٢ رسالة ٢: ١٣.

^٣ Paedagogus 2:11.

يدعو العظيم بولس هذا الاستتارة الإلهية والنعمة مسكننا السماوي... في طريقه من أورشليم إلى دمشق استلم بولس من الله عربون هذه الاستتارة الإلهية وكسائنا... قبل أن ينظر من اضطهاده عندما دخل في حوار مع ذلك الذي يضطهده، أو بالأحرى نال بريقاً خفيفاً من النور العظيم^١.

الأب غريغوريوس بالاماس

"وإن كنا لابسين لا نوجد عِرة" [٣].

من استعد للرحيل ونال عربون المجد لن يوجد عارياً بل ينال المجد الأبدي الذي لا يزول. يقول الرسول: "وإن كنا لابسين لا نوجد عِرة" (٢ كو ٥: ٣). فإذا نلبس الروح، ونكون هيكلاً مقدساً له لا يترك حتى جسدنا عارياً بل يسكب فيه مجد المسيح يسوع القائم من الأموات، كقول الرسول: "فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، "لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت" (٢ كو ٤: ١١)، "لكي يُبْتَلَع المائت من الحياة" (٢ كو ٥: ٤)...

بهذا إذ يُهدم بيت خيمتنا الأرضي أي جسدنا، لا نظهر عِرة بل يكون "لنا في السماوات بناء من الله بيت غير مصنوع بيدٍ أبدي" (٢ كو ٥: ١)، أي يظهر مجد السيد المسيح السماوي الذي كان مخفياً في جسدنا الضعيف. وكما يقول القديس مقاريوس الكبير "لنسع إذاً أن نفتتي ذلك اللباس هنا بالإيمان والحياة الفاضلة، حتى حينما نخلع الجسد لا نوجد عِرة ولا يحتاج جسدنا في ذلك اليوم إلى شيء يمجده، لأن كل واحدٍ بقدر ما يُحسب أهلاً لشركة الروح القدس بالإيمان والاجتهاد يتمجد جسده في ذلك اليوم، لأن كل ما خزنته النفس في داخلها في هذه الحياة الحاضرة سوف يُعلن يومئذٍ، ويُكشف ظاهراً في الجسد"^٢.

هذا المجد الذي للسيد المسيح، الذي يُلبسه الروح القدس لنفوسنا في الداخل، يصير مجدنا نحن وليس عارية، لهذا نحيا في هذا العالم بالحق أغنياء في الروح، نكون كملكٍ غني حينما يدعو الآخريين للوليمة يقدم بسخاء وبلا خوف من نفاذ كنوزه الداخلية التي له، أما الفقير الذي لا يملك شيئاً فإنه عندما يدعو الآخريين يستعير أدوات الوليمة إلى حين ثم يعود بعد الوليمة إلى فقره من جديد^٣: "لهذا يليق بنا أولاً أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان أن يهبنا أن نجد هذا الغنى في قلوبنا، أي نجد

^١ The One Hundred and Fifty Chapters, 66, 67.

^٢ عظة ٨: ٥

^٣ عظة ٥: ١٨.

كنز المسيح الحقيقي بقوة الروح القدس وفاعليته...^١.

❖ إن بقيت الطبيعة عارية وبنفسها فقط، ولم تتل الاتحاد والشركة مع الطبيعة الإلهية، فإنها لن تستقيم أبدًا أو تكتمل، بل تظل عارية ومستحقة للوم في طبيعتها الخاصة بسبب وضاعتها وأدناسها^٢.

❖ إنه يعني عراة من شركة الروح القدس والاندماج فيه. هذا الروح الذي فيه وحده تستطيع النفس المؤمنة أن تجد راحة^٣.

القديس مقاريوس الكبير

❖ إننا سنلبس إيماننا، هذا الإيمان هو رداء ودرع في نفس الوقت. رداء ضد العار ودرع ضد العدو^٤.

القديس أغسطينوس

❖ بالرغم من أن الجسد ينحل في الوقت المعين بسبب عصيانه البدائي، يوضع كما في بوتقة الأرض، لكي يُعاد من جديد، ليس كجسدٍ فاسدٍ هكذا، بل يكون طاهرًا لا يخضع للفساد، ويسترد كل جسم نفسه... ويقتتي في كل الجوانب كل ما يخصه، ليست أجسامًا مختلفة عما كانت عليه... لكنها كما رحلت من هذا الحياة إن كانت في الخطايا أو في أعمال بارّة. كما كانت الأجسام عليها ستكون هكذا ملتحفة بالحياة المستأنفة، وكما كانت في عدم إيمان سُحاكم بأمانة^٥.

القديس إيريناؤس

❖ الإنسان الشرير غير المؤمن حتى أن افترضنا أنه يلتحف بجسم سماوي يبقى عاريًا لأنه لا يفعل شيئًا لينال رداء الإنسان الداخلي^٦.

القديس ديديموس الضريير

❖ كن في تهليلٍ صالحٍ، لكن اعمل، جاهد بكل غيرة، فإنه لن يضيع شيء ما. كل صلاة، كل

^١ عظة ١٨:٦.

^٢ Semon 32:6.

^٣ Sernon 5:7.

^٤ Sermons on New Testament Lessons, 8:13.

^٥ Fragment 12 (P.N. Frs, 1:570).

^٦ Pauline Comm. From the Greek Church.

مزمور تغنيه، كل عمل صالح، كل صوم، كل حفظ للواجب الزوجي، العفة التي تُحفظ من أجل الله، كل هذا يُسجل... فإنك ستقوم ملتحقًا إما بخطاياك أو بأعمالك البارة^١.

❖ إن كان الإنسان بارًا فسيستلم جسمًا سماويًا قادرًا على الحديث مع الملائكة، أما إن كان الإنسان شريرًا فسينال جسمًا خالدًا يتلائم مع احتمال العقوبات عن الخطايا، فيحترق في نار أبدية دون أن يفنى. يعدل يعين الله أية حالة تكون للجسم، لأننا لا نفعل شيئًا بدون الجسم^٢.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ سوف لا نوجد هناك بدون جسم، بل نتقبل في السماء ذات الجسم في شكلٍ غير فاسد... لكي لا يكون الكل متجاسرًا بسبب قيامة الجسد يقول: "إن كنا لابسين"، أي تسلمنا عدم الفساد والجسد غير الفاسد، "لا نوجد عراة" من المجد والأمان... القيامة بالحقيقة هي عامة للجميع، لكن المجد ليس عامًا للجميع، إنما يقوم البعض في كرامة، وآخرون في هوانٍ، البعض إلى الملكوت والآخرون إلى العقوبة^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الكل، الأبرار والأشرار على السواء، سيلبسون عدم الموت، لكن الأخيرين يُسلمون لجهنم، وبنفس الشيء يوجدون عراة^٤.

سفيريان أسقف جبالة

"فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين،

إذ لسنا نريد إن نخلعها،

بل إن نلبس فوقها،

لكي يُبتلع المائت من الحياة" [٤].

نحن الذين في الخيمة مثقلين بالضعف الجسدي والمتاعب والضيقَات نئن بسبب الحمل الذي نلتزم به. وكأنه يقول بأن الحياة البشرية ككل هي حالة من التعب، خاصة بالنسبة لنا نحن الذين نُضطهد على الدوام ونحمل إماتة جسد الرب يسوع وإن كنا نختبر الحياة المقامة المتهللة في المسيح يسوع. إننا لا نريد إن نخلع هذه الحياة وتحل ساعة رحيلنا قبل الوقت الذي يراه الله مناسبًا لنا ولبنينا

¹ Catechetical Lectures 15:23, 25.

² Ibid 18:19, 7:139.

³ In 2Cor. hom 10. PG 61: 506-607.

⁴ Pauline Comm. From the Greek Church.

الكنيسة ومجد اسمه القدوس.

نريد إن نلبس فوقها إن يكون لنا الاستعداد الكامل للمجد الأبدي. لسنا نطلب الموت حتى نتحقق فينا إرادة الله ويتم كل شيء بحكمته الإلهية. بتمتعنا بعربون الخلود نتحسس بأن المائت قد ابتلع بالحياة الأبدية. لم يعد للخطية أو الفساد سلطان علينا.

❖ لسنا نريد أن نتخلص من الجسم، وإنما من الفساد الذي فيه. جسمنا هو ثقل علينا، ليس لأنه جسم بل لأنه فاسد وقابل للألم. ولكن إذ تحل الحياة الجديدة فإنها ستزح هذا الفساد، أقول هذا الفساد لا الجسم نفسه^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أرانا موسى النبي كمثال، بواسطة مجد الروح الذي سطع على وجهه الذي لم يستطع أحد أن ينفّر فيه، كيف أنه في قيامة الأبرار ستمجد أجساد أولئك المستحقين، بمجدٍ تحصل عليه منذ الآن النفوس المقدسة الأمانة، إذ تُحسب أهلاً لاقتناء هذا المجد في داخلها، في الإنسان الباطن^٢.
القديس مقاريوس الكبير

❖ أليست هذه هي منطوقات مواطن أورشليم السماوية:
"صارت دموعي لي طعاماً نهاراً وليلاً" (مز ٤٢: ٣).
"أعوم كل ليلة سريري بدموعي، بدموعي أبلل فراشي" (مز ٦: ٦).
"تتهدي ليس بمستور عني" (مز ٣٨: ٩).
"حزني قد تجدد" (مز ٣٩: ٢)؟

أو أليس أولاد الله الذين يئنون مثقلين لا يريدون أن يتعروا بل يلبسوا فوقها حتى يُبتلع المائت من الحياة؟ أليس حتى الذين لهم ثمار الروح يئنون داخلهم مترقبين التبني، خلاص أجسامهم؟ (رو ٨: ٢٣). ألم يكن للرسول بولس نفسه مواطن أورشليم السماوية هذا كله عندما كان مثقلاً وفي حزن قلب مستمر من أجل إخوته الإسرائيليين؟ لكن سوف لا يكون موت في المدينة إلا عندما يُقال: "أين نضالك يا موت؟ أين شوكتك يا موت، فإن شوكة الموت هو الخطية"^٣.

¹ In 2 Cor. hom 10:3.

² Sernon 5:10.

³ The City of God, 20:17.

القديس أغسطينوس

❖ بعد قيامتنا المقبلة سيكون جسدنا هو بعينه ويكون مختلفاً. هو بعينه من جهة الطبيعة، ومختلف من جهة المجد. هو بعينه في جوهره، ومختلف في قوته. حقيقة سيكون رقيقاً، لأنه سيكون غير قابلٍ للفساد. سيكون محسوساً إذ لا يفقد طبيعته الحقيقية^١.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنه بعدل ينالون مكافأة آلامهم في الجسم الذي تألم فيه الأبرار وحزنوا وتزكوا بالآلام بكل وسيلة. وفي ذات الجسم الذي فيه قُتلوا من أجل محبتهم لله، فيه ذاته سيحيون، وفي ذات الجسم الذي فيه احتملوا العبودية فيه سيملكون^٢.

القديس إيريناؤس

❖ كانت حياة (الرسول) ثمينة عنده بسبب الفُرص الصالحة التي أُعطيت له، وفي نفس الوقت كانت رخيصة عنده بسبب اشتياقه للسماء والاتحاد مع المسيح هناك. وكما ذكرت عنه ولازلت أقول لا يوجد من هو أكثر تناقضاً في ميوله مثله. فهو مستعد دائماً لأخذ الجانب الذي يمنح المميزات الأكثر، فلا يوجد من أحب الحياة هنا على الأرض مثله، وعلى النقيض الآخر لم يفكر في الحياة هنا كثيراً حتى ولو قارنته بهؤلاء الذين تخلوا عن هذه الحياة. لقد جرد نفسه من كل الشهوات البشرية، فلم يربطه شيء على الأرض، فكان كل كيانه متحداً بمشيئة الله. تارة نراه يفكر في أن الحياة على الأرض والخدمة أكثر حاجة من أن يكون مع المسيح، ومرة أخرى نجده يئن ويطلب اللحظة التي فيها يخرج من الجسد، فكانت أمنيته الوحيدة أن يكون فيما يحقق له الريح الوفير مع المسيح حتى ولو كانت النتيجة عكس ما بدأه^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يجب التوبيخ على الخوف من الضربات، ولكن ما يُلام فعلاً هو ارتكاب الخطية بسبب الخوف من الضربات. فالذي يخاف بدون اضطراب وفزع من الصراع يستحق الإعجاب أكثر من الذي لا يخاف مطلقاً، لأن ذلك يكشف عن قوة إرادته كدليل واضح. الخوف من الضربات أمر طبيعي، ولكن رفض الخطية الناتجة عن الخوف هو انتصار حقيقي للإرادة على ضعف الطبيعة البشرية،

¹ The Resurrection of the Body from Moraliu in Job 19:25.

² Adv. Haer. 5:37:1.

³ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

الحزن في حد ذاته لا يُلام، ولكن أن نجدف على اسم الله بسبب الحزن خطية يجب التوبخ عليها.

لو قلت أن بولس لم يحمل طبيعة جسدنا لاعتزضتم بوجه حق على الضعفات البشرية فيه لإثبات عدم صحة كلامي. ولكن لو قلت بل أكدت أنه إنسان مثلنا وليس أفضل منا في الطبيعة، لكنه أسمى في قوة الإرادة فقط، فإن كل اعتراضاتكم بلا جدوى أو بالأحرى تتحول لصالح بولس، لأنه بذلك تثبت كيف انتصر على الطبيعة بالرغم من كل الضعفات البشرية. وبالإضافة إلى مدحه فإننا نُسكت شفاه من يعيبون فيه، ملتَمسين لأنفسهم عذر ضعف الطبيعة البشرية، ونحثهم على ممارسة تقوية للإرادة. ربما تعتزض أنه في بعض الأحيان خاف من الموت، وهذا أيضًا شيء طبيعي جدًا. "فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين" (٢ كو ٥: ٤) وأيضًا: "نحن أنفسنا أيضًا نئن في أنفسنا" (رو ٨: ٢٣). نرى كيف أنهوازن بين ضعف الطبيعة وقوة الإرادة، فكثير من الشهداء وهم في طريقهم للاستشهاد امتلأوا من الخوف وارتعدوا، لكن هذا هو الذي جعلهم متميزين: حقيقة أنهم خافوا الموت، وبالرغم من ذلك تقدموا لملاقاته من أجل المسيح، وهكذا أيضًا بولس... بالرغم من أنه ارتعد أمام الموت إلا أنه اشتاق أن يفنى ويضمحل^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ القديسون وهم "في الخيمة يننون مثقلين" بجسم التواضع يفعلون كل شيء بطريقةٍ لائقةٍ ليوجدوا في سرّ القيامة. عندما يشكل الله جسمًا جديدًا للذين يكونون بالحق تلاميذ المسيح لا يكون في تواضع بل في مجد المسيح (في ٣: ٢١)^٢.

العلامة أوريجينوس

"ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله،

الذي أعطانا أيضًا عربون الروح" [٥].

الله هو الذي وهبنا وجودنا وجسمنا، وذلك لنحيا خالدين بالجسد ويتمجد كياننا بالكامل. وهبنا الجوع والعطش إلى البرّ والخلود.

العربون هو دفع جزء من الدفعة يضمن سداد الدفعة كلها. فما ننعم به الآن من تعزيات الروح القدس والسلام الذي يفوق العقل والفرح المجيد هو عربون المجد الذي سننالها فيما بعد بالكامل.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٦.

^٢ Commentary of Matthew, 13:21.

❖ هنا يظهر بولس أن هذه الأمور قد أُعدت من البداية. إنها لم تصدر الآن، وإنما منذ لحظات الخليقة، عندما خُلق آدم. فإن الله لم يخلق الإنسان الأول لكي يموت وإنما ليَجعله خالداً. لتحقيق هذا يضيف بولس أننا قد نلنا الروح كعربون (ضمان). يُقدمه الله كمن صنع تعهداً لنا بتحقيق وعوده. فعل بولس هذا لكي يُظهر أن ما يقول أكثر قبولاً للذين لا يعيرونه اهتماماً¹.

❖ لم يُخلق آدم لكي يموت، بل لكي يجاهد من أجل الخلود. ولكي يظهر مصداقيته. هذا ويقدم برهاناً عليه أضاف: "الذي أعطانا غير الروح"... والآن يعمل خلال المعمودية، ويهبنا عربونا ليس بقليل: الروح القدس².

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالرغم من أن الروح لا يقبل المزج مع غير المستحقين، إلا أنه يبدو بطريقة أنه حاضر معهم متى خُتموا، منتظرًا الخلاص الذي يتبع تغييرهم... لكن عندئذٍ عندما يدين الرب العالم في برّ سيكون الروح حاضرًا معه... وسيُنزع الروح تمامًا من النفس التي دنست نعمته. لهذا السبب: "ليس في الموت من يذكر ولا في الجحيم من يعترف لك" (مز ٦: ٤). لأن لا يعود عون الروح يوجد بعد. كيف إذن يمكن إدراك أن الدينونة تتحقق بدون الروح القدس بينما تشير الكلمة إلى أنه هو نفسه مكافأة الأبرار؟³.

القديس باسيليوس الكبير

❖ إذ سبق الله الخالق فرأى خطية آدم أعد العلاج لها. لأنه هو نفسه أعطانا باكورة الروح، حتى أنه بالمعجزات التي يفعلها الروح وسطنا نتأكد بأن الوعود الخاصة بالمستقبل صادقة⁴.

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ على أي الأحوال، نحن نرى الآن في غموض، لكن عندئذٍ سيكون وجهًا لوجه. الآن نرى ما هو جزئي، أما بعد فسيكون كاملاً (١ كو ١٣: ١٢). الإمكانية الحالية أن نرى في الكتب المقدسة بطريقة غامضة وجزئية إلى حد ما، ومع ذلك فهي في توافق مع الإيمان الجامعي. إنه عمل العربون الذي سُلّم بواسطة الكنيسة البتول عندما جاء عريسها إلى أسفل. إنها ستتزوج

¹ In 2 Cor. hom 10:3.

² 2 Cor. hom 10. PG 61: 507.

³ On the Spirit 16 (40).

⁴ PG 82:407.

في مجيئه الأخير عندما يأتي في المجد وعندما تراه وجهًا لوجه، لأنه يعطينا الآن كعربون الذي هو الروح القدس كقول الرسول^١.

القديس أغسطينوس

"فإذا نحن واثقون كل حين،

وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد

فنحن متغربون عن الرب" [٦].

إننا مدركون تمامًا ما هو نصيبنا، فقد تمتعنا بعربون الروح وصار لنا الرجاء الثابت. جاءت الكلمات باليونانية تحمل لهجة اليقين، فإذا نحن مستوطنون في الجسد، وهو اصطلاح يحمل معنى السكنى وسط الشعب، متغربون عن الرب، أي راحلون وسط شعب غريب الجنس. فالسمااء هي بيت المؤمن الحقيقي، وسكانها هم الشعب المنتمي إليه. هكذا النفس وهي مستوطنة في الجسد بكونه بيئتها فهي متغربة عن مدينتها وشعبها، إذ هي مهيأة للمجد الأبدي اللائق بها لتكون في حضرة الرب، تلتقي به وجهًا لوجه. يتحدث الرسول بولس عن خبرة، فقد ذاق انطلاق نفسه إلى السماء الثالثة لترى ما أعده الله لمحبيه، فشر بالحق أن نفسه متغربة عن هذا العالم، رجالة، ترجو البلوغ إلى مكان استقرارها الأبدي.

❖ نحن الذين في هذا العالم "متغربون عن الرب" نسلك على الأرض. هذا حق، لكننا نسرع في طريقنا إلى السماء. إذ ليس لنا موضع دائم، بل عابرو السبيل ورحالة مثل سائر آباءنا^٢.

القديس جيروم

❖ الله لا زال حاضرًا، لكن لأننا لا نستطيع أن نراه نقول بأننا متغربون عنه مادمنًا في الجسد^٣.

أمبروسياستر

❖ بالحقيقة جلب الإنسان لنفسه الموت، وأيضًا لابن الإنسان، غير أن ابن الإنسان جلب بموته وقيامته الحياة للإنسان... لقد رغب في أن يحتمل هذا أمام أعين أعدائه، حتى يظنوا كأنه متروك، ولكي ما يهب لنا نعمة العهد الجديد، حتى نتعلم أن نطلب سعادة أخرى، هذه التي نملكها

¹ Question 59:4 (FC 70:114).

² Hom 63 on Ps.

³ CSEL 81:231.

الآن بالإيمان، لكننا سنراها بعد ذلك... الآن نعيش على رجاء، أما بعد ذلك فسنستمتع بالحقيقة^١.

❖ ليكن مثل هذا الشخص بالأحرى إذ يقبل السلطة أن يكون سامياً متحرراً من كل خداع كما قيل لنا أننا مادمنا في الجسد نحن متغريون عن الرب، وأننا نسلك بالإيمان لا بالعيان^٢.

❖ لذلك قبل أن يمكنك أن ترى آمن بما لم تره الآن. لتسلك بالإيمان لكي تتال العيان. فإن العيان سوف لا يبهج الشخص في بيته ما لم يعززه الإيمان في الطريق. هكذا يقول الرسول: "مادمنا في الجسد فنحن متغريون عن الرب". وقد أضاف للحال لماذا نحن لا نزال في حالة سياحة وإن كنا قد آمنا قائلاً أننا نسلك نحن بالإيمان لا بالعيان^٣.

❖ إذ ونحن في هذا الجسد متغريون عن الرب فاننا بالنسبة للملائكة القديسين الذين يرون هذه الأمور تُحسب أطفالاً نرضع الإيمان. أما بعد ذلك فسنددهش بالعيان... سنأتي يوماً إلى العيان الذي وعد به يوحنا في رسالته: "أعزائي المحبوبين نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ما سنكون عليه." (١ يو ٣: ٢)^٤.

❖ في الوقت الحاضر تستتير هذه الأعين حسب ما يناسب ضعفها وذلك بالإيمان. فيما بعد تستتير بالعيان بما يناسب قوتها... الآن مادمنا في حالة الإيمان ماذا يقال عنا؟ "الآن نرى في مرآة مظلمة، ولكن عندئذٍ وجهها لوجه" (١ كو ١٣: ١٢)^٥.

❖ يقول إشعياء: "ما لم تؤمنوا لا تفهمون" (LXX ١٠: ٦١). لنسلك بالإيمان مادمنا في سياحة عن الله، حتى نبلغ العيان حين نراه وجهاً لوجه (٢ كو ٦-٧). إذ نسير بالإيمان لنصنع أعمالاً صالحة. في هذه الأعمال الصالحة لنحب الله من أجل شخصه، ونكون عاملين في محبة قريبنا^٦.

القديس أغسطينوس

"لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" [٧].

هنا نعيش بالإيمان، فنثق بكلمة الله ووعوده الإلهية، ونتمتع بعربون المجد كتنوقٍ مقدم لما سنراه

¹ Letter to Honoratus.

² The Harmony of the Gospels, 4:10:20

³ Sermons on New Testament Lessons, 38:4.

⁴ Sermons on New Testament Lessons, 77:5.

⁵ Sermons on New Testament Lessons, 3:6.

⁶ Sermons on New Testament Lessons, 41:9.

وجهاً لوجه بالعيان. الآن نسير بالإيمان لنتهيأ للحياة بالرؤية.

الذين يولدون بالروح من فوق يشعرون بالتغرب هنا حتى يلتقوا بالله أبيهم في سمائه. إنهم يغلقون أعين قلوبهم عما في العالم حتى يفتحونها في عالم المجد، حيث يتحول الإيمان إلى عيان.

❖ الإيمان هو مدخل الأسرار. ما تقوم به عينا الجسد بالنسبة للأشياء الحسية يقوم به الإيمان بعيني النفس، إذ يتطلع إلى الكنوز الخفية.

لنا عيان للنفس، كما لنا عيان، وذلك كقول الآب.

لكن هاتين ليس لهما ذات عمل البصيرة، فبالواحدة نرى مجد الله الخفي المختوم داخل الطبيعة، مع قدرته وحكمته وفكره الأبدي من نحونا، هذه الأمور كلها التي يمكن إدراكها خلال عنايته الإلهية لنا على وجه الخصوص. بنفس العين نرى أيضاً الطغيمات الروحية، رفاقنا. وأما بالعين الأخرى فنرى مجد طبيعة الله المقدسة.

عندما يرغب الله في تقديم أسرار روحية، يفتح بحر الإيمان بطريقة متسعة في أذهاننا^١.

القديس مار إسحق السرياني

❖ يقول الإنجيل: "بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيذاً أن يأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي" (عب ١١: ٨)... توقف عن المعرفة الأرضية، ولم يتعلق فكره بأي شيء على الأرض، فتفوق إبراهيم في الفهم والحكمة على كل أهل جيله، وعلى فلسفة الكلدانيين المعروفة وقتئذ. وفاق كل ما يُمكن إدراكه بالحواس، وكل جمالٍ جسدي آخر، ولذلك أبصر الجمال الإلهي الأصلي، وأبصر كل ما يمكن أن يُنسب إلى الله من صفاتٍ مثل البرّ والقدرة على عمل أي شيء في الوجود الذاتي والحب. لقد فهم إبراهيم كل هذا حينما تقدم في الفكر، وأخذ كل هذه كمثونة في رحلته إلى السماء، وتقوى بالإيمان، وطبع كل هذا في قلبه، وارتفع فوق مستوى رؤية الأشياء المادية^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ بالإيمان لنا رجاء في الله لأن شكله ليس منظوراً لنا. لكننا نعتقد إننا سنقطن معه وسنراه قدر ما يمكن للكائن البشري أن يراه. لأن موسى رآه عندما كان لا يزال في الجسد (خر ٢٤: ٩-١١؛

^١ A. J. Wensinck: *Mystic Treatises by Isaac of Nineveh*, 1923, p 210.

Dana Miller: *The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian*, 1984, p.223.

^٢ من مجدٍ إلى مجدٍ، فصل ١٠:١.

(٣٣: ١١)، وتراه الملائكة بالطريقة التي تناسبهم^١.

سفيريان أسقف جبالة

❖ لا نستطيع الآن أن نرى ما ستكون عليه فيما بعد، وإنما ندرك هذا بالإيمان وحده. هذه هو السبب لماذا بعد موت الجسد نريد أن نقف في حضرة الله^٢.

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ لما كان الفهم يكمن في العيان وفي اللقاء الدائم، أما الإيمان فيقوتنا كالأطفال كابن في قماط الأمور الزمنية (إذ نسلك الآن بالإيمان لا بالعيان)، علاوة على هذا فإننا ما لم نسلك بالإيمان لن نبلغ العيان الذي لن يزول بل يبقى دوماً، إذ يتبقى فهمنا بتمسكنا بالحق^٣.

❖ وسط ظلال هذه الحياة التي فيها نحن "متغربون عن الرب" ما دمنا نسلك بالإيمان لا بالعيان، تعتبر النفس المسيحية مهجورة، ولا تكف عن الصلاة، وعن التطلع بعيني الإيمان إلى كلمة الكتاب المقدس الإلهي^٤.

القديس أغسطينوس

"فنتق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد،

ونستوطن عند الرب" [٨].

إذ نسلك الآن بالإيمان نشتهي أن نتمتع بما هو بالعيان، ففي وسط أتعابنا الكثيرة نثق بما نلناه من عريون الروح وبالمواعيد الإلهية مشتهين إن نخرج من الجسد ونتغرب عنه إلى حين لنتمتع بالمجد الذي ننعم به ونراه.

❖ وضع بولس أعظم الأمور في النهاية، فإن المعية (الاستوطان) مع المسيح أعظم من نوال جسد غير فاسد.

بتحاشيه الإشارة المباشرة للأمور المؤلمة مثل الموت والنهاية، يعالج بولس هذه الأمور بطريقة تجعل السامعين إليه مشتاقين إليها بدعوتها "حضور مع الرب". بنفس الطريقة عبر على الأمور العذبة لهذه الحياة وعبر عنها بعبارات مؤلمة إذ يدعوها "التغرب عن الرب". فعل هذا لكي لا نولع

¹ Pauline Comm. From the Greek Church.

² PG 82:407.

³ On Christian Doctrine, 2:12 (17).

⁴ To Proba, 130 (FC 18:370).

بالتسكع بما نحصل عليه الآن بل نتهياً للرحيل إلى ما هو أفضل^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أطلب أن لا تتزعج نفوسنا قط، بل بالأكثر أننا في وسط المصاعب والسيوف المصوبة ضد أعناقنا نتحصن بسلام الله الذي يفوق كل فهم، وتكون هادئة عندما نحسب أن الذين هم غرباء عن الجسد هم مستوطنون مع رب الكل^٢.

العلامة أوريجينوس

"لذلك نحترس أيضاً،

مستوطنين كنا أو متغربين،

أن نكون مرضيين عنده" [٩].

على أي الأحوال سواء كنا لانزال في الجسد أو في طريقنا السريع لخلق ما يشغلنا فما نحرص عليه وما نجاهد من أجله هو سرور الله بنا. جاءت كلمة "نحترس" *philotimoumetha* تعني كلمة محبة الكرامة، ومحبة المجد الأبدي أو الطموح في نواله، فإننا لا نكف عن أن ندرس ونجاهد عاملين لكي نحب ذاك الذي وهبنا الوجود وسيهبنا الأمجاد الأبدية ونرضيه ونخدمه. هكذا سواء كنا أحياء أو منتقلين ما يشغلنا وما نطمح فيه هو أن نكون موضع رضا الله.

"لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح،

لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد،

بحسب ما صنع،

خيراً كان أم شراً" [١٠].

سرّ شهوة قلب المؤمن أن يكون موضع رضا الله هو ترقبه للظهور أمام العرش الإلهي للدينونة، فيتمتع بعمل النعمة التي سنده وبررته، فينال حسب ما صنعه وهو في الجسد. فما يمارسه الإنسان في العالم الحاضر وهو في الجسد ينال ثمره بفيض في يوم الرب العظيم. استخدم القديس كيرلس الكبير هذه الآية للرد على القائلين بأن الجسد أُعطي للنفس كعقوبة.

❖ إن كان فقط من أجل الأمور التي صُنعت بالجسد ينال الإنسان إما عقاباً على يد الديان أو يُحسب أهلاً لمكافأةٍ لاثقةٍ، فإنه لا توجد إشارة إلى خطايا سابقة قبل الوجود في الجسد، ولا سؤال

¹ In 2 Cor. hom 10:4.

² An Exhortation to Martyrdom, 4.

عما حدث قبل مولده، فكيف يكون للنفس وجود سابق على وجودها في الجسد؟ وكيف أُذلت بسبب الخطية كما يقول البعض، لأن الدينونة تكون على ما فعله الإنسان في حياته على الأرض؟^١

القديس كيرلس الكبير

❖ أما بالنسبة لنا نحن الذين نحتل الموقف الوسط بين الإنسان الكامل والمرتب عن الإيمان، عندما نقف أمام كرسي الحكم الذي للمسيح، يرتد إلينا ما فعلناه، خيرًا كان أم شرًا. فإننا لسنا طاهرين تمامًا حتى أن أفعالنا الشريرة لا تلتصق بنا، ولا نحن سقطنا تمامًا حتى أن أفعالنا الصالحة تكون منسية.^٢

❖ حساب الحياة كلها بأكملها تقدم بدقة فيما يدعى بملكوت السماوات الذي يشبه ملكًا حيث نقف أمام كرسي المسيح للحكم، وينال كل واحد ما قد فعله في الجسد إن كان خيرًا أو شرًا. وإذا يتم الحساب يقدم فيه كل كلمة بطلالة نطق بها البشر (مت ١٢: ٣٦)، وكل كأس ماء بارد قُدم للشرب باسم تلميذ (مت ١٠: ٤٢).^٣

العلامة أوريجينوس

تصالحوا مع الله

"فإذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس،

وأما الله فقد صرنا ظاهرين له،

وأرجو أننا قد صرنا ظاهرين في ضمائمكم أيضًا" [١١].

إذ نتمتع بمخافة الرب ونترقب يومه العظيم نقنع الناس أن يقبلوا الإيمان بذاك القادر أن يبررهم ويقدهم ويمجدهم في ذلك اليوم.

مخافة الرب التي هي رأس الحكمة تدفعنا للشهادة لله والاهتمام بخلاص البشر، ليس إرضاءً للناس ولا لنوال مكافأة منهم، وإنما إرضاء لذاك الذي يفحص قلوبنا ويعرف نياتنا الداخلية. وإذا نسعى هكذا باستقامة قلب نرجو أن يتكشف ذلك أمام ضمائر الناس الداخلية فيتمثلوا بنا ويجاهدوا معنا.

❖ يجب أن نغرس الفضيلة في نفوسنا من الداخل على أن لا نهمل أن يكون منظرنا الخارجي حسنًا

¹ Comm. On John, book 1, ch. 9:15.

² Commentary on Matthew, 12:30.

³ Commentary on Matthew, 14:8.

فيلزم أن نعتني بما هو شريف أمام الله والناس (٢ كو ٥: ١١).^١

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

٢. الكل قد صار جديداً

"لأننا لسنا نمدح أنفسنا أيضاً لديكم،

بل نعطيكم فرصة للافتخار من جهتنا،

ليكون لكم جواب على الذين يفتخرون بالوجه لا بالقلب" [١٢].

يعتذر الرسول بولس عن دفاعه عن نفسه وعن العاملين معه موضحاً أنه ليس من أجل نفسه ومن معه، ولا لأنه يطلب منهم شيئاً، وإنما التزم بذلك لكي يقدم لهم ما ينطقون به لدى المتهمين ضده. إنه لا يطلب لنفسه مديحاً، بل يقدم لهم مادة كي لا يعطل أحد خدمتهم بسبب.

❖ إنهم يفتخرون بما هو منظور، وبما هو مكتشف للعيان. لهذا يمارسون كل عمل لأجل محبة الكرامة. بينما هم فارغون داخلياً يرتدون بالحقيقة مظهر التقوى والأمور المكرمة، لكنهم مهجورون من الأعمال الصالحة.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأننا إن صرنا مختلين فلله،

أو كنا عاقلين فلکم" [١٣].

لم يكن بالأمر السهل على الرسول بولس أن يدافع عن نفسه، فقد حسب نفسه كمن صار مختل العقل أو مجنوناً. وقد فعل هذا من أجل الله، حتى لا تتعطل الخدمة فإن ظهر كمجنونٍ أو كعاقلٍ لا يشغله هذا، لكنه يطلب ما هو لله، وما يسندهم في خدمتهم.

يرى القديس غريغوريوس أسقف نيصص أن الرسول يقصد بقوله "مختلين" السكر الروحي بالجمال الإلهي الذي يفوق كل تصور.

إذ اضطر للدفاع عن خدمته رفع قلوبهم معه إلى السماء ليروا الرسول مشغولاً لا بالبقاء في خيمة الجسد الوقتية بل في البناء السماوي والسماويات فصار كمن سكر بحب الله والانشغال بالأبديات، وهكذا دخل فيما يدعوه البعض بالسكر الروحي.

¹ Commentary on Song of Songs, Homily 4.

² In 2 Cor. hom 11. PG 61: 513.

❖ قد يتهمنا البعض بالخلل العقلي... قال الرسول بولس لفستوس الوالي: "لست أهذي أيها العزيز فستوس، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو" (أع ٢٦: ٢٥). وقد اختبر بطرس الرسول أيضًا هذا السكر الروحي خلال الجوع والعطش (أع ١٠: ١٠).^١

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ ملاحظاتي هذه ليست عشوائية، بل تشرح صعوبة حكمة بولس الرسول. فإنك تمدحه عندما يهرب من المخاطر بنفس المقدار حينما يواجهها، إذ كان يرى في الأولى حكمة، وفي الثانية شجاعة. وفي استخدامه الكلام بافتخار أو عدم افتخاره يحمل الاثنان نفس معنى التواضع، ففي الأولى يتحدث بتميز وفي الثانية بوداعة... هدف كل أعماله وميوله هو خلاص نفوس الجموع وبالتالي يقول: "لأننا إن صرنا مختلين فلله، أو كنا عاقلين" (٢ كو ٥: ١٣).

لا نجد شخصًا آخر لديه سببًا للافتخار وفي نفس الوقت خالٍ من أي كبرياء وتمجيد. تأمل في كلماته: "العلم ينفخ" (١ كو ٨: ١) كلمات يلزمنا جميعًا اقتنائها. ولكن بالتأكيد كان هو أكثر من أي إنسان آخر ذا علم أو معرفة، وهذا لم يجعله متكبرًا بل متواضعًا، إذ يقول: "لأننا نعلم بعض العلم" (١ كو ١٣: ٩)، و"أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي إني قد أدركت" (في ٣: ١٣)، "فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئًا، فإنه لم يعرف شيئًا بعد كما يجب أن يعرف" (١ كو ٨: ٢).^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن محبة المسيح تحصرنا،

إذ نحن نحسب هذا:

إنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع،

فالجميع إذا ماتوا" [١٤].

لم يشغل قلب بولس دفاعه عن نفسه، إنما ما يشغله عشقه للسيد المسيح الذي حاصر قلبه بعبودية الحب، وسحب كل كيانه إلى الصليب، ليراه قد مات عن الجميع كي يموت معه الكل ويرتفعوا معه إلى سمواته ويشتركوا معه في أمجاده السماوية.

هكذا سحب الرسول القراء من الحديث عن محبته هو ومن معه لهم وإخلاصهم في الخدمة إلى التمتع بالحب الإلهي العملي خلال الصليب، ورفع قلوبهم إلى السماوي. عند الصليب يموت الكل مع

^١ من مجد إلى مجد، فصل ٤١: ٣.

^٢ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

المسيح، خاصة الخدام، فلا يطلب الخادم ما لنفسه بل ما هو لمجد الله وبنيان كنيسته.

❖ لا تحدثوني عن المدن أو الشعوب والملوك والجيوش والمال والولايات والسلطات، فهذه كلها فانيات، ولكن اهتموا بالفرح السماوي لتروا المحبة الفائقة التي في المسيح.

مجد الملائكة ورؤساء الملائكة وأي شيء آخر أقل شأنًا عنده من محبة المسيح، فامتلك في أعماقه الداخلية أعظم ما يمكن للإنسان امتلاكه، أي محبة المسيح التي بها اعتبر نفسه أسعد الناس، وبدونها يفقد كل رغبة في أية سلطة أو مبادئ أو قوات.

بهذا الحب فضل أن يُحسب ضمن الرُتب الوضيعة على أن يُحسب ضمن أعظم النبلاء بدونه. كان العقاب الوحيد في نظره أن يتجرد من هذا الحب، فذاك هو الجحيم نفسه، والتأديب والشر الأبدي. على عكس ذلك فإن امتلاك محبة المسيح هي السماء، وهي الحياة، وهي العالم كله، وهي أن يصير ملاكًا، وهي الفرح الحاضر، والفرح المقبل، وهي أن يصير ملكًا، وهي الوعد، وهي الصلاح الأبدي.

خارج هذا لا يوجد أي شيء آخر، سواء كان مُبهجًا أو مؤلمًا. احتقر العالم المنظور كله كأنه ورقة شجرة جافة متعفنة، فالطغاة والناس المملوءون بنار الغضب في نظره مجرد حشرات صغيرة، الموت والاستبداد والاضطهاد في نظره كلهو الأطفال، طالما أنه من أجل المسيح. فاحتضن كل هذا بفرح، واعتبر قيوده في سلاسل جائزة أثنى وأعلى من تاج نيرون، فصار سجنه سماءً، واحتمل جراحات السياط باشتياق كاشتياق المتسابق نحو الجائزة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وهو مات لأجل الجميع،

كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم،

بل للذي مات لأجلهم وقام" [١٥].

هذه هي خطة السيد المسيح في عمله الخلاصي إنه إذ يرتفع على الصليب يجذب الكل إليه (يو ١٢: ٣٢)، فيعيشوا معه كجسد له، يعيشون لو كما هو لهم. يموتون معه ويقومون معه، يتألمون معه ويتمجدون معه ويرتفعون إلى حيث هو قائم في سمواته.

❖ بمعنى أن الحياة البشرية تعني في ذاتها أقل فأقل، لكنها تنمو في المسيح حتى أن الذين يعيشون

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

لا يعيشون لأنفسهم بل لذلك الذي مات من أجل الكل وقام؛ فيقول كل واحد منا ما يقوله الرسول:
"أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في". حقًا ينبغي أن ذاك يزيد وأنا أنقص^١.

القديس أغسطينوس

"إذا نحن من الآن لا نعرف أحدًا حسب الجسد،

وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد،

لكن الآن لا نعرفه بعد" [١٦].

"لا نعرف أحدًا حسب الجسد"، بمعنى أننا لا نرتبط بالشخص ونقدّر من أجل علاقاته الأسرية أو
الرباطات الدموية أو الإمكانات الجسدية أو المادية إنما نتعرف عليه خلال محبة المسيح الفائقة
كشريك معنا في الآلام والأمجاد السماوية.

علامة الاتحاد الحقيقي مع السماوي من الجانب السلبي هو الفطم عن العالم ومن الجانب
الإيجابي هو التمتع بالخلقة الجديدة التي على صورة الخالق.

يُفطم المؤمن عن العالم وعن الجسديات حتى في معرفته للمسيح نفسه لا تقف المعرفة عند حدود
الجسد وإلا حُسب كمن لم يعرفه بعد. تنطلق محبة المسيح إلى قلوبنا وتتحدّر محبة العالم تحت
أقدامنا.

لم يتمتع بولس الرسول بالتعرف على شخص الرب يسوع وهو بعد في الجسد في هذا العالم كما
تمتع به التلاميذ والرسول. هذا لن يقلل من رسوليته، فإنه التقى بالمسيح الساكن في السماء، وتجلّى
أمامه بل وفي أعماقه.

لقد قيم اليهود أنفسهم إذ رأوا أن إبراهيم هو أبوهم حسب الجسد، وأيضًا تشامخ بعض المعلمين
الذين من أصل يهودي في كورنثوس لأنهم رأوا يسوع حين كان بالجسد على الأرض أثناء خدمته،
وحسبوا أنفسهم أفضل من الرسول بولس الذي لم ير السيد أثناء خدمته.

❖ كل عقل يرتفع ويتشكل في الصلاة حسب نقاوته. فإن كان مهتمًا بالأمور المادية الأرضية يحمل
هذه النظرة أمامه، وتبقى هذه النظرة قدام عيني نفسه الداخليتين في رؤيته للرب يسوع، سواء
عندما جاء في تواضعه في الجسد، أو عند مجيئه في عظمته. أمثال هؤلاء لا يقدرون أن يروا
الرب يسوع آتيًا في ملكوته، إذ هم مُمسكون بنوع من الضعف اليهودي (أي النظرة المادية)، ولا
يستطيعون القول مع الرسول: "وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد"

¹ Sermons for Christmas and Epiphany (ACW), 12:1

(٢ كو ٥: ١٦).

أما الذين يرتفعون فوق الأعمال والأفكار الأرضية السفلية، ويصعدون على جبل الوحدة (العزلة) المرتفع، متحررين من الاضطراب بكل المتاعب والأفكار الأرضية، في أمان من تدخل الخطايا، ممجدين بإيمان قوي، هؤلاء يمكنهم أن يتطلعوا بعيون نقية إلى لاهوته، وفي أعالي الفضيلة يكتشفون مجده وصورة سموه...

يُعلن يسوع للموجودين في المدن والقرى والمزارع، أي الذين لهم أعمال يقومون بها، لكن ليس بالبهاء الذي يظهر به لمن يصعدون معه على جبل الفضائل السابق ذكره... ففي الوحدة (العزلة) ظهر الله لموسى وتحدث مع إيليا^١.

الأب إسحق

❖ لاحظوا أنه حتى ذاك نفسه الذي هو الحق والكلمة، والذي به كان كل شيء، وقد صار جسداً ليسكن بيننا، مع ذلك يقول الرسول: "وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد"، لأن المسيح لم يرد فقط أن يهب ممتلكات لمن يكمل الرحلة، بل أيضاً أن يكون هو نفسه الطريق للذين يشرعون في السير^٢.

القديس أغسطينوس

❖ فإننا نتعلم من الرسول ألا نعرف المسيح بنفس الطريقة الآن كما كان قبلاً... بمعنى أن معرفة إحداهما تعلن لنا عن تدبيره المؤقت، والثانية عن وجوده الأبدي^٣.

❖ لكي يفضي بهذا السرّ العظيم عن طريق تجسده وهو إن الطهارة هي المؤشر الوحيد الكامل لحضرة الله ومجيئه؛ وأنه لا يستطيع أحد بالحقيقة أن يضمن هذا لنفسه ما لم يتغرب تماماً عن أهواء الجسد. ما حدث مع مريم التي بلا دنس عندما أشرق خلالها كمال اللاهوت الذي في المسيح يحدث مع كل نفس تسلك حياة البتولية. حقاً لا يعود يأتي السيد بحضور جسدي: "لا نعرف المسيح بعد حسب الجسد"، بل هو حضور روحي. يسكن فينا ويأتي معه الأب كما أخبرنا الإنجيل^٤.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

¹ St. John Cassian: 10:6.

² On Christian Doctrine, 1:34 (38).

³ Against Eunomius, 6:2

⁴ On Virginité, 2.

"إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة،

الأشياء العتيقة قد مضت،

هوذا الكل قد صار جديدًا" [١٧].

ما أخطر إن يعتز الإنسان بتعرفه عن المسيح خلال القراءة وحدها أو خلال المعجزات الملموسة دون أن تتجدد طبيعته ليصير أيقونة له. فمن هو في المسيح، أي المؤمن الحقيقي، يتمتع بسكنى المسيح في قلبه بالإيمان وبالتجديد المستمر خلال عمل روحه القدس، فيمارس بنوته لله جاهدًا بنوته القديمة التي لإبليس وأعماله الشريرة.

في المسيح ننال قلبًا جديدًا وفكرًا جديدًا وسلوكًا جديدًا وحياة جديدة، كما نعيش في خليفة جديدة، في السماويات.

من كان في المسيح يحيا حرًا من الخطية ومن محبة العالم وشهوات الجسد. إنه لا ينشغل بما يُرى وإنما بما لا يُرى.

المؤمن الحق ليس فقط يتمتع بالتجديد المستمر في داخله، وإنما يرى كل شيء جديدًا؛ يتطلع خلال عيني المسيح فيرى حوله خليفة جديدة.

جاء الاسم هنا "الخليفة" *Ktisis κτίδος* في اليونانية بالمونث حيث أغلب الأسماء المونثة تنتهي بـ "sis" بينما المذكر بـ "ma". فالمونث يشير إلى التحرك والعمل والإنتاج. الخليفة هنا ليست جامدة لكنها عاملة ومثمرة.

❖ إن آمن بي أحد يأتي إلى خليفة أخرى، إذ يولد ثانية بالروح... يليق بنا أن نعيش له... يحثنا بولس على حياة الفضيلة... مظهرًا كيف أنها "خليفة جديدة". يضيف: "الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا". ما هي الأشياء العتيقة؟ إما الخطايا أو عدم التقوى أو حفظ الممارسات اليهودية. نعم بالأحرى يعني هذه وتلك^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا هو نفس الغرض الذي من أجله جاء ربنا يسوع المسيح، أن يغير الطبيعة البشرية، ويحولها، ويجددها.

يخلق النفس خلقًا جديدًا، النفس التي كانت قد انتكست بالشهوات بواسطة التعدي.

¹ In 2Cor. hom 11. PG 61: 513.

جاء المسيح لكي يوحد الطبيعة البشرية بروحه الخاص، أي روح اللاهوت، وقد أتى ليصنع عقلاً جديداً، ونفساً جديدة، وعبوئاً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحانياً. وبالاختصار أناساً جديداً كلية، هذا هو ما جاء لكي يعمل في أولئك الذين يؤمنون به. إذ صيرهم أوانٍ جديدة، ويمسحهم بنور معرفته الإلهية، لكي يصب فيهم الخمر الجديدة، التي هي روحه، لأنه يقول أن "الخمر الجديدة ينبغي أن توضع في زقاقٍ جديدة" (مت ٩: ١٧).^١

القديس مقاريوس الكبير

❖ صارت طبيعة الإنسان كلها خاطئة في شخص الذي خلق أولاً. لكنها الآن قد تبررت من جديد في المسيح، لأنه صار لنا بداية ثانية لجنسنا بعد تلك البداية الأولى، ولذلك فكل الأشياء قد صارت جديدة فيه.^٢

❖ قد برز لنا عالم جديد (بمجيء مخلصنا)، وقد صارت لنا فيه كل الأشياء جديدة.^٣

القديس كيرلس الكبير

❖ عندما شاخت الخليقة الأولى وتلاشت كانت هناك حاجة إلى خليفة جديدة في المسيح (كما يقول الرسول الذي يؤكد أننا لا نعود نرى في الخليقة الثانية أي أثر لما قد شاخ، قائلاً: "إذ نخلع الإنسان العتيق بكل أعماله وشهوته نلبس الإنسان الجديد المخلوق حسب الله"، "إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، وهذا الكل قد صار جديداً"، لأن خالق الطبيعة البشرية في الخليقة الأولى... أخذ تراباً من الأرض وشكل الإنسان، مرة أخرى أخذ تراباً من العذراء ولم يشكله إنساناً مجرداً بل إنساناً له. لقد خلق ثم صار خليفة. الكلمة خلق جسداً، ثم صار الكلمة جسداً حتى يحول جسدنا إلى روح، إذ صار شريكاً معنا في الجسد والدم. هذه الخليقة الجديدة في المسيح التي بدأ هو نفسه بها، دُعي البكر، بكر الجميع، كلاً من الذين ولدوا في الحياة والذين حيوا بالقيامة من الأموات.^٤

❖ مرة أخرى إذ جعل نفسه بكر القيامة، نال اسم "بكر الراقدين"، إذ له الأولوية في كل شيء. بعد ذلك كما يقول الرسول: "الأشياء القديمة قد مضت". إنه يصير بكر الخليقة الجديدة للبشر في

¹ Sermon 44:1.

² Sernon 42 on Luke 8:9-21.

³ Sernon 60 on Luke 10:1-3.

⁴ Against Eunomius, 4:3

المسيح بميلادٍ جديدٍ مزدوج، واحد بالمعمودية المقدسة والآخر كنتيجة للقيامة من الأموات، صار بالنسبة لنا في كليهما رئيس الحياة والبكر... هذا البكر له أيضًا اخوة يتحدث عنهم مع مريم: "أذهبي اخبري اخوتي، أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم". في هذه الكلمات لخص كل غايته من تدبيره كإنسان^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ يقول لكي نثبت بأعمالنا ما نعلنه بالكلمات إن "الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" وإذا كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. تصالحوا مع السماوي

"ولكن الكل من الله،

الذي صالحنا لنفسه يسوع المسيح،

وأعطانا خدمة المصالحة" [١٨].

كل هذه العطايا التي تمس تجدينا الداخلي، أو الحلقة الجديدة هو هبة من الله تمتعنا بها خلال المصالحة مع الآب في المسيح يسوع. فإن كانت الخطية قد نزعت التصاقنا بالله وحطمت العلاقة به، فتحولت إلى عداوة، فإن عمل المسيح الخلاصي هو المصالحة. صالحنا الله مع نفسه بابنه الوحيد الجنس يسوع المسيح.

كل النعم التي ننالها من الله مصدرها المصالحة التي تحققت بالشفيع الكفاري يسوع المسيح. قدم لنا إلهنا خدمة المصالحة، ووهبنا الكتاب المقدس، الكلمة الإلهية، بكونه كلمة المصالحة، حيث تمتعنا بالسلام مع الله خلال دم الصليب. نزع الصليب روح العداوة التي سيطرت على القلب نحو الإلهيات والسماويات، وقدم روح المصالحة معها والالتصاق بها.

❖ إذ ترون قوله: "أعطانا خدمة المصالحة" يستخدم قول مُصلح قائلاً: لا تظنوا أننا نعمل بسلطاننا. نحن خدام. الذي يعمل كل الأشياء هو الله، الذي صالح العالم بواسطة ابنه الوحيد^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ Against Eunomius, 2:8.

² In Galat., hom 2

³ In 2Cor. hom 11. PG 61: 515.

"أي إن الله كان في المسيح مصلحاً العالم لنفسه،

غير حاسب لهم خطاياهم،

وواضعاً فينا كلمة المصالحة" [١٩].

بقوله هذا يعلن إن الله هو الذي يطلب من جانبه المصالحة. نحن بادرنا بالعداوة والمقاومة والتمرد والعناد وهو الذي يبادر بالحب وطلب المصالحة. هو الذي يسعى إلينا مقدماً لنا إنجيله، "كلمة المصالحة".

❖ يوجد عالم شرير وعالم صالح، العالم الشرير هو كل البشر الأشرار في هذا العالم، والعالم الصالح هو كل الصالحين في العالم^١.

❖ "كون العالم (بالرب) ولم يعرفه العالم" (يو ١ : ١٠). أي عالم كَوَّن به؟ وأي عالم لم يعرفه؟ إنه ليس العالم الذي كَوَّن به؟ السماء والأرض، كيف لم تعرفه السماء هذه التي عند آلامه اظلمت الشمس؟ كيف لم تعرفه الأرض التي عندما عُلق على الصليب تزلزلت؟ لكن "العالم لم يعرفه" هذا الذي "رئيس هذا العالم يأتي ولا يجد في شَيْئاً" (يو ١٤ : ٣٠). يُدعي الأشرار العالم، غير المؤمنين يدعون العالم. لقد نالوا هذا الاسم من أجل ما يحبونه. فحبنا للعالم تُدعى "العالم". بحبنا لله نصير آلهة. هكذا بحب العالم تُدعى العالم، لكن الله صالح العالم معه في المسيح^٢.

القديس أغسطينوس

❖ الأناجيل أربعة. هذه الأربعة كما لو كانت عناصر إيمان الكنيسة، خلالها قد اجتمع حقاً العالم الذي صولح مع الله في المسيح^٣.

العلامة أوريجينوس

"إذا نسعى كسفراء عن المسيح،

كأن الله يعظ بنا،

نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" [٢٠].

إن كان الله هو المبادر بطلب المصالحة يليق بخدامه كسفراء عنه أن يبادروا من جانبهم بطلب المصالحة. إنهم يتوسلون إلى الخطاة أن يقبلوا هذه المصالحة باسم الله.

¹ Sermons on New Testament Lessons, 31:3.

² Sermons on New Testament Lessons, 71:1.

³ Commentary on John, 1:6.

الخدام كسفراء للسيد المسيح يمثلونه، معلنين إرادته في مصالحتهم مع الآب، والكشف عن حب الله الفائق لهم. كممثلين للمسيح الشفيع الكفاري يطلبون عن الخطاة ويسألون الخطاة أن يقبلوا عمله الكفاري، فيتمتعوا بأحضانه الإلهية التي تحملهم إلى حضن الآب.

❖ كسفراء عن المسيح، أي نيابة عنه، لأننا خلفناه في أعماله. لا تظنوا أنه يُطلب عنكم بواسطتنا، وإنما المسيح نفسه يطلبكم بواسطتنا... لقد هوجم ذاك الذي يمنح عشرات الألوف من البركات. وإذا هوجم ليس فقط لم يستخدم العدالة، وإنما أيضًا بذل ابنه الوحيد لكي يُصالح... ماذا يطلب؟ "تصالحو مع الله". لا يقول "صالحوا الله معكم". إنه لا يحمل كراهية بل أنتم تحملونها. لن يحمل بغضة قط^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا،

لنصير نحن برّ الله فيه" [٢١].

الذي لم يعرف خطية صار ذبيحة خطية مقدمة عنا. الكلمة العبرية hamarita الواردة هنا ترجمت في السبعينية في أسفار الخروج واللاويين والعدد "ذبيحة خطية Sin-offering". إذ قبل مسيحنا أن يكون مقدمة خطية وضع كل البشرية أيديهم عليه ليحمل كل ثقل الخطايا. إذ احتل مسيحنا موضعنا حسب كمن هو أعظم الخطاة، وهبنا أن نحمل موضعه فنحسب في عيني الآب أبرارًا، إذ نحمل برّ المسيح.

هكذا قدم لنا هذا الأصحاح عرضًا رائعًا لمفهوم الخلاص وخدمة المصالحة مع الآب وتمتعنا ببرّ المسيح، حيث صار المسيح في موضعنا وقدم نفسه عنا ذبيحة خطية. إنه عرض فريد ورائع يكشف عن خبرة الرسول الفائقة مع صليب رب المجد يسوع المسيح.

❖ يعني أن ذاك الذي هو بار صار خطية، أي تألم كخاطي مدان كمن لعن ليموت^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حدث أن صار مطيعًا إذ "أخذ ضعفاتنا وحمل أمراضنا" شافيًا عصيان البشر بطاعته، حتى بجلداته يشفي جرحنا، ويموته يطرد الموت العام لكل البشر. فمن أجلنا صار مطيعًا، ومن أجلنا صار "خطية" و"لعنة" لأجل التدبير لحسابنا، وليس بحسب الطبيعة، إنما صار هكذا في حبه

¹ In 2Cor. hom 11. PG 61: 517.

² In 2Cor. hom 11. PG 61: 517.

للشهر^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ من هو هذا الذي لم يعرف خطية إلا ذاك الذي قال: "هوذا رئيس العالم يأتي ولا يجد في شيءًا"
(يو ١٤ : ٣٠).

جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، فالمسيح نفسه الذي لم يعرف خطية جعله الله خطية
لأجلنا. ماذا يعني هذا يا إخوة؟ لو أنه قيل: "جعله يُخطئ" لكان الأمر لا يُحتمل، فكيف نقبل ما قيل:
"جعله خطية"، فيصير المسيح نفسه خطية؟

الذين لهم معرفة بكتب العهد القديم يدركون ما أقوله. لأن هذا ليس بالتعبير الذي استخدم مرة
واحدة بل تكرر باستمرار، فالذبائح من أجل الخطايا تُدعى "خطايا". كمثال كان الماعز يقدم عن
خطية، والكبش، وكل ما يُقدم عن خطية يُدعى خطية... ففي موضع تقول الشريعة: "يضع الكهنة
أيديهم على الخطية" (لا ٤ : ٢٩)... كانت الخطية تقدم، وتبطل. قد سفك دم المخلص، قد أبطل
صك المدين. هذا الدم الذي سَفَكَ عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٨)^٢.

القديس أغسطينوس

¹ Against Eunomius, 2:11.

² Sermons on New Testament Lessons, 84:5.

من وحي ٢ كو ٥

نفسى تسبحك في خيمة جسدها!

إنها تترقب مسكنها معك أبدياً!

❖ لك المجد يا من وهبتي خيمة الجسد!

خيمة جميلة من عمل يديك،

لكنها زمنية ومؤقتة.

بإرادتي الفاسدة أفسدتها،

خلالها ترحل نفسي منطلقاً إليك.

❖ ثرى متى ألتقي بك وأتمتع بالمسكن السماوي!

متى أحمل جسداً روحانياً على مثال جسدك القائم من الأموات؟

ليس فيه فساد،

ولن يحل به الموت بعد!

❖ كثيراً ما تشغلني ثياب جسدي!

لكنها لن تنزع عريي أمام السمائيين.

متى أخنقي فيك فأرتدي برك ثوباً أبدياً.

هوذا أنا على الأرض أرتدي ثياباً لكني كمن هو عارٍ.

هناك لن أرتدي ثياباً،

بهاؤك المنعكس عليّ هو ثوب عرسي السماوي.

❖ ثرى هل أتمتع بعربون روحك القدوس؟

فأتمتع بثوبٍ لا يفسد ولا يضمحل.

أنعم بعربون الأبدية عوض انشغالي بالزمنيات.

❖ أراك بالإيمان وأنعم بك.

لكنني إذ أنا مستوطن في الجسد متغرب عنك.

لأستوطن معك وأتغرب عن الجسد الفاني.

هل لي أن أقول:

ليس لشهوات الجسد موضع في!
فحيث تسكن أنت ليس للخطية مكان!

❖ نفسي تثن في داخلي:
تعال؛ لتقم في أعماقي.
فإن عشتُ هنا أو عبرت من العالم،
ليس ما يشغلني سوى مرضاتك!
لأرضيك، فمن يحبني مثلك؟
أحببتني ومِتَ من أجلي ومن أجل كل إخوتي.
حبك يحاصرني على الدوام.
❖ بحبك قبلت أن تموت لكي أحيأ أنا ومعِي إخوتي.
ماذا أرد لك فأنا بكلِّي ملكك!
لأحيأ لك يا من أتيت إلى العالم لأجلي.
لأتمتع بالاتحاد معك فوق كل حدود الجسد،

❖ صيرتني خليفة جديدة،
وحطمت فساد طبيعتي القديمة.
لك المجد يا مجدد حياتي!
❖ صالحتني وأنا العدو المخطئ.
أرى نفسي تخنفي فيك،
متى أرى الكل معي فيك؟
أنا سفيرك،
ليس لي هدف غير رؤية كل البشرية أبرارًا فيك.
متى أرى الكل ينعمون بشركة المجد معك؟

الباب الثالث

عمله الرسولي

ص ٦ - ص ٧

الأصحاح السادس

الخدمة وسمات الخادم

يحدثنا بولس الرسول عن الخادم نفسه وسلوكه في حياته وتصرفاته مع الغير :

١. الوقت مقبول ١-٢.
٢. بلا عثرة ٣.
٣. جهاده ٤-١٠.
٤. متسع القلب ١١-١٣.
٥. بلا شركة مع الظلمة ١٤-١٨.

١. الوقت مقبول

"فإذ نحن عاملون معه

نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً" [١].

يليق بالخادم أن تتناغم رسالته مع الفكر الإنجيلي، فيكون هدفها "المصالحة مع الله". بهذا يتقبل غنى نعمة الله عاملة فيه وبه، ولا يكون عمله باطلاً.

حين يعمل الخادم على سحب قلوب مخدميه لنعمة الله وعمله الخلاصي يستحق هذا اللقب "العامل مع الله". هذا ما يعتز به الرسول قائلاً: "نحن عاملون مع الله". نعمل معه تحت قيادته، ولحساب ملكوته ومجده السماوي. وقد جاء النص الأرمني: "نحن العاملون معاً مع الله".

يقول الرسول: "تقبلوا نعمة الله"، وليس "تستخدموا أو تنتفعوا بنعمة الله"، فالمؤمن يجد في قبوله النعمة ما يشبع أعماقه؛ هي ذاتها غنى لا يقدر، لأنها تعني التمتع بالله نفسه ساكناً فينا. ماذا يعني ألا نقبل نعمة الله باطلاً سوى عدم الرغبة في تنفيذ الأعمال الصالحة بعون نعمته.

❖ يخبر بولس سامعيه ألا يتراخوا لمجرد أن الله يبحث عنهم ويرسلهم كسفراء. على العكس لذات السبب يلزمنا أن نسره وأن نحصد بركاتنا الروحية^١.

¹ In 2 Cor. Hom .121..

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالحقيقة الإنسان الذي لا يضع أمامه إرادة الله كهدف له في حياته يصير تحت الخطر، فإنه إذ يكون في صحة يظهر عمل المحبة في غيره لأعمال الرب. وعندما يكون مريضاً يحتمل ويمارس الصبر بفرح.

الخطر الأول والعظيم هو أنه بعدم ممارسة إرادة الله يفصل الإنسان نفسه عن الرب، ويقطع نفسه عن شركة اخوته.

ثانياً أنه مع عدم استحقاقه يخاطر فيشترك في البركات المعدة للمستحقين لها. هنا يلزمنا أن نتذكر كلمات الرسول: "ونحن نعينكم ونحتكم ألا تقبلوا نعمة الله باطلاً". يلزم أولئك الذين يدعون إخوة الرب ألا يقبلوا نعمة إلهية عظيمة كهذه بروح التهاون، ولا أن يسقطوا من كرامة عظيمة كهذه، بالإهمال في تحقيق إرادة الله. إنما يلزمهم أن يطيعوا ذات الرسول القائل: "أنا الأسير في الرب، أسألكم أن تسلكوا بما يليق بالدعوة التي دُعيتُم إليها" (أف ٤ : ١) ^١.

القديس باسيليوس الكبير

"لأنه يقول في وقت مقبول سمعتك،

وفي يوم خلاص أعنتك.

هوذا الآن وقت مقبول.

هوذا الآن يوم خلاص" [٢].

يقول الله في إشعياء النبي: "في وقت القبول استحييتك، وفي يوم الخلاص أعدتك، فأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب لإقامة الأرض، لتمليك أملاك البراري" (إش ٤٩ : ٨). وقد اقتبسها الرسول عن الترجمة السبعينية.

ما هو الوقت القبول؟ مجيء المسيح هو وقت مسرة الله ومراحمه الذي يتوقعه كل المؤمنين. ويوم الخلاص هو اليوم الذي فيه يقبل الإنسان خلاص الله بالصليب ويتجاوب معه.

كأن الرسول يقول ما قد تنبأ عنه إشعياء النبي واشتهاه مؤمنو العهد القديم قد تحقق الآن. لقد صالحنا مع الآب، وسلم التلاميذ والرسول كلمة المصالحة خلال ذبيحة المسيح، إذ به تمت المغفرة عن الخطايا ونلنا فيضاً من النعمة الإلهية. بهذا صار الرسل يعملون معاً مع الله، ويقبلون نعمة الله ليس باطلاً.

¹ The Long Rules, 34.

"الآن" هو ملكنا، هو وقت مقبول ويوم خلاص، أما "غداً" فليس في أيدينا ولنسنا ندرك ما سنكون عليه إن أجلنا قبول عمل الله الخلاصي.

اليوم وقت لقبول الروح القدس الذي يكشف جراحاتنا الخفية، وينير أعيننا لإدراك خطورة مرضنا الروحي، لكي يحملنا إلى الطبيب السماوي، فيهبنا غنى نعمته المجانية الواهبة برة الإلهي العجيب عوض ضعفنا. ويقدم لنا خبرة عربون عدم الفساد، ونتمتع بقيامة النفس لكي يشاركها الجسد فيما بعد قيامتها ومجدها الأبدي. هذا هو يوم الخلاص، الوقت المقبول قبل أن تعبر من هذه الحياة فنجد الباب مغلقاً.

❖ يقول الرسول: "الآن وقت مقبول، الآن يوم الخلاص".

هذا هو وقت التوبة، أما الحياة المقبلة فهي للمكافأة.

الآن هو وقت للاحتمال، وعندئذ سيكون يوم التعزية.

الآن الله هو المعين للرجوع عن الطريق الشرير، عندئذ سيسأل بمهابة دون أن يخطئ عن الأفكار والكلمات والأعمال التي للبشرية.

الآن نتمتع بطول أناة، عندئذ سنعرف قضاءه العادل عندما نقوم، البعض في عقوبة لا تنتهي، والآخرين إلى حياة أبدية، فيقبل كل واحد جزاءً حسب أعماله¹.

القديس باسيليوس الكبير

إذ يلتقي الإنسان بالله مخلصه يتأسف على الزمن الذي ضاع منه.

❖ تأخرت كثيراً في حبي لك يا أيها الجمال الكلي القديم والجديد على الدوام.

تأخرت كثيراً في حبك².

❖ لنسبح الآن يا إخوتي لا لكي نفرح بالراحة بل بتعبنا. وذلك كالمسافرين الذين يغنون ويسبحون وهم سائرون في رحلتهم...

إن كنت تحقق تقدماً فأنت تسير إلى الأمام، ليكن لك تقدم في الصلاح، تقدم في الإيمان الحق، تقدم في الحياة المستقيمة... لتغني وتكمل رحلتك.

¹ The Long Rules, Fathers of Church, vol. 9:224.

² Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 1.

القديس أغسطينوس

٢. بلا عشرة

"ولسنا نجعل عشرة في شيء لنلا ثلام الخدمة" [٣].

إيمان الرسول بولس وغيرته المتقدمة وعمله الدائم من أجل خلاص نفسه والآخرين لم تدع مجالاً قط للعثرة. فقد كان الرسول بولس حريصاً كل الحرص ألا يعثر اليهود أو الأمم، فقد مات المسيح من أجل الكل. حينما يتحدث عن الناموس يحرص على تأكيد إنه صالح، وأنه لا يأخذ موقف المقاومة للناموس وإنما للحرف القاتل. وفي نفس الوقت لكي يريح الأمم يؤكد إنه لا حاجة للفرائض والتطهيرات الحرفية والرمزية.

❖ قدم ثلاثة سمات للكراسة بالكلمة: غيرة متقدمة مغامرة، ونفس مستعدة لاحتمال أية مخاطر مُحتمل حدوثها، ومعرفة وحكمة مرتبطان معاً. فإن حبه للمغامرة (في كرازته)، وحياته التي بلا لوم ما كانت تنفعه في شيء لو لم يتقبل قوة الروح. تطلع إليه إذ تظهر فيه هو أولاً، أو بالأحرى اسمع كلماته: "لنلا ثلام خدمتنا"^١.

❖ تأمل، أي نوع من الرجال ينبغي أن يكون من يواجه أعاصير كهذه ويتصدى بمهارة لمعوقات عظيمة للصالح العام.

يلزم أن يكون مبدلاً في غير زهو، مهوباً لكنه مترفق، إدارياً لكنه اجتماعي، متواضعاً لكنه مجامل، متواضعاً لكنه غير خانع، صارماً ورفيقاً في نفس الآن... حتى يقدر أن يتغلب على هذه المصاعب جميعها^٢.

❖ يليق بالكاهن أن يتلألاً، فيضيء بسيرته الحسنة على جميع الناس ليقتدوا بمثاله. أما إذا استحال هذا النور إلى ظلام، فماذا يحل بالعالم؟! أما يصير خراباً؟^٣

❖ لقد تركنا (الرب) هنا لنكون أنواراً، لنعلم الآخرين، لنكون خميرة، نسلك كملائكة بين البشر، كرجالٍ مع أولادهم، كروحيين مع أناس طبيعيين فينتفعون منا، ونكون بذار تخرج ثماراً. لا حاجة للكلمات مادامت حياتنا تضيء!

^١ In Ephes., hom. 6.

^٢ De Sacer. 3:15.

^٣ الحب الرعوي، ص ١٧٨.

لا حاجة للمعلمين ما دمنا نظهر أعمالاً!

ما كان يوجد وثني لو كنا مسيحيين بحق!

لو أننا نحفظ وصايا المسيح، ونحتمل الألم، ونسمح للغير أن يستفيدوا منا، إذ نُشتم فُنبارِك، نُعامل معاملة سيئة فنصنع خيراً، لما بقي أحد بعد متوحشاً ولا يرجع إلى الصلاح.^١

❖ ما أسوأ أن نكون فلاسفة في الكلمات لا في الأعمال!^٢

❖ لماذا هذا الكبرياء؟ لأنك تعلم بالكلام!

ما أسهل ترديد الكلمات! علمني بحياتك هذا أفضل.^٣

❖ نحن محتاجون إلى سلوك حسن لا إلى لغة منمقة إلى الفضيلة لا إلى الخطابة الفذة، إلى الأعمال لا إلى الكلام!^٤

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا أنتفع إذا كنت شاعراً للمكان الأول في الجماعة، وأملك شرف الرئاسة، إن لم يكن لي من الأعمال ما يجعلني مستحقاً لهذه الكرامة؟^٥

العلامة أوريجينوس

❖ بالرغم من أنه قد يحفظ الإنسان نفسه نقية من الخطية ولو في درجات سامية، لكنني أعرف أن من كان هذا حاله لا يقدر أن يقود الآخرين إلى الفضيلة. فمن تسلم رعاية شعب لا يكتفي التحرر من الخطية... بل يلزمه أن يرتفع إلى صنع الخير كقول الوصية: "حد عن الشر وافعل الخير" (مز ٣٧: ٢٧).

ينبغي عليه ليس فقط أن تُمسح آثار الخطية من روحه، بل وتكون مزودة بالفضائل، حتى يفوقهم بالأحرى في الفضيلة أكثر من سموه عليهم من جهة الكرامة.

يلزمه ألا يعرف حدوداً لصنع الخير أو النمو الروحي... ولا يحسب تفوقه على العلمانيين رباً عظيماً...

¹ In 1 Tim. Hom. 10

² In 1 Tim. PG 62:552

³ In Act. PG 60: 225.

⁴ In Eph. PG 62: 159.

⁵ In Ezek. Hom. 5:4. PG 13:707.

يجب ألا يقيس نفسه بالآخرين، أشرارًا كانوا أو إلى حدٍ ما متقدمين روحياً، بل يقيس نفسه على ضوء الوصايا^١.

القديس غريغوريوس النزينزي

٣. جهاده

"بل في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله،

في صبر كثير،

في شدائد،

في ضرورات،

في ضيقات" [٤].

يكمل الرسول حديثه مظهرًا أنه هو وشركاءه في الخدمة يبذلون كل الجهد من أجل تحقيق خدمة المصالحة، مهما كلفتهم من ثمنٍ أو جهدٍ. ليس فقط يتحاشون أية عثرة، وإنما يعملون كي يظهروا خدامًا حقيقيين لله.

يمدح القديس يوحنا الذهبي الفم الرسول بولس فيقول:

[آه لو أعطيت أن ألقى بنفسي على جسد بولس، والتصق بقبره وأتطلع إلى تراب ذلك الجسد الذي أكمل نقائص (شدائد) المسيح، وحمل السمات وبذر الانجيل في كل موضع؟! نعم! تراب ذلك الجسد الذي تكلم المسيح خلاله!

يا لسرورى أن أنظر تراب العينين اللتين عميتا بالمجد ثم استردتا بصيرتهما مرة أخرى من أجل خلاص العالم! هاتان العينان اللتان وهما بعد في الجسد استحققتا معاينة المسيح! رأنا الأمور الأرضية وفي نفسي لم تنتظراها رأنا الأمور التي لا تُرى...

أود لو أتطلع إلى تراب قدميه اللتين جابتا المسكونة بلا كلل^٢.

يعملون "في صبرٍ كثير وشدائد"، فقد حلت الاضطهادات على الرسول بولس من كل جانب، من بني جنسه ومن الأمم، مع أسفارٍ كثيرةٍ وأتعابٍ لا حد لها.

في "ضرورات" حيث تعرض للجوع والعطش والعري، ليس لديه حتى التزامات الحياة الضرورية. كثيرًا ما اضطر للعمل بيديه ليعيش هو ومن كانوا يخدمون معه.

^١ الحب الرعوي، ص ٦٥٦.

^٢ In Rom. Hom. 32.

في "ضيقات" حتى كاد لا يعرف ماذا يفعل.

هذا هو نصيب الخادم الأمين أن يشارك مسيحه صليبه، ويدخل معه في الطريق الضيق، ويواجه مصاعب كثيرة. وفي هذا كله يبقى أميناً لرسالته، ليس فقط يعمل عمل الرب باجتهاد وإنما يقبل كل ما يحل به بشكر وبهجة قلب.

يجد لذته في احتمال كل تعب من أجل الخدمة، ممارساً كل فضيلة، متخلياً عن كل شيء بفرح. ما يشغل الخدام الكذبة هو أن يرضوا سامعيهم، أما الخدام الحقيقيون فيخدمون الله ليرضوه لا الناس، يشاركون السيد آلامه، ولا يطلبون كرامة زمنية أو مديحاً من أحد.

❖ هذه هي نعمة الروح القدس التي تملأ النفس كلها والمسكن بالبهجة والقوة، فتعطي للنفس عذوبة لاحتمال آلام الرب، ولا يكون للألم الحاضر أثر جسماني، وذلك بسبب الرجاء في الأمور المقبلة. لتدبروا حياتكم هكذا وأنتم تقتربون إلى الصعود إلى القوة العلوية والمجد خلال تعاونكم مع الروح، تحتملون كل ألم وتجربة بفرح، ولكي تظهروا مستحقين لسكنى الروح فيكم، ومؤهلين لميراث المسيح. لا تنتفخوا ولا تضعفوا بعدم المبالاة إلى الدرجة التي فيها تسقطون أو تصيرون علة خطية آخرين¹.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ نحن نسمع الرسول وهو تحت ذاك النير الهين والحمل الخفيف يقول: "في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله، في صبرٍ كثيرٍ، في شدائدٍ، في ضروراتٍ، في ضيقاتٍ، في ضرباتٍ" الخ. وفي موضع آخر في نفس الرسالة يقول: "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة..." وغير ذلك من المخاطر التي يمكن أن تُعلن حقيقةً، لكن لا يمكن احتمالها إلا بمعونة الروح القدس².

القديس أغسطينوس

❖ دعى الرسول الطوباوي ذلك عطية علانية متى كان الإنسان مستعداً في الإيمان أن يتألم من أجل رجائه في الله. إنه يقول: "لقد وهب لكم من الله لا أن تؤمنوا بالمسيح فحسب، وإنما أن تتألموا أيضاً من أجله" (في ١: ٢٩). كما كتب القديس بطرس في رسالته: "إن كنتم تتألمون من أجل البر فطوباكم فإنكم تصيرون شركاء في آلام المسيح" (١ بط ٣: ١٤؛ ٤: ١٣). لذلك عندما تكون في طريق سهل ومتعة لا تفرح، وعندما تحل ضيقة عليك لا تكن متجهماً الوجه، ولا تحسب

¹ On the Christian Mode of Life.

² Sermons on New Testament Lessons, 20:1.

هذا كأمرٍ غريب عن طريق الله. لأن طريق الله قد طُرِقَ بواسطة كل الأعمار وخلال كل الأجيال، خلال الصليب والموت. من أين أتيت بفكرة أن الأحزان التي بالطريق لا تخص الطريق؟ ألا ترغب في أن تتبع خطوات القديسين؟ أتودّ أن تسافر بطريق خاص من عندك ليس فيه ألم؟

الطريق إلى الله هو صليب يومي. لا يصعد أحد إلى السماء بالطريق السهل. نحن نعلم إلى أين يقود الطريق السهل¹.

القديس مار إسحق السرياني

"في ضربات، في سجون،

في اضطرابات، في أتعاب،

في أسهار، في أصوام" [٥].

"في ضربات، في سجون": إن كان سفر الأعمال قد قدم شهادة حية عما تعرض له الرسول من ضربات وسجون، إلا أنه بلاشك لم يسجل لنا كل ما تعرض له الرسول.

"في اضطرابات *akatastasiais*" حيث حدث أكثر من هياج مسلح ضد الرسول بسبب كرازته بالإنجيل وشهادته للسيد المسيح. ولعله يقصد اضطراب الرسول إلى التنقل من موضع إلى آخر بسبب الاضطهادات التي كانت تلاحقه.

"في أتعاب": لم يكف عن العمل المستمر في كل مدينة أو دولة قدما يستطيع لنشر كلمة الله.

"في أسهار": فقد قضى ليالٍ كثيرة لا يعرف فيها النوم أو راحة الجسد، يسهر لرعاية شعب الله والصلاة من أجلهم. كان رجل صلاة، يساعد شعبه بصلواته على هزيمة عدوهم غير المنظور.

❖ ليت كاهن الكنيسة يصلي على الدوام حتى يصير لشعبه الذي تحت رعايته الغلبة على قوات عماليق غير المنظورة، الذين هم الشياطين التي تهاجم من ينشد حياة التقوى في المسيح².

العلامة أوريجينوس

❖ مع أن المجاهدين من أجل الإيمان الحق لم ينالوا بعد مكافأة، فالحق وحده يحث محبيه على

مواجهة أي خطر من أجل هذا الإيمان الحق. يشهد القديس بولس بذلك فيقول: "إني متيقن أنه لا

¹ A. J. Wensinck: *Mystic Treatises by Isaac of Nineveh*, 1923, p 288.

Dana Miller: *The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian*, 1984, p.279.

² *Homilies on Leviticus*, 6:6.

موت ولا حياة ولا ملائكة... يستطيع أن يفصلني عن محبة المسيح".

لترى يا صديقي لهيب هذه المشاعر! لتتظر شعلة الحب! فإن بولس لا يشتهي ما للمسيح بل يشتهي المسيح نفسه فقط كما يقول. حبه هذا لا يرتوي. إنه مستعد أن يترك بفرح كل متعة وقتية أو مستقبلية، نعم وأيضًا أن يحتمل كل أنواع الألم حتى يظل هذا اللهب مشتعلًا فيه بكل قوته.

ضرب لنا بولس الرسول مثلًا بالعمل كما بالكلام، فقد ترك لنا ذكريات معاناته وراءه.

عندما أتذكره وأتذكر الآباء البطارقة والأنبياء والرسل والشهداء والكهنة لا يسعني إلا أن أبتهج بما نعتبره عادة بؤسًا.

إنني أحجل عندما أتذكر كيف أن الذين لم يتلقوا قط ذات الدروس التي تلقاها إنما بالطبيعة الفطرية فقط كسبوا مواقع مرموقة في سباق الفضيلة¹.

الأب ثيودورت أسقف قورش

"في أصوام": ربما بعضها بسبب عدم وجود طعام، وأخرى بإرادته لكي تعمل نعمة الله فيه وفي خدمته.

"في طهارة، في علم،

في أناة، في لطف،

في الروح القدس،

في محبة بلا رياء" [٦].

"في طهارة": *hagnoteeti* ويعني بها طهارة الفكر أو بساطته مع طهارة العواطف والوجدان، مع الحياة العفيفة المقدسة التي يتطلبها الإنجيل. إذ لا يمكن الشهادة للمخلص والحنو على النفوس لتمتعها بالعمل الخلاصي دون طهارة الكارز ونقاوته. هذا ولا يمكن قبول الخلاص والتمتع بالشركة مع الله في ابنه بالروح القدس ما لم يتطهر الإنسان من محبة شهوات العالم.

❖ يليق بالكاهن الذي يخدم المذابح الإلهية قبل كل شيء أن يتمنطق بالطهارة، فإنه لن يصير في وسعه تطهير القديم وإرساء ما هو جديد ما لم يلبس الكتان (البوص المبروم). كثيرًا ما تحدثنا عن الثياب الكتانية، خاصة في معالجتنا للملابس الكهنوتية، بأن هذا النوع يحمل شكل الطهارة، على أن الكتان يعود أصله إلى الأرض حيث يُدرك دون مزجه بشيء آخر².

¹ Letter 21

² Homilies on Leviticus, 4:6.

العلامة أوريجينوس

"في علم أو معرفة": فإن أية غيرة للعمل بدون معرفة للأسرار الإلهية وخطة الله نحو الإنسان يتحول إلى جنون.

"في أناة": مهما بدت الظروف مثيرة.

"في لطف": لا يقف الكارز عند طول الأناة محتملاً من يحاولوا إثارتته، وإنما بلطفه يقبل ما يصدر عنهم في حنو كأب يتفرق بابنه المريض والفاقد وعيه، سالكاً هكذا مع كل إنسان خاصة مضطهديه. "في الروح القدس"، يعمل بالروح القدس واهب المحبة والفرح والسلام الخ. (غل ٥: ٢٢-٢٣)، مدركاً أنه يعجز عن ممارسته خدمته وشهادته دون نعمة الروح الساكن فيه.

"في محبة بلا رياء"، التي كثيراً ما عبّر عنها الرسول بولس بوضع الإنسان حياته من أجل أخيه، أن يُنفق من أجل خلاص الناس وامتداد ملكوت الله.

❖ هذه الفضيلة تجعل الإنسان متشبهاً بالله.

لاحظ كم الفضائل الأخرى التي تقل في أهميتها عن المحبة، هذه التي يركز محوراً حول جهاد الإنسان ذاته ضد الشهوات، ومقاومته للنهم، والجهاد ضد محبة المال والغضب. أما المحبة فهي فضيلة يشترك فيها الإنسان مع الله ذاته. لهذا يقول المسيح: "صلوا من أجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" (مت ٥: ٤٤-٤٥).

اكتشف بولس أن المحبة هي تاج الفضائل، فسعى إلى غرسها بعناية فائقة.

لا يمكن لأحد أن يحب أعداءه، ولا أن يحسن إلى مبغضيه، ولا أن يتألم من أجل المسيئين إليه. لكنه إن تذكر الطبيعة البشرية المشتركة بينهم لا يبالي بالآلام التي يسببونها له، فكلما ازدادوا قسوة عليه تفرق بهم. فالأب يحزن بالأكثر ويكتتب على ابنه المختل كلما ازداد جنون الابن وعنفه. لقد شخّص بولس المرض الذي يسبب تلك الهجمات الشرسة ضده، فازداد اهتمامه بهم ورعايته لهم كمرضى.

نسمعه وهو يخاطبنا بلطفٍ وحنانٍ فائق عن الذين جلدوه خمس مرات (٢ كو ١١: ٢٤)، ورجموه وقيدوه وسفكوا دمه، واشتهوا تقطيعه إرباً، فيقول عنهم: "لأنني أشهد لهم أن لهم غيرة الله، ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠: ٢). وأيضاً ضيق على الذين يُسيئون إليهم، قائلاً: "لا تستكبر بل خف، لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعية، فلعله لا يُشفق عليك أيضاً" (رو ١١: ٢٠-٢١). وحينما رأى الدينونة الواقعة عليهم لم يسعه إلا أن يعمل ما يقدر عليه، وهو أنه بكى وناح من أجلهم

بلا توقف^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يشير بالأكثر إلى ما لا تقدر بثمن مضيئاً "في طهارة"، وبجانبيها كل ثمار الروح المعروفة ... إذا قبل إنسان نصيحة سليمان واتخذ الحكمة الحقيقية معينة وشريكة الحياة، إذ يقول: "لتحبها فتحفظك، كرمها فتحتضنك"، عندئذٍ يظهر بطريقة أنه مستحق لهذه المحبة، ويحتفل مع بقية المدعوين للعرس المفرح في ثوب بلا دنس، ولا يُطرد خارجاً، عندما يُدعى ليجلس في تلك الوليمة لأنه ليس غير مرتدٍ ثوب العرس^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"في كلام الحق،

في قوة الله،

بسلح البر لليمين ولليسار" [٧].

"في كلام الحق": أي الشهادة بكلمة الله، الحق الإلهي المقدم من قبل الله.

"في قوة الله": يتكلم الشخص كمن له سلطان من قبل الله؛ فتنتطق الكلمة من القلب إلى القلب لتحرك كل كيانه بالقوة الإلهية. لا يعني بقوة الله هنا مجرد المعجزات، وإنما العمل الإلهي في تجديد إرادة السامع وأفكاره وعواطفه، أي شوقه لقبول الكلمة.

"بسلح البر لليمين ولليسار" تحدث الرسول بولس عن سلاح الله في (أف ٦: ١٣-١٧)، الذي يحوي منطقة الحق ودرع البرّ وحذاء إنجيل السلام وترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح. بسلاح الله الكامل تغلب العدو الشرير تحت كل الظروف.

بقوله "اليمين ولليسار"، يعني أننا نغلب في وقت الفرح كما في وقت الأحزان، أو في مقاومة الشر والفساد كما في مقاومة البرّ الذاتي.

❖ يدعو هذه الأمور "يساراً" التي تبدو كأنها محزنة، كأن مثل هذه لها مكافأة. لماذا يدعوها هكذا؟ إما حسب فهم الكثيرين لها، أو لأن الله أمرنا أن نصلّي ألا ندخل في تجربة^٣.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٣.

^٢ On Virginité, 20.

^٣ In 2 Cor. hom 12. PG 61: 525.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تعمل الفضيلة في اتجاهين مختلفين: أولهما الإيمان، وثانيهما السلوك وفقاً لضميرنا. ونحن هنا ننمي أنفسنا في كلا الاتجاهين، فلا يمسنا العدو بتجاربه ونحن لابسين درع الإيمان "في كلام الحق في قوة الله، بسلاح البرّ لليمين واليسار" (٢ كو ٦: ٧).^١

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ الإنسان الذي بحق يبحث عن البرّ بحسب الفهم البشري يتزود بأذرع البرّ لليسار. والإنسان الذي يفعل ذات الأمر حسب تعاليم الحق والذي يبحث في هذا العمل عن الابن "البرّ" يحمل سلاح اليمين.^٢

القديس ديديموس الضريع

❖ أسلحة البرّ التي لليمين هي تلك التي تسرّ الذهن، وأما التي لليسار فهي لا تفعل ذلك.^٣

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ بالنسبة لمن يرتفع فكره تبدو له كل الأشياء متساوية في الكرامة، ولا يُفضّل شيئاً عن الآخر، لأن فترة الحياة تجري بالمتناقضات على قدم المساواة. وفي مصير كل شخص توجد قوة للحياة إما صالحة أو شريرة. كما يقول الرسول: "بأسلحة اليمين واليسار، بكرامة أو هوان". لذلك فالشخص الذي يطهر ذهنه وبحق يمتحن حقيقة الوجود يسير في طريقه من الميلاد إلى الموت، لا يفسده بالملذات أو يحطمه بالعنف، ولكن بحسب عادة المسافرين يتأثر قليلاً بما هو يلاقيه. فإنه عادة ما يسرع المسافرون عند نهاية الرحلة سواء كانوا يسيرون عبر المروج والحقول المخصبة أو عبر البراري والأماكن القاسية، فالمسرات لا تعطلهم، والأمور المحزنة لا تعوق سبلهم. لذلك فإنه هو نفسه يُسرّع دون ارتباك عن الهدف الموضوع أمامه، غير منحرف عن الطريق. إنه يعبر هذه الحياة متطلعاً إلى السماء وحدها، وذلك مثل قائدٍ صالحٍ يوجّه سفينته إلى موقع الوصول العلوي.^٤

^١ من مجدٍ إلى مجدٍ، فصل ٤: ٣٤.

^٢ Pauline Comm. From the Greek Church.

^٣ PG 82:414.

^٤ On Virginité, 4.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"بمجد وهوان،

بصيت رديء وصيت حسن،

كمضلين ونحن صادقون" [٨].

"بمجد وهوان": تكريم الناس له أو إهانتهم له لن يؤثر على رسالته وغيخته ومحبته لخلاص أخوته. يليق بالكارز أن يتوقع حربًا من الجانبين، بالتكريم الزائد حتى ينسى رسالته ويهتم بكرامته الشخصية، أو بالإهانة والتجريح حتى ينشغل بالدفاع عن نفسه وتبرير تصرفاته وينسى خلاص نفسه وخلاص أخوته.

"بصيت رديء وصيت حسن": إن نالته إهانات يحسب ذلك ضرورة لكي يتمجد الله فيه حتى بصيته الرديء، ويدرك إن كل نجاح هو من قبل الله. وبصيت حسن حيث يحسب إن الله يستر على ضعفاته من أجل بنيان ملكوت الله.

"كمضلين ونحن صادقون": لم يضطرب الرسول حين أُتهم بأنه يقدم تعاليم باطلة مضللة، إذ هو واثق من الحق الذي قبله من الرب.

❖ لا تمل نحو المديح، لئلا وأنت تريح المديح تُهين الله. يقول الرسول: "إن كنت أُرضي الناس فلست عبدًا للمسيح" (غل ١: ١٠). لقد كفَّ عن إرضاء الناس عندما صار عبدًا للمسيح. يسير جندي المسيح بصيت حسن أو صيت رديء، الواحد عن يمينه والآخر عن يساره. ليس من مديح يجعله في تيه وبهجة، وليس من توبيخ يحطمه. إنه لا ينتفخ بالغنى ولا يتحطم بالفقر. الفرح والحزن (الزمنيين) يمقتهما على قدم المساواة. الشمس لا تحرقه بالنهار ولا القمر بالليل (مز ١٢١: ٦)^١.

القديس جيروم

❖ إن كنا نعيش حياة تستحق "الصيت الحسن" وقيل عَنَّا حسنًا، فدعنا الآن نحتمل "الصيت الرديء" من الأشرار. أضف إلى هذا إن كان الذين يحبون الحق يعجبون بنا حقًا، فلنضحك إذا عندما نُدعى دجالين. عندما خلصنا من مخاطر كثيرة قال كثيرون عَنَّا إننا معروفون لدى الله. الآن دع الذين يريدون أن يدعونا أننا مجهولون بينما نحن معروفون أكثر. هكذا إذ نحتمل ما يحدث لنا

¹ Letter 52.

نُعاقب لكننا "لا نقتل"، وإذ نحن فرحون فإننا نشبه الحزانى^١.

العلامة أوريجينوس

❖ يوجد كثيرون يمدحون حياة الصالحين أكثر مما ينبغي. فلئلا يتسلل أي تيه لدى الصالحين بسبب هذا المديح يسمح الله القدير للأشرار أن يقذفوا بسمعتهم ويوبخوهم بعنف، حتى إذا ما نبعت خطية ما في القلب بسبب كلام المديح تُصد بواسطة من يسبهم. لهذا يشهد معلم الأمم بأنه يستمر في الكرازة "بصيت رديء وصيت حسن" قائلاً أيضاً: "كمضلين ونحن صادقون".
إن كان قد وُضع تقرير رديء عن بولس ودُعي مضلاً، فكيف يحسب المسيحي أن أمر صعب إن سمع كلمات جارحة من أجل المسيح؟ ولماذا ننطق بهذه الكلمات ضد قديسين؟ لنتحدث عن قدوس القديسين نفسه، فإن كان الله الذي صار إنساناً من أجلنا سمع اتهاماً جارحاً بأنه شيطان وذلك قبل موته، ودُعي مضلاً بعد موته بواسطة مضطهديه (مت ٢٧: ٦٣)^٢.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "ليضحك من يضحك! وليتهكم من يتهكم! هذا لن يشغل ذهني فإنني لم أشغل هذا الموضع إلا لأكون مرفوضاً وأضحكة!
إنني مستعد أن أحتمل كل شيء.
من يصر على تصرفاته ولم يسمع لتحذيري أمنعه من الدخول في الكنيسة كما بصوت بوق، حتى إن كان أميراً أو إمبراطوراً.
اعفوني من عملي وإلا فلا تلزموني أن أكون تحت اللعنة.
كيف أجلس على هذا الكرسي إن لم أفعل ما يليق به؟ خير لي أن أنزل عنه، لأنه ليس أمر من وجود أسقف لا يفيد شعبه^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"كمجهولين ونحن معروفون،
كمائتين وها نحن نحيا،
كمؤدبين ونحن غير مقتولين" [٩].

¹ An Exhortation to Martyrdom, 43.

² Epistle 11:5 to Theoctista, Patrican.

³ De mut Nom. PG 51:135-138.

كان الذين يَبْغضون الرسول بولس ومن معه يحسبون أن ما يحل بهم من ضيقات يومية هو ثمرة شرورهم، لكن هؤلاء الخدام إذ يكرزون بالكلمة يختبرون كل يوم قوة قيامة المسيح المبهجة في الضيقات.

"كجهولين ونحن معروفون": قد يستخف الناس بالكارز ويحسبونه مجهولاً لا كيان له. بلا مركز مرموق في المجتمع، بينما السماء عينها تمجده. كان الرسول بولس ورفقاؤه غير معروفين للأشرار بينما كانوا معروفين تماماً للمؤمنين المقدسين في الرب. كأننا نكرز خفية في خوف وخجل بينما نحن نشهد لخلاصنا علانية أينما وُجدنا، لا نفعل شيئاً في الخفاء.

"كمائتين وها نحن نحيا" وذلك خلال المخاطر المستمرة والاضطهادات والأتعاب حيث نعاني من ميتات كثيرة، لكننا في هذا كله نختبر الحياة الجديدة المقامة كعطية توهب لنا خلال الشركة مع المسيح غالب الموت.

"كمؤدبين ونحن غير مقتولين" كأننا أبناء متمردون وعصاة نستحق التأديب حتى الموت، لكننا نحيا غير مقتولين وذلك حسب مسرة أبينا السماوي.

"كحزانى، ونحن دائماً فرحون،

كفقراء، ونحن نُغني كثيرين،

كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء" [١٠].

"كحزانى ونحن دائماً فرحون": في كل الظروف وبالرغم من كل الاضطهادات والشدائد نبدو كحزانى لكن الفرح لا يفارقنا، لأننا نتمتع بتلهيل الغلبة والنصرة: فقد غلبنا ونغلب ونبقى بالنعمة الإلهية غالبون. تعزيات الروح القدس وسط الضيق لا تفارقنا.

❖ ما دام "في هذه الخيمة" المعلنه للموت ويتنقل بهذا الوجود فإنه يحزن طوال رحلته كما يقول المرتل في أغنيته السماوية. بالحق إنهم كانوا يعيشون في الظلمة هؤلاء الذين يرحلون في هذه الخيام الحية، بينما كان المبشر يئن باستمرار خلال هذه الرحلة¹.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"كفقراء ونحن نُغني كثيرين": يُحتقر الكارز كفقير لا يقتني شيئاً من هذا العالم بينما يقدم للقلوب

¹ On Virginity, 4.

الفارغة من فيض غنى مخازن المسيح. ليس له فضة ولا ذهب، ولا بيوت وأراضي لكنه يقدم ملك السماء والأرض الذي في أعماقه ليتمتع الكثيرون به ويشبعون.

"كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء": في المظهر لا نملك شيئاً، في الأعماق نتمتع بكنوز النعمة الفائقة، وشركة المجد الداخلي، وعربون ميراث الملكوت الأبدي!

❖ قد يحدث أن قائدًا أو صاحب مركز شعبي يقول للمسيحي: "إما أن تكف عن أن تكون مسيحيًا أو إذا ما قاومت فلن يكون لك بيت أو أية ممتلكات". إنه في وقت ما كان الأغنياء الذين يقررون أن يحفظوا غناهم ليتأهلوا بواسطة الله أن يستخدموا هذا الغنى لأعمال صالحة، هؤلاء يختاروا أن يسلموا هذه الممتلكات من أجل المسيح عن أن ينكروا المسيح من أجل الممتلكات. هكذا صاروا كأناس "ليس لهم شيء وهم يملكون كل شيء"، يملكون الحياة الأبدية في الدهر الآتي، لئلا بتسليم المسيح من أجل الغنى يسقطون في الموت الأبدي^١.

❖ كان الرسول غنيًا في العالم الآخر هذا الذي قال: "كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء"^٢.

القديس أغسطينوس

٤. متسع القلب

"فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون،

قلبنا متسع" [١١].

يقدم الرسول نفسه لأهل كورنثوس كأب مهتم بأبنائه، مظهرًا لهم مشاعره الملتهبة نحوهم. إنه يحمل قلبًا متسعًا يمكن لكل أهل كورنثوس أن يجدوا لهم فيه مواضع. بهذا القلب المتسع المفتوح أمامهم يتحدث معهم في صراحة كاملة مع حنو وترفق. كأنه يقول لهم: "حديثي معكم ليس نابغًا عن رغبة في التعليم، إنما عن فيض حب نابع من قلب متسع منشغل بكل واحدٍ منكم، يمكن أن يحفظكم في دفء الحب".

❖ هذا الدفء من عادته أن يهب اتساعًا، والاتساع هو عمل الحب. فإن الدفء فضيلة وغيره... ليس شيء أكثر اتساعًا من قلب بولس الذي أحب كل المؤمنين بكل نقاوة ليحتمل كل شيء من أجل تحقيق حنوه. يقول: "فمنا مفتوح، قلبنا متسع". إننا نحملك جميعًا في داخله، ليس هذا فقط،

¹ Letter 157 to Hilarius.

² Sermons on New Testament Lessons, 35:3.

وإنما كما بموضع متسع للغاية^١.

❖ لم يقل "انتم لا تحبوننا"، وإنما "ليس بذات المقدار" حتى لا يجرحهم بعمق... إنه يحمل في رسائله شهادة أنه يُحِبُّ ويُحَبُّ، ولكن ليس بالتساوي... أنتم تستقبلون شخصاً، أما أنا فأستقبل المدينة بأكملها بشعبها الضخم^٢.

❖ كان لأيوب الباب المفتوح أمام الزائرين الذين استضافهم في بيته، أما بولس فكان له القلب المفتوح ليسع العالم كله، اتسم كرم ضيافته بالمسكونية. هذا دفعه للقول: "لستم متضايقين فينا بل متضايقين في أحشائكم" (٢ كو ٦: ١٢)^٣.

❖ بسبب هذا أنا أحتضنكم في قلبي على الدوام. ولهذا السبب أيضاً لا أعود أشعر بأتعاب التعليم، بل يصير الحمل سهلاً مادام المستمعون ينتفعون!

بحق أن هذه المكافأة لكافية لتجديد قوتي، تهبني أجنحة وترفعني،
تحثني بالأكثر أن أحتمل الأتعاب القاسية لأجلكم!"

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالرغم من عظمة الله هذه فإنك تستطيعين أيتها النفس أن تقبليه، وهو يسكن فيك ويقودك بالتمام.
القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"لستم متضيقين فينا،

بل متضيقين في أحشائكم" [١٢]

إن كنتم تظنون أنكم لا تجدون طريقاً متسعاً بالحب تسيرون فيه، فذلك ليس لضيق في قلوبنا ولا لنقص في محبتنا، إنما هو انعكاس لضيق قلوبكم علينا، فتنعتونا بما هو لكم. إنكم لا تفتحون قلوبكم لنا كم نفتح قلوبنا لكم.

❖ يرتبط القوي بالضعيف فيسنده، ولا يسمح بهلاكه.
مرة أخرى إن ارتبط بشخص متكاسل يقيمه ويدفعه للعمل. قيل: "أخ يعينه أخ هو مدينة قوية".

¹ In 2 Cor. hom 13. PG 60: 531.

² In 2 Cor. hom 13. PG 60: 531.

³ في مديح القديس بولس، عظة ١.

هذه لا يفوقها بعد المسافة ولا السماء ولا الأرض ولا الموت، ولا أي أمر آخر، إنما هي أقوى وأكثر فاعلية من كل الأشياء. هذه وإن صدرت عن نفسٍ واحدةٍ، قادرة أن تحتضن كثيرين دفعة واحدة. اسمع ما يقوله بولس: "لستم متضايقين فينا بل متضايقين في أحشائكم. كونوا أنتم أيضًا متسعين".^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فجزاء لذلك أقول كما لأولادي:

كونوا أنتم أيضًا متسعين" [١٣].

كما يفتح الأب قلبه لأبنائه يليق بالأبناء أن يفتحوا له قلوبهم فيختبروا عذوبة الحب المتبادل. فتح قلوبهم يفتح بصيرتهم لإدراك اتساع قلب أبيهم. وكأن الرسول يتوسل إليهم: "حبوني كما أني أحبكم، فتختبرون حبي الذي لم تدركوه بعد."

❖ لقد رأيتم إنسانًا جاب الأرض كلها، لأن طموحه وهدفه هما أن يقود كل إنسانٍ إلى الله. وقد حقق هذا الطموح بكل ما ادخره من قوة، وكأن العالم كله قد صاروا أبنائه، لهذا كان على عجلة من أمره.

كان دائم التجوال، كان دائم الحماس لدعوة كل البشرية لملكوت السماوات، مقدمًا الرعاية والنصح والوعود والصلاة والمعونة وانتهاز الشياطين، طاردًا الأرواح المصرة على التحطيم. استخدم إمكانياته الشخصية ومظهره والرسائل والوعظ والأعمال والتلاميذ وإقامة الساقطين بجهد الشخصي. فكان يسند المجاهدين ليثبتوا في جهادهم، ويقم كل من طُرح ساقطًا على الأرض. كان يرشد التائبين، ويعزي المتألمين، ويحذر المعتدين، ويراقب بشدة المقاومين والمعارضين. شارك القائد والطبيب الشافي في الصراع، فمد يد المعونة ليهاجم أو يدافع أو يرشد حسب الحاجة في ساحة العمل، فكان كل شيءٍ للمنشغلين بالصراع...

في عظمته كان أكثر توهجًا وغيره من أية شعلة نارٍ. ومن جهة إكليل كل الفضائل فقد فاق في المحبة (كل الفضائل). وكما ينصهر الحديد في النار فيصير الكل نازًا ملتهبة، هكذا انصهر بولس في المحبة، حتى صار هو نفسه محبة متجسدة.

صار كأنه أب عام للعالم كله. نافست محبته محبة الآباء بالجسد، أو بالأحرى فاقهم جميعًا في المحبة الجسدية والروحية، وفي الاهتمام والرعاية باذلاً كل ماله وكلماته وجسده وروحه، بل وكل كيانه

¹ In Ephes., hom. 9.

من أجل الذين يحبهم^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. بلا شركة مع الظلمة

"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين،

لأنه أية خلطة للبر والإثم؟

وأية شركة للنور مع الظلمة؟" [١٤]

يحذركم الرسول من الشركة مع الأشرار غير المؤمنين. يعتبر "الصدقة مع غير المؤمنين" نيرًا، خلالها يثقل المؤمن أذنيه بنير كلمات معثرة، وعينيه بنير مناظر تفسد أعماقه، وهكذا كل حواسه تتحنى لتحمل ما لا يليق بها كحواشي مقدسة للرب.

هنا يطلب رفض الشركة معهم في عبادتهم وفي السلوك في الإثم وأعمال الظلمة.

"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين" هذا تعبير عسكري يشير إلى التزام الشخص ألا يترك

رتبته وموضعه ويذهب إلى موضع آخر أو يمارس عملاً ليس في حدود التزاماته.

يبدو أن بعض المسيحيين كانوا في صداقتهم مع الوثنيين يذهبون معهم إلى الهياكل ويشاركونهم ولائمهم وحفلاتهم التي لا تخلو من المفاصل الأخلاقية.

هذا وبالأكثر يقصد الرسول أيضاً الزواج بغير المؤمنين، حيث لا يقدر الطرف المؤمن أن يختبر في بيته الحياة الكنسية السماوية، ولا أن يتمتع بعبودية الروح القدس واهب التقديس.

مثل هؤلاء لا يقدر أن يمارسوا الصلاة الربانية قائلين: "لا تدخلنا في تجربة"، لأنهم بكامل إرادتهم انحنوا ليحملوا تجربة ونيرًا يحطم إيمانهم العملي.

في العهد القديم لم يكن يسمح أن يوضع النير على حيوانين مختلفين مثل الثور والحمار معاً، لا أن تزرع بذور متنوعة ممتزجة معاً في حقل واحد، فكيف يختلط البر مع الإثم ويشترك النور مع الظلمة؟

❖ يقول الرسول: "أية شركة بين النور والظلمة؟" حيث يوجد تناقض فاصل، ولا يمكن المصالحة

بين النور والظلمة. فالشخص الذي يشترك في الاثنين معاً لا يساهم في شيء، لأجل تعارضهما، وتناقض الواحد للآخر في نفس الوقت في حياته المشتركة. إيمانه يمد الجانب المنير، لكن عاداته

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٣.

المظلمة تطفئ مصباح العقل.

حيث أنه من الاستحالة ومن غير المعقول أن يتوافق النور والظلمة، فالشخص الذي يضم الاثنين معاً يصير عدواً لنفسه، إذ ينقسم إلى طريقين بين الفضيلة والشر.

إنه يقيم معركة معادية في داخله. وذلك أنه إذ يوجد عدوان غير ممكن أن ينتصر الاثنان كل على الآخر (لأن نصره أحدهما تسبب موتاً للثاني)، هكذا أيضاً تحدث الحرب الداخلية بالارتباك في حياته، ليس ممكناً للعنصر القوي أن يغلب دون أن يتحطم الطرف الآخر تماماً. كيف يمكن للجيش الموقر أن يكون أقوى من الشر، عندما تهاجمه كتيبة الشر المقاومة؟

إن كان يليق بالأقوى في طريق للنصرة أن يقتل العدو تماماً، هكذا فإن الفضيلة سيكون لها النصر على الشر فقط عندما يفسح لها العدو كله الطريق خلال اتحاد العناصر المعقولة ضد العناصر غير السليمة... إذ لا يمكن للصالح أن يوجد في ما لم يحيا خلال موت عدوي. يصير استحالة علينا أن نحتفظ بالمضادات التي نمسك بها بكلّي اليدين، إذ لا توجد شركة بين كلا العنصرين في ذات الكائن. إن كنا نفتتي الشر نفقد القوة لاقتناء الفضيلة¹.

❖ لا توجد شركة للنور مع الظلمة، كما يقول القديس بولس (٢ كو ٦: ١٤)، ولكن إذا انسحب كل الظلام يلزم للنور أن يأخذ مكانه، وأيضاً متى أزيل الشر فإن الفضيلة تأخذ مكانه. وعند ما يتم هذا فإن قوة الجسد لا تتمكن من مقاومة الروح القدس (فإماتة الجسد تفقده معارضة الروح). فيصبح الجسد وديع الطباع في جميع الظروف وخادماً مطيعاً لحكم الروح القدس. فعندما ما يختفي الجندي الخبيث القاسي وشره، يحل محله الجندي المسلح بالفضيلة وهو يلبس درع البرّ على صدره، ويحمل سيف الروح القدس، ويحميه سلاح الله الكامل وخوذة الخلاص وترس الإيمان وسيف الروح (أف ٦: ١٤-١٧). لذلك يسلك الجسد كخادم للسيد وهو العقل، ويستجيب لكل أوامره في الفضيلة التي تعمل لخدمة الجسد².

❖ يبدو لي أن الله يقول لمثل هذا الإنسان (الفاقد) أمراً كهذا: يا من حياتك فاسدة هل تدعو مصدر عدم الفساد، الآب؟ لماذا تدنس الاسم الطاهر بكلمتك الدنسة؟ لماذا تناقض هذه الكلمة وتهين الطبيعة غير الدنسة؟ إن كنت أباً لك يليق بحياتك أن تتسم بسماتي الصالحة. إنني لست أتعرف على صورة طبيعتي فيك. سماتك مناقضة لسماتي على خط مستقيم. أية شركة بين النور

¹ On Perfection.

² Commentary on Song of Songs, Homily 10.

والظلمة؟ أية قرابة بين الموت والحياة؟ كيف يمكن أن توجد ألفة بين الطهارة والنجاسة؟^١

❖ ليس من طريقٍ نكتشفه نقيم به تتاعماً بين أشياء طبائعها متضادة وليس بينها شيء مشترك. خبرنا الرسول بأنه ليست شركة بين النور والظلمة، أو بين البرّ والشر، وباختصار بين كل الصفات التي ندركها والاسم الخاص بجوهر طبيعة الله وبين كل ما يضاد ذلك الذي ندركه في الشر. إذ ترون استحالة أي اتحاد بين الأمور المتناقضة، نفهم أن النفس الفاسدة متغربة عن البلوغ إلى أصحاب الصلاح.^٢

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ إن راعينا فكر الرسل عن الهراطقة نجد في كل رسائلهم أنهم يمتنوا الدنس الرجس ويبغضوه... يقولون أنه لا توجد شركة بين العدل والظلم، ولا بين النور والظلمة، إذ كيف يمكن للظلمة أن تتبرر أو للظلم أن يقدم عدالة؟ إنهم ليسوا من الله بل من روح ضد المسيح فكيف يمكن لأعداء الله وقد ملأ روح ضد المسيح صدورهم أن يسلكوا في الأمور الروحية الإلهية؟^٣

القديس كبريانوس

❖ لا يمكن أن يوجد نوعان من الحب متناقضان في إنسانٍ واحدٍ. فكما لا يوجد اتفاق بين المسيح وبليلع، وبين العدالة والظلم، يستحيل لنفس واحدة أن تحب كل من الصلاح والشر. يا من تحب الرب اكره الشرير إبليس. في كل عملٍ يوجد حب لواحدٍ وكراهية للآخر... يا من تحب الأشياء الصالحة لتكره الأشياء الشريرة، إذ لا تقدر أن تحبها ما لم تكره الشر.^٤

القديس جيروم

"وأي اتفاق للمسيح مع بليلع؟"

وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" [١٥]

للمسيح خطته واهتماماته ورسالته التي تختلف تماماً عما لبليلع، فكيف يمكن للإنسان أن يخدم الاثنين معاً أو يرضيهما معاً.

❖ الروح القدس هو عمادنا الحقيقي، لهذا السبب نبقي دوماً معمدّين، إذ هو دائماً فينا، ولا يقدر

¹ The Lord's Prayer, sermon 2. (ACW)

² On Virginité, 15.

³ Letter 73:15 to Jubian.

⁴ Hom. 73 on Psalms.

شيء ما أن يحرمننا من عمادنا بإنكار الله والانسجام مع الشياطين. في مثل هذه الحالات بالحق يعتزل الروح القدس، لأنه لا يقدر أن يقبل البقاء في موضع حيث يسكن الشيطان^١.
القديس مار فيلوكسينوس أسقف منيج

"وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟

فإنكم أنتم هيكل الله الحي.

كما قال الله: إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم،

وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" [١٦].

المؤمن هيكل الله قد تخصص وتكرس لخدمة الله الذي وعد أن يسكن في أعماقه ويسير معه، ويقبله ابنًا له. فكيف يمكن أن تتحقق موافقة بين هيكل الله وهيكل الوثن؟ الله إله غيور لن يقبل أن يعطي مجده لآخر، ولا أن يشترك مع آخر في ذات القلب. ليس شيء أكثر دنسًا ونجاسة في عيني اليهودي من إقامة وثن في هيكل الرب، هكذا لا يليق الشركة بين العبادتين، فالوثني لن يعبد الله خالقه، والمسيحي لن يعبد وثن. فإن اشترك الاثنان في عبادة واحدة، أو تزوج الاثنان ليعيشا في بيت واحد، كيف يمكن أن يتحقق ذلك؟

يؤكد الرسول اشتياق الله لإقامة بيته المقدس في قلب المؤمن كهيكل خاص به. إنه ليس بعابر طريق يبيت ليلة أو أكثر في قلب المؤمن إنما هو مالك للقلب وساكن دائم فيه، يسير في أعماقه. يعلن أنه إله، لا يشاركه أحد معه وهو يكون من شعبه يتقبل عمله الإلهي من تعليم واستتارة وعون وحماية وقيادة وشبع، يتقبل بركات إلهية لا حصر لها.

❖ بسبب سكناه ننال كل ما يخص الله الآب، وما يخص بالمثل ابنه الوحيد^٢.

❖ هكذا كانت مسرة الله أن يأتي من السماء المقدسة، ويأخذ طبيعتك العاقلة. فقد أخذ جسدًا من الأرض ووحدته بروحه الإلهي، حتى تستطيع أنت (الأرضي) أن تتال الروح السماوي. وحينما تصير لنفسك شركة مع الروح ويدخل الروح السماوي في نفسك حينئذ تكون إنسانًا كاملاً في الله، ووارثًا وابنًا^٣.

❖ يليق بالهيكل الإلهي البخور الذي يكون من أطيب رائحة. كل فضيلة هي بخور عقلي، مقبول

¹ On the Indwelling of the Holy Spirit.

² Comm on John Book 1, ch. 9:24.

³ Sermon 32:6.

تمامًا عند إله الكل^١.

القديس كيرلس الكبير

❖ رأى يوحنا المدينة المقدسة نازلة من السماء مبنية على أسس من حجارة كريمة ولها اثنا عشر بابًا (رؤ ٢١: ١٠-٢١)... في هذه المدينة يملك المسيح؛ وسكانها أنفسهم هم سكان وأبواب، بيوت وسكان. المسيح ساكن فيهم، المسيح يتحرك فيهم. يقول: "أنا أسكن وأتحرك فيهم". فكروا في النفس القديسة كيف أنها أقدس من أن تُوصف. إنها تضم المسيح الذي السماء ليست متسعة لتحويه!... يتحرك فيها! فبال تأكيد هي بيت متسع فيه يسير. قيل: "أنتم هيكل الله، والروح القدس يسكن فيكم" (راجع ١ كو ٣: ١٦). لنعد هيكلنا حتى يأتي المسيح ويجد مسكنه فينا، وتصير نفوسنا صهيون، وتكون برجًا يُقام في الأعالي، فتكون دومًا إلى فوق وليس إلى أسفل^٢.

القديس جيروم

"لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا،

يقول الرب،

ولا تمسّوا نجسًا فأقبلكم" [١٧].

نظرًا لخطورة الموقف يطالبهم الرسول بالاعتزال كمن يهرب من البرص أو أي من وباء معدٍ.

"وأكون لكم أبًا وأنتم تكونون لي بنين وبنات،

يقول الرب القادر على كل شيء" [١٨].

باعتزالهم الأشرار لن يخسروا شيئًا، إذ تفتتح أعينهم ليروا الله أبًا لهم؛ أية كرامة أو سعادة أعظم من هذه؟ يدخل المؤمن في الانتساب إلى الأسرة الإلهية، فيحمل سمات الأسرة من حياة سماوية مقدسة متهلة آمنة.

"يقول الرب القادر على كل شيء" أو ضابط الكل. مهما بلغ حنو الآباء الأرضيين وحبهم كثيرًا ما يعجزوا عن إشباع احتياجات أبنائهم، إذ قد تنقصهم القوة أو الإمكانيات، أما الرب فقادر على كل شيء، يعد ويفي، يقدم لأولاده أكثر مما يسألوا وفوق ما يحتاجوا. الله يريدنا أن نعتزل كل دنس وتلوث لكي يقبلنا كأبناء له. لهذا يحتثنا الرسول بولس نحو الطهارة.

¹ Sermon 57 on Luke 57:9-58.

² On Ps. Hom. 46.

❖ بولس نبوي في إخبارنا أن نصنع حاجزًا ليس بين أنفسنا والمتزوجين، وإنما بين أنفسنا والأمم الذين لازلوا يعيشون في اللاأخاليات، وأيضًا من الهراطقة الذين لا يعتقدون في الطهارة ولا في الله^١.

القديس إكليمنضس السكندري

¹ Stromata 3:73:4.

من وحي ٢ كو ٦

لنعمل معك بقلبٍ متّسعٍ!

❖ نعمتك فائقة تجتذبني للعمل معك.

أية كرامة أنالها أن أعمل بك ومعك!

إنه وقت مقبول ويوم خلاص.

مراحمك تنتظر لتحتضن كل نفسٍ.

❖ قدسني فأتأهل لخدمة أولادك يا أيها القدوس.

أوجد بلا لومٍ في أفكاري كما في كلماتي وسلوكي.

أكرز بحياتي التي هي من عمل نعمتك.

ليس من يتعثّر بسببي،

ولا من يجدف عليك بسببي.

❖ هب لي أن أفتدي برسولك بولس.

أجد فرحي المستمر في الآلام من أجل خدمتك.

أسهاري أعذب من لذة النوم.

أصوامي أفضل من أي طعامٍ.

خدمة أولادك أشهى ما في حياتي.

❖ هب لي القلب المتسع،

فيجد كل إنسان له موضعًا فيه.

لن يضيق قط مادمت أنت فيه.

لن يطلب جزاءً للحب المتفجر بلا توقف،

الحب عينه هو المكافأة التي أنتظرها.

لأن من يسكب حبًا يفتتيك فيه.

❖ أخدمك يا أيها النور الحقيقي.

فلن أقبل الشركة مع الظلمة.

الأصحاح السابع

لنموت معكم،

ونعيش معكم!

في استطراد يتحدث الرسول بولس مع شعبه ليكشف لهم عن مفهوم الحب الأبوي الصادق، فهو مستعد أن يموت معهم ويعيش معهم. هذا الحب لا يقوم على عواطف بشرية مجردة، وإنما على شهوة الالتقاء معاً كأسرة واحدة في حضن الله. ما يفرح قلب الرسول بولس هو توبتهم وخلصهم وتمتعهم بالمجد الأبدي.

تعزى الرسول بتوبة شعبه عندما سمع من تيطس عن توبتهم وتعزيات الله لهم. فقد فرح تيطس نفسه إذ استراحت نفسه بهم (٧: ١٣) وفرح معه وبه الرسول بولس. راحة الخادم في تعزيات شعبه الإلهية بالتوبة الصادقة.

١. تقدم في القداسة . ١
٢. لنموت معكم ونعيش معكم ٢-٣ .
٣. أخبار معزية وسط الضيق ٤-٧ .
٤. حزن التوبة وحزن العالم ٨-١١ .
٥. الحب غاية كتابته ١٢ .
٦. تعزيات وأفراح مشتركة ١٣-١٦ .

١. تقدم في القداسة

إذ يكشف الرسول بولس عما في قلبه من تهليل بسبب توبتهم يؤكد لهم إن غاية إيمانه وكرازته أن يتمتع هو وكل الشعب بالحياة المقدسة في الداخل والخارج. أن يسلك الكل في طريق القداسة في خوف الله.

"فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء،

لنُظهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح،

مكتملين القداسة في خوف الله" [١].

يشير هنا إلى الوعود الإلهية التي سبق الحديث عنها في الآيات السابقة وهي أن يكون الله لهم إلهًا وهم له شعبًا (٢: ١٦)، ويكون لهم أبًا وهم يكونون له بنين وبنات (٢: ١٨)، وأن يقبلهم متى اعتزلوا النجاسة (٢: ١٧).

يلزمنا الاهتمام بطهارة الجسد والروح، لأن الله القدوس يتمجد في الجسد كما في النفس، في الإنسان ككل. مادمننا نود تحقيق الوعد الإلهي أن يكون الله لنا أبًا يلزمنا أن نسعى نحو الكمال والقداسة لأنه هو الكامل القدوس.

يطالبنا بولس الرسول بالهروب ليس فقط من دنس الجسد بل "من كل" دنس الجسد، حتى نوجد في قداسة الروح، في مخافة الرب باسم يسوع المسيح. لأن من يمنع نفسه عن الرذائل لكن ليس في المسيح، لا يصير طاهرًا وبارًا فيه.

❖ نجد هنا تعليمًا بأن ندهش من أجل هبات الله غير المنظوق بها في المسيح يسوع وبخوف أعظم أن نتطهر من كل دنس الجسد والنفس^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ قدم لنا الله في حنو محبته وصايا مطهرة، حتى أننا، إن أردنا، نقدر بمراعاتنا للوصايا أن نتطهر، لا من الخطايا فحسب، بل ومن الشهوات أيضًا، لأن الخطايا شيء والشهوات شيء آخر. فالشهوات هي الغضب والزهو وحب الملذات والكراهية والشهوات الدنسة وما شابه ذلك. أما الخطايا فهي تنفيذ هذه الشهوات عمليًا، بمعنى أن الإنسان بجسده ينفذ الأعمال التي تثيرها فيه شهواته. فالإنسان يمكن أن تكون له شهوات ولكنه لا يخرجها إلى حيز التنفيذ. كانت الشريعة (في العهد القديم) تهدف إلى تعليمنا عدم صنع ما لا نريده لأنفسنا، وبالتالي حرمت علينا مجرد التنفيذ العملي للشر.

أما الآن (في العهد الجديد)، فإننا مطالبون بطرد الشهوة ذاتها، التي تدفعنا نحو الشر. فنطرد البغضة ذاتها ومحبة الملذات وحب الكرامة وغير ذلك من الشهوات^٢.

❖ ليتنا نتخلص من قذارة الخطية، فيظهر الجمال الأول الذي للفضيلة. يقول داود النبي في المزمور: "يا رب بجمالك أعطيت جمالي قوة" (مز ٢٩: ٨). لنتطهر حتى تظهر صورة الله فينا،

^١ Concerning Baptism 1:2.

^٢ الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ١٧٧.

وهذا هو ما يريد الله منّا، أن نكون بلا دنس ولا نقص ولا عيب^١.

القديس دوروثيوس

مخافة الرب هي رأس الحكمة وأساس الحياة المقدسة، فإن الله القدوس يعمل في خائفه الذين يترجون رحمته.

يلتزم المؤمن أن يهرب من كل ما يدين جسده سواء العين أو الأذن أو اليد أو البطن خلال النهم والزنا والكسل، وأيضًا ما يدين النفس سواء الاستمتاع بمديح الآخرين أو الغضب الخ. هذا من الجانب السلبي وأما الجانب الإيجابي فهو التمتع بمخافة الرب كأبناء يحرسون على مشاعر أبيهم القدوس. بهذا يتمتع المؤمن بفكر المسيح، ويسلك في طريق القداسة ليتمتع بكمالها.

❖ إن أراد أحد أن ينال حب الله، فليكن فيه مخافة الرب، لأن الخوف يولد بكاء، والبكاء يولد قوة. وإذا ما كملت هذه كلها في النفس، تبدأ النفس تنثر في كل شيء. وإذا يرى الله في النفس هذه الثمار الحسنة، فإنه يشتمها رائحة بخور طيبة، ويفرح بها هو وملائكته، ويشبعها بالفرح، ويحفظها في كل طرقها حتى تصل إلى موضع راحتها دون أن يصيبها ضرر. إذ يرى الشيطان الحارس العلوى العظيم يحيط بالنفس، يخاف أن يقترب منها أو يهاجمها بسبب هذه القوة العظيمة.

إذًا، اقتنوا هذه القوة حتى ترتعب الشياطين أمامكم، وتصير أعمالكم سهلة، وتتلذذوا بالعمل الإلهي، لأن حلاوة حب الله أشهى من العسل.

حقًا إن كثيرين من الرهبان والعداري في المجامع، لم يتذوقوا هذه الحلاوة الإلهية، ولم يقتنوا القوة الإلهية، ظانين أنهم قد نالوها، بالرغم من عدم جهادهم. أما من يجاهد لأجلها فينالها حتمًا خلال المراحم الإلهية، لأن الله لا يحابي الوجوه.

فمن يريد أن يكون له نور الله وقوته، يلزمه أن يستهين بكرامات هذا العالم ودنسه، ويبغض كل أمور العالم ولذة الجسد، ويبقى قلبه من كل الأفكار الرديئة. ويقدم لله أصوام ودموعًا ليلاً ونهارًا بلا هوادة كصلوات نقية، عندئذ يفيض الله عليه بتلك القوة.

اجتهدوا أن تتالوا هذه القوة، فتصنعوا كل أعمالكم بسهولة ويسر، وتصير لكم دالة عظيمة قدام الله، ويهبكم كل ما تطلبونه^٢.

^١ تأملات في مديح للقديس غريغوريوس النزينزي.

^٢ Letter, 9.

القديس أنبا أنطونيوس

❖ الحب نسل عدم الشهوة، وعدم الشهوة هو زهرة الحياة العاملة التي تقوم بدورها بتنفيذ الوصايا. مخافة الرب هو الحارس لممارسة الوصايا، وهو ثمرة الإيمان السليم. الاعتقاد (الإيمان النظري العقلي البحت) هو صلاح النفس الداخلي، وهو غالبًا ما يوجد حتى عند الذين لا يؤمنون بالله (إيمانًا عمليًا).^١

القديس مار أوغريس

❖ يقول يوحنا: "المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج" (١ يو ٤ : ٨)، فلماذا يقول النبي الطوباوي داود: "اتقوا (خافوا) الرب يا قديسيه" (مز ٣٤ : ٩)؟ هذا يكشف عن نوعين من الخوف: النوع الأول أولي، والنوع الثاني خوف كامل. الأول يخص المبتدئين، والثاني يخص القديسين الكاملين الذين بلغوا إلى قامة الحب الكامل. فمن يطيع إرادة الله بسبب خوفه من العذاب يكون خوفه مبتدئًا. وأما الذي ينفذ إرادة الله بسبب حبه لله لكي يرضيه، وقد بلغ بهذا الحب إلى الخوف الكامل. وبواسطة هذا الخوف (الكامل) يخاف لئلا يفقد تلك البهجة التي يتمتع بها بوجوده مع الله ويخشى لئلا يخسرها. هذا هو الخوف الكامل، المولود من الحب، الذي يطرد الخوف البدائي إلى الخارج.^٢

القديس دوروثيوس

٢. لنموت معكم ونعيش معكم

"اقبلونا، لم نظلم أحدًا،

لم نفسد أحدًا،

لم نطمع في أحد" [٢].

يسأله أن يحبه كما هو يحبهم، وأن يقبلوه كرسول، فقد أكد لهم أنه مُرسل من قبل الله، وأنه أمين في عمله الرسولي.

يطلب الرسول من شعبه أن يقبلوه ولا يستخفوا به وبالعاملين معه، وهو لا يعني قبول أشخاصهم،

^١ الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ١٤٢.

^٢ الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ١٨٧.

بل قبول الإنجيل الذين يكرزون به. إنه ليس لدى الكورنثيين أي سبب لعدم قبولهم الخدام.
كان الرسول بولس حريصًا ألا يعثر أحدًا، وكما جاء في حديثه مع قسوس كنيسة أفسس: "قضية أو ذهب أو لباس أحد لم أشتته" (أع ٢٠: ٣٣). وها هنا يقول: "لم نظلم أحدًا، إذ لم نمارس عملاً قط ضد العدالة. ولم نفسد أحدًا بأي تعليم كاذب أو فكر موزٍ. ولم نطمع في أحد إذ لم نشته شيئًا مما لأحد، ولم نطلب أمرًا زمنيًا.

❖ هذه هي سمة الخادم الحقيقي، فنسمع صموئيل النبي يقول لشعبه: "هأنذا فاشهدوا عليّ قدام الرب وقدام مسيحه: ثور من أخذت؟ وحمار من أخذت؟ ومن ظلمت؟ ومن سحقت؟ ومن يد من أخذت فدية لأغضي عيني عنه فأرد لكم؟" (١ صم ١٢: ٣).
كأنه يقول لهم انظروا ماذا فعل بكم المعلمون الكذبة؟ لقد ظلموكم وأفسدوا فركم وخذعوكم.
"اقبلونا" (اجعلوا لنا موضعًا فيكم *make room for us*)، أي لتحبونا. يقول: "من طردنا؟ من استبعدنا من قلوبكم؟"¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لا أقول هذا لأجل دينونة،

لأنني قد قلت سابقًا أنكم في قلوبنا،

لنموت معكم ونعيش معكم" [٣].

لم يكتب هذا لينتقدهم أو يدينهم، وإنما ليفتح عيونهم فيميزوا بين الرسل الحقيقيين والخدام الأمانة وبين المعلمين الكذبة. فإنه لا يستطيع الكذبة أن يقولوا هكذا أن الشعب في قلوبهم، يموتون معهم ويعيشون معهم.

أراد الرسول بولس أن يتحققوا بأي فكر يتحدث معهم. إنه بالتأكيد يود أن يدرك مدى اتساع قلبي، فإنه ليس فقط لم يطمع في اقتناء شيء من أحدٍ، إنما يجد مسرته في دخول الكل إلى قلبه، فيجدوا فيه الحب الفائق. يلتقوا في قلبه بمسيحه الذي يشارك البشرية آلامها لتشاركه بهجة سمواته. في قلب الرسول يدرك ترجمة عملية لشركة المسيح للمؤمنين وشركة المؤمنين لمسيحهم. إنه سفير المحبوب يسلك بروحه.

❖ إنه يظهر حنواً عظيمًا حتى حين يُعامل باستخفاف. إنه يختار أن يموت وأن يحيا معهم... إن

¹ In 2 Cor. hom 14, PG 61: 537.

حلَّ الخطر، فمن أجلكم مستعد أن أحتمل كل شيء. ليس الموت ولا الحياة ذات قيمة في ذاتهما عندي، فمن أجلكم أفضل الموت عن الحياة والحياة عن الموت^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يُقدم لأجل ترشيحه للكهنوت يلزم أن يكون كموسى... حتى عندما يُصب على الشعب الموت المرهب لبعض العصاة يتقدم ليكون هو بين الموت والحياة، لكي لا يهلك أحد من شعبه.

❖ الإنسان الذي له روح الكهنوت وفكره هو ذاك الذي يكونه راعيًا صالحًا يتقدم للموت من أجل قطيع الرب بروح ورعة. بهذا يكون (كموسى) في كسر شوكة الموت، وصد قوته، وإزالته إلى أبعد الحدود.

الحب هو العضد الذي يزكّيه، مقدمًا نفسه للموت من أجل مقاوميه^٢.

القديس أمبروسيوس

❖ أيها المعلم شفيع الأسرار الإلهية تكلم بالحب...

الذي يعلم ولا يحب يرتدع بالسكوت، لأنه باطلاً يتعب بتصنيف الكلام غير المريح. الماهر العظيم إن شاء أن يريح سامعيه فليحب كثيرًا ويتكلم قليلاً مع تلاميذه.

❖ الملابس التي يرتديها الكاهن داخل بيت المقدس هي الحب المبسوط على ضميره عندما يقترب. إكليل الكاهن يركز للشعب: إن هذا هو الحب الذي يربط جميع الصالحات، والقادر أن يدخل إلى الله^٣.

مار يعقوب السروجي

٣. أخبار معزية وسط الضيق

"لي ثقة كثيرة بكم،

لي افتخار كثير من جهتكم،

قد امتلأت تعزية،

وازددت فرحًا جدًّا في جميع ضيقاتنا" [٤].

^١ In 2Cor. hom 14. PG 61: 538.

^٢ الحب الرعوي، ص ٤٥٨.

^٣ الحب الرعوي، ص ٤٥٨-٤٦٠.

من جهته فإن حبه لهم بلا حدود، يموت معهم ويعيش معهم، أما من جهتهم فمحبتهم له اعطته ثقة عظيمة ليكتب بكل جرأة وصراحة، وهو معتز بحبهم له ويفتخر بها. محبتهم ملأت قلبه بالتعزية وسط ضيقاته وآلامه، جعلته متهللاً جداً. إنه أب ينسى كل أتعابه حين يرى أولاده محبين له، يفتحون قلوبهم له.

جاء تعبير "ازددت فرحاً جداً" *Huperperisseuomai* يحمل معنى الفرح الذي لا يُعبر عنه، وهو فعل يوناني يندر جداً استخدامه، لم يستخدم في كل العهد الجديد. كان الرسول بولس مقتنعاً بسبب الطريقة التي تجاوب بها الكورنثيون لتوبيخه لهم في رسالته الأولى، مما شجعه أن ينصحهم مرة أخرى. أوضح أن تجاوبهم هذا أعطاه تعزية فامتلاً فرحاً بالرغم من كل الأحزان التي تحل به. إنه يتعزى وسط تجاربه وضيقاته، إذ يُسرّ من أجل خلاصهم.

تجاوب الشعب بالتوبة قدم للرسول بركات لا حصر لها، منها الآتي:

* ثقة في شعبه أنه شعب الله المختار.

* افتخار واعتزاز بعمل الله فيه وفيهم.

* تعزية ملأت كل فراغ في داخله.

* فرح عظيم لن تقدر الضيقات أن تحطمه.

توبة الشعب هي سند للكاهن، موضع اعتزازه وتعزيته وفرحه بنعمة الله العاملة فيهم خلاله. هي علامة الحب لله وخدامه الأمانة.

تكريم الشعب للكاهن يتجلى بقوة خلال التوبة حيث تتهلل نفس الكاهن وتستريح بخلص إخوته في الرب.

كثيراً ما كان القديس يوحنا ذهبي الفم يطالب شعبه بالتعبير عن حبهم له لا بالتهليل والتصفيق بل بالتوبة اليومية والطاعة للوصية الالهية.

❖ إنني لست في حاجة إلى مديح أو تصفيق أو صخب أو ضجيج!

إنني أطلب شيئاً واحداً، لينكم تصغون إليه في هدوء وتعقل: افعلوا ما أقوله! هذا هو مديحكم لي. هذا هو ثناؤكم علي...

نحن لسنا هنا في مسارح للتمثيل، ولا ترون أمامكم ممثلين تصفقون لهم. هنا مدرسة روحية، نظهر فيها طاعتنا بأعمالنا¹.

¹ In Matt. Hom 17:6.

❖ ما حاجتي إلى هذا التصفيق، علامة الفرح والإعجاب؟

المديح الذي أرجوه منكم أن تظهروا أقوالي معلنه في أعمالكم، فأصير إنسانًا سعيدًا¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة،

بل كنا مكتئبين في كل شيء،

من خارج خصومات،

من داخل مخاوف" [٥].

كان الرسول بولس المتسم بالفرح الدائم يعاني من نوع من الكآبة بسبب الاضطهادات الخارجية من اليهود والأمم ومن المعلمين الكذبة ومخاوفه على الشعب في الداخل. فقد ترك بولس أفسس وذهب إلى ترواس حيث توقف إلى حين ثم جاء إلى مكدونية حيث كتب هناك هذه الرسالة. كان يترقب مجيء تيطس ليخبره عن ثمر رسالته الأولى، وإذ تأخر صار في كآبة.

❖ كان على الرسول بولس أن يحارب ليس فقط أعداءً خارجيين بل وأعداءً في الداخل في شركة مع الكنيسة. لقد خشي أن ينحرف مؤمنون إلى أمورٍ ضارة².

ثيودورت أسقف قورش

❖ "كنا مكتئبين في كل شيء" كيف في كل شيء؟ حروب من الخارج من غير المؤمنين، مخاوف من الداخل من أجل الضعفاء بين المؤمنين لئلا يُفقدوا. فإن هذا لم يحدث بين الكورنثيين وحدهم بل وفي مواضع أخرى³.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لكن الله الذي يُعزِّي المتضعين

عزَّانا بمجيء تيطس" [٦].

كيف تعزِّي بولس؟ ينسب الرسول تعزيات قلبه الداخلية أولاً إلى الله الذي يسكب تعزياته على المتواضعين، وبعد ذلك ينسبه إلى مجيء تيطس الذي قدم تقريرًا مفرحًا عن ثمر رسالته الأولى في حياة الكنيسة في كورنثوس. لقاءه مع تيطس فرَّح قلبه فقد كان الرسول يعتز جدًا بالصدقة، خاصة مع

¹ Statues, Hom 2:10.

² PG 82:418.

³ In 2 Cor. hom 14. PG 61: 540.

العاملين في ملكوت الله على الأرض. إنه يتطلع إلى تيطس كابن خاص عزيز لديه جدًا، وشريك معه في ذات الإيمان (تي ١ : ٤). أما الأخبار التي حملها فقدمت تعزيات أعظم بكثير من تعزيات الصداقة الشخصية. ما أبهج قلب الرسول جدًا هو توبتهم وحنينهم الذي يجلب فرحًا في الرب. وكما يقول سليمان الحكيم: "من يوبخ إنسانًا يجد أخيرًا نعمة أكثر من المطري باللسان" (أم ٢٨ : ٢٣). يرد الرسول التعزية لا إلى الصداقة مع تيطس ولا إلى أخبار كورنثوس مفرحة، لكن إلى الله إله كل التعزيات كمصدر كل تعزية وكل صلاح. يرى البعض أن مجيء تيطس أعطى راحة لبولس الرسول لأن الإنسان المتألم يجد تعزية حينما يجد أحدًا مخلصًا يقترب إليه. يرى القديس غريغوريوس أسقف نيصص أن الرسول بولس يستخدم هنا كلمة "يُعزِّي" لتشير إلى قوة الله واهبة الشفاء^١.

"وليس بمجيئه فقط،

بل أيضًا بالتعزية التي تعزى بها بسببكم،
وهو يخبرنا بشوقكم ونوحكم وغيرتكم لأجلي،
حتى إنني فرحت أكثر" [٧].

سرّ التعزية:

أولاً: مجيء تيطس إليه كابن وصديق وعاملٍ معه.
ثانيًا: جاء متلهلاً بتعزيات إلهية بسبب موقف أهل كورنثوس الروحي البناء.
ثالثًا: كشف عن شوقهم أن يروا الرسول بولس، وأن يصححوا من أخطائهم السلوكية والعقيدية والكنسية.

رابعًا: كشف عن حزنهم على ما سبق أن ارتكبوه.
خامسًا: غيرتهم على مساندة الرسول في كرازته وخدمته.

٤. حزن التوبة وحزن العالم

"لأنني وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست أندم مع إنني ندمت،
فإنني أرى إن تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة" [٨].

¹ Against Eunomius, 2:14.

لقد كان الرسول مترددًا بعد كتابته الرسالة الأولى، إذ لم يكن يود بعثها بهذا الحزم. كأنه يقول لهم: "لقد ألزمتكموني بالكتابة بهذا الأسلوب مع شوقي الشديد إلى الترفق بكم والحنو وإظهار كل حب". ومع أنه ندم بعد بعثها إليهم لكنها أثمرت بتوبتهم فلم يندم بل فرح بالثمر المتكاثر الذي جناه. هذا ما عناه بقوله "لست أندم مع إنني ندمت"

الآن ليس وقت للحن، فقد حزنتم ولو إلى ساعة، وقد حان وقت الفرح المشترك. أنا حزنت لأنني كتبت لكم بحزم، وأنتم حزنتم على ما فعلتموه، ها نحن نتعزى معًا ونفرح الآن معًا. حزنتم إلى حين ها أنتم ونحن نفرح إلى الأبد بخلاص الرب وعمله معكم.

"الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم،

بل لأنكم حزنتم للتوبة،

لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله،

لكي لا تتخسروا منّا في شيء" [٩].

حزنتكم للتوبة ولّد تغييرًا شاملاً في الفكر والسلوك. حزن العالم يحطم النفس ويفسد السلام ويضعف الجسد، أما حزنتكم فحزن التوبة الذي جدد ما في داخلكم، وأبهج الكل، ولم يسبب أدنى خسارة بسببنا. كم كانت فرحة الرسول بولس بتوبتهم، لقد جددت طاقات الرسول الذي كان حزينًا على بعث الرسالة إليهم. تهللت نفسه بتوبتهم للخلاص المفرح.

❖ هنا يعلمنا بولس أن هذا النوع من الحزن له قيمته الذي غايته هو الله لا العالم. يقول إنه بالحق قد صرتم حزاني إذ تشعرون بالتوبة أمام الله... لاحظوا أولئك الذين كانوا في العهد القديم حزاني في وسط أتعابهم الجسيمة. والذين نالوا نعمة، بينما الذين وجدوا بهجتهم في الملذات استمروا تحت العقوبة. لهذا فإن العبرانيين الذين تنهدوا في أنين في أعمال مصر (خر ٢: ٢٣) نالوا نعمة الأبرار، والذين أكلوا خبز الحزن والخوف تمتعوا بالصلاح الروحي^١.

القديس أمبروسيوس

"لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة،

وأما حزن العالم فينشئ موتًا" [١٠].

يميز الرسول بين نوعين من الحزن:

¹ Paradise 15:77.

أولاً: حزن حسب مشيئة الله، حزن بسبب كسر للوصية الإلهية. هذا الحزن المقدس هو من أجل التمتع ببهجة الخلاص. فلا يستريح الإنسان التائب حتى يجد موضعاً في الأحضان الإلهية خلال عمل المسيح الخلاصي، فيرتفع قلب التائب إلى السماء.

ثانياً: حزن العالم الذي يقوم على فقدان بعض أمور العالم المادية أو المعنوية، سواء كانت ممتلكات أو حقوق زمنية أو كرامة أرضية. هذا الحزن يحطم النفس ويسبب هزالاً للجسم مع أمراض، يدفع إلى الموت والهلاك الزمني والأبدي.

هنا يقدم الرسول مفهوماً إنجيلياً رائعاً للحزن حسب مشيئة الله، فإنه يدفع إلى التوبة بمعنى الرجوع إلى أحضان الله لا اليأس، ويولد إصلاحاً وتجديداً مستمراً، ويصحبه سلام الله وفرح داخلي. فلا يندم الإنسان أو يحزن على ممارسته للحزن المقدس.

❖ يقول إنه يوجد أكثر من نوع من الحزن، الواحد حزن العالم والآخر حزن حسب مشيئة الله. حزن العالم ينشئ موتاً، بينما الحزن الآخر ينشئ توبة للخلاص. فإنه بالتأكيد متى ناحت نفس على حياتها الشريرة لأنها تشعر بآثارها الشريرة، مثل هذا الألم لا يمكن نزعها عن الحزن الذي يُدعى مطوباً¹.

❖ ليس شيء يرد القلب إلى الحكمة مثل الحزن، وليس شيء أعذب من الحزن الورع².

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ الذي يحزن حسب الله يحزن في توبة عن خطاياه، ويحزن على شروره فيجلب عدلاً. أولاً دع ما لا يسرك حتى يمكنك أن تصير على ما أنت ليس عليه³.

❖ إني وجهت أذني إلى صلاة هذا الإنسان، وسمعته يقول: اللهم ارحمني، أشفي نفسي فأني أخطأت إليك (مز ١٠٨: ٧). إنه يندب خطاياه؛ إني أعرف الحقل، إني أطلع إلى الثمرة. شكرًا لله. فإن الحفر في مكانٍ صالح، فإنه ليس بالعمل غير النافع، إنه ينتج ثمرة. حقاً إنه وقت للحزن المثمر، حتى نحزن على حال موتنا، وعلى كثرة التجارب، وهجمات الخطاة الخاطفة السرية، الاصطدام ببين الرغبات، الصراع بين الأهواء التي تتمرد دوماً على الأفكار الصالحة. لهذا فلنحزن ونكتب

¹ The Beatitude, sermon 3. (ACW)

² In Ephes., hom. 24.

³ Easter Season 254:2.

على هذا الحال^١.

القديس أغسطينوس

في وسط بهجة قيامة المسيح المتألم المصلوب يحدثنا القديس أغسطينوس عن هذا الحزن الصالح الذي يراه حقلاً مثمرًا، يثمر بهجة سماوية.

❖ على أي الأحوال إنني أتعجب كيف أن الله الذي من البداية قدم للبشرية الألم النابع عن الخطية، أنه ينزع هذا القرار بحكم وقرار بطله. اسمع الآن: الخطية تنتج ألمًا، وخلال الألم تبطل الخطية. تطلّع بحرص. الله يهدد المرأة، يجلب عليها العقوبة بسبب عصيانها، ويخبرها: "بالوجع تلدين أبناء" (تك ٣: ١٦). أظهر الألم كحصاة للخطية. على أي الأحوال أي سخاء هو هذا! فإنه يحول العقوبة ذاتها التي قدّمها إلى خلاص. الخطية تلد ألمًا، والألم يحطم الخطية. وذلك كما أن شجرة تلد دودة تقوم هي نفسها بإبادة الشجرة عينها. هكذا الألم الذي تلده الخطية يقتل الخطية حين يرافقه بالتوبة...

الألم صالح للذين يتوبون بإخلاص. الحزن الذي يتبع الخطية يناسب الذين يخطئون".
لتحزن على الخطية فلا تتحب على العقوبة. اعتذر للقاضي قبل امتثالك في المحكمة. أما تعلم أن كل الذين يرغبون في ملاطفة القاضي يفعلون ذلك ليس عندما تقدم القضية، بل قبل دخولهم إلى المحكمة، أو خلال الأصدقاء أو بطرق أخرى بها يلاطفون القاضي؟
نفس الأمر بالنسبة لله، فإنك لا تقدر أن تقنع الديان خلال وقت المحاكمة. إنه يمكنكم أن تترافعوا مع الديان قبل وقت الدينونة^٢.

❖ التوبة نار تلتهم كل ضعف بشري، تنزع التهاون والكسل وثقل الجسد، وتعطي للنفس جناحًا تطير به نحو السماء، وتظهر لها خلال هذه القمة المرتفعة بطلان هذه الحياة الحاضرة.
من لا يرتفع إلى مركز المراقبة لا يستطيع أن يلتقط صورة صادقة للأرض ومحتوياتها. فإن أمورًا كثيرة تظلم مجال الرؤية وتصم الأذنين وتلعثم اللسان. لهذا يليق بالإنسان أن ينتزع نفسه من هذا الصخب، ويبتعد عن الدخان، ويدخل إلى الوحدة ليجد السلام العميق والهدوء والسكون مع الاستنارة.
عندما تركز الأعين على حب الله، ولا تعود تسمع الأذن إلا كلماته وكأنها سيمفونية روحية عذبة، تصبح النفس أسيرة (الله) تشعر بتقزز من الطعام والنوم.

¹ Easter Season 254:4.

² Hom. On Repentance and Compunction 7:6:19.

حقاً إن ضجة العالم والاهتمامات المادية تنزلق على النفس لكنها لا تدخل إليها، وبارتفاع النفس هكذا لا تعود تبالي بفرقعات العواصف الأرضية.

وكما أن سكان الجبال لا يعودون يسمعون أصوات المدينة ولا يرون ما يدور فيها، إنما يحسبون هذه كلها أشبه بضجيج مبهم، هكذا الذين تركوا العالم بإرادتهم وانطلقوا يطيطرون في مرتفعات الفلسفة (الحكمة) لا يعودون يدركون شيئاً عن أحوال العالم، لأن كل حواسهم متجهة نحو السماء.

إذن لنبحث لا عن وحدة البرية فحسب، إنما عن وحدة الرغبة الداخلية. لنختبئ فوق أعلى قمة النفس حيث لا يسكن فيها شيء أرضي.

إن قوة التوبة كمثّل هواء يطرد الغبار ويكتسح الشهوات أسرع من الدخان.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله كم أنشأ فيكم من الاجتهاد،

بل من الاحتجاج،

بل من الغيظ،

بل من الخوف،

بل من الشوق،

بل من الغيرة،

بل من الانتقام،

في كل شيء أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" [١١].

يكشف الرسول بولس عن ثمار الحزن المقدس، ألا وهي:

أولاً: الاجتهاد أو الاهتمام العملي بالنفوس لكي تتمتع بالحياة المقدسة في الرب. الاجتهاد في التمتع ببركات الطاعة للوصية الإلهية، والتخلص من كل فساد لحق بها بسبب الخطية.

❖ تنقسم الفضيلة الى أمرين: ترك الشر وفعل الخير. الانسحاب من الشر ليس كافياً لبلوغ الفضيلة، إنما هو بداية الطريق الذي يقود إليها ، لا تزال تبقى هناك حاجة لنشاط عظيم¹.

❖ إن نزع الأشواك وترك الحقل عاطلاً يعود فيمتلئ أعشاباً غير نافعة. إذن ضرورة ملحة لشغل الحقل وزرع البذور الصالحة والنباتات المفيدة.

¹ In Thess, Hom., 5.

لنطرد الغضب ونصنع الشفقة.

لننزع كل مرارة ونثبت الحنان.

لنستبعد الحقد والسخط ونزرع التسامح عوضاً عنهما^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثانيًا: الاحتجاج والغضب، بمعنى رفض التجاوب مع أية خطية تسللت إلى الجماعة. التوبة تولد ثورة مقدسة ضد الفساد.

❖ اندم على إثمك طالما لا يزال في القلب، قبل أن يصبح فعلاً. نقِ ضميرك وليقم الميت في بيت الضمير. أما إذا خرج الإثم من الفكر إلى الفعل فلا تيأس. فإن الميت لا يقوم وهو في داخل البيت بل وهو محمول على الأكتاف.

القديس أغسطينوس

ثالثًا: الخوف على المشاعر الإلهية الأبوية، فيود التائب أن يلتزم بعلاقات الحب المقدسة مع الله، ولا يجرحها بأية خطية ظاهرة أو خفية. كما يعني هنا الخوف من أن يحزن قلب الرسول بولس الذي يطلب خلاصهم.

❖ يليق بك أن تظل على هذا الصليب حياتك كلها لأنه لا مجال لنزع الصليب في هذه الحياة التي قيل عنها في المزمور "اللهم، سمّر خوفك في لحمي" (مز ١١٩: ١٣٠)
للجسد ميول لحمية، والمسامير هي وصايا عدلك، ومخافة الرب هي التي ترفعك على الصليب وتجعلك قريباً مقبولاً لديه تثبت الجسد بالمسامير...
عشْ دوماً هنا، فإن أردت ألا تغوص في وحل الأرض فلا تنزل عن الصليب .

القديس أغسطينوس

رابعًا: الشوق نحو الالتقاء بالله والتمتع بالشركة معه، وشوقهم للرسول بولس الذي كان حازماً معهم في رسالته الأولى.

❖ هلم إلى المسيح؛ ففيه غابيتك وما دونه طريق...
ليكن مخلصك غاية تتوق إليها يا من لم تُدعى للأرض بل للسماء. إنك لست مدعوًا لسعادةٍ

¹ In Eph., Hom. 16.

أرضية بل لسعادة سماوية... لحياة مع الملائكة إلى الأبد.
ليكن فاديك هو آخر ما تصبو إليه وتنتوق، فهو رجاؤك وقوتك...
اركض وراءه فتستريح، فقد جاء المسيح إليك لكي تتبعه...
اركض الآن لتفرح فيما بعد في الوطن.

القديس أغسطينوس

خامساً: الغيرة على قدسية الكنيسة والعمل الكرازي الذي يقوم به الرسول.

سادساً: الانتقام من عدو الخير إبليس، أو من الخطية لا الخاطي.
بسلوكهم أظهر أهل كورنثوس أنهم أبرياء *hegnous* ليس فقط بمعنى أنهم لا يحملون روح التمرد والعصيان عليه والمقاومة، ولا أنهم متشبثون بأخطائهم وسلوكهم الشائن، وإنما أنهم بلا لوم من جهة سعيهم لإزالة الفساد والخطأ. هذا لا يعني أنهم أبرياء بلا سلوك خاطئ تماماً، لكن جادون في الإصلاح وفي الاهتمام بخلاص نفوسهم وإرضاء الله.
البعض وهم يتوبون يخشون أن يخطئوا مرة أخرى. لكن الإنسان الذي يعرف أنه قد تشوّه بواسطة الخطية يشناق أن يُصلح نفسه. الإنسان الذي يعرف أنه يُنتهر لأجل صالحه يبدأ يختبر الغيرة ليدخل إلى الكمال في الأعمال الصالحة.

❖ من يثير حزناً صالحاً فينا هو المحسن إلينا^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ يحدثهم عن الصفات التي تعمل فيهم خلال الغيرة. "كم أنشأ فيكم من الاجتهاد بل الاحتجاج" للدفاع عني. "بل من الغيظ" نحو الذي يخطئ. "بل من الخوف" لأنه بالحق الغيرة الزائدة والتصحيح السريع هما من عمل الذين يخافون. ولئلا يبدو أنه يمجّد نفسه انظر كيف أنه يخفف من هذا بسرعة قائلاً: "نعم أي شوق عندكم من نحوي". "نعم أية غيرة" لأجل الله. "نعم، أي انتقام، لأنكم تدافعون عن شرائع الله التي انتهكت"^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. الحب غاية كتابته

¹ The Long Rules, 52.

² In 2Cor. hom 16. PG 61: 552.

"إذا وإن كنت قد كتبت إليكم فليس لأجل المذنب،

ولا لأجل المذنب إليه،

بل لكي يظهر لكم أمام الله اجتهدنا لأجلكم" [١٢].

أظهر القديس بولس بكل وضوح أن المغفرة يلزم منحها للذين أخطأوا ليس فقط من أجلهم هم أنفسهم، وإنما أيضًا لأجل الكنيسة، لأنه عندما يخطئ شخص يسبب تعبًا لكثيرين. أوضح الرسول غايته من الرسالة الأولى بخصوص الشاب الذي ارتكب الخطأ مع امرأة أبيه مبيّنًا أنه لم يرتكب ذلك لكي يعاقب الشاب المخطئ، ولا لكي يهدئ من الأب الذي أخطأ ابنه في حقه، وإنما ما يشغله هو قداسة الكنيسة كلها. كتب لأجل الكل وليس لأجل إنسان معين أو آخر. إنه ليس بالقاضي الذي يحكم على هذا أو ذاك، إنما الرسول الذي يهتم بخلاص كل أحد وتقديس الجماعة كلها.

❖ يلمح هنا إلى أمر أبعد، وهو كما اننا تحدثنا بكل الأمور بينكم بالحق (ربما يقصد هنا مديحه لتيطس أمامهم) هكذا ما قلناه عنكم لتيطس ظهر أنه حق.^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦. تعزيات وأفراح مشتركة

"من أجل هذا قد تعزينا بتعزيتكم،

ولكن فرحنا أكثر جدًا بسبب فرح تيطس،

لأن روحه قد استراحت بكم جميعًا" [١٣].

كثيرًا ما يكشف الرسول في هذه الرسالة عن شركة الحب وشركة الفرح كما عن شركة الحزن. فإذا تعزوا بالتوبة تعزى هو معهم ؛ وإذا قادهم الحزن حسب مشيئة الله إلى الفرح فرح بالتالي تيطس وفرح بولس جدًا لفرح تيطس. سرّ فرح تيطس أن نفسه استراحت بجميعهم أو بقداسة الكنيسة وخلاصها.

"فإني إن كنت افتخرت شيئًا لديه من جهتم لم أخجل،

بل كما كلمناكم بكل شيء بالصدق

كذلك افتخارنا أيضًا لدى تيطس صار صادقًا" [١٤].

لم يخجل الرسول من إبراز اعتزازه بأهل كورنثوس وافتخاره بهم إمام تلميذه تيطس. لا يقوم هذا

¹ In 2Cor. hom 16. PG 61: 555.

الافتخار على مجاملات بشرية ولا كنوع من المداهنة، بل على الصدق والحق الإنجيلي، إذ يقوم على اهتمامهم بخلاص أنفسهم ونموهم روحياً.

"وأحشاؤه هي نحوكم بالزيادة متذكراً طاعة جميعكم

كيف قبلتموه بخوفٍ ورعدةٍ" [١٥].

"أحشاؤه هو نحوكم بالزيادة" تعبير يكشف عن فرحه الشديد، سرّه طاعته للرسول بولس في الرب، وحبّه المتزايد نحوهم كرد فعلٍ لمحبتهم للرسول بولس. هذا بجانب قبولهم لتيطس في وقارٍ شديدٍ كمن له سلطان من قبل الرب المخوف.

يقول بولس الرسول أن ذهن تيطس وعاطفته كانا يهتمان بهم، إذ لاحظ تقدمهم، لأن ذهن القديس يهتم بكل ما هو صالح.

"أنا أفرح إذاً أني أثق بكم في كل شيء" [١٦].

واضح أن الرسول بولس مقتنع تماماً بصدق توبتهم، وقد انعكس فرح تيطس بهم على الرسول بولس ففرح بدوره واطمأنت نفسه في ثقة أنه لن تستطيع رياح التعاليم الكاذبة ولا مثيرات المعلمين الكذبة أن تهزمهم.

كان الرسول بولس مسروراً ليس فقط من أجل الحل الصالح للمشكلة، لكن أيضاً من أجل الأعمال الصالحة التي بها يصلحون ممارستهم السابقة القديمة. هذا هو السبب الذي لأجله كان له ثقة كاملة فيهم.

❖ ليست كثرة الخطايا هي التي تجلب اليأس للبشر، إنما فساد نيتهم...

ليس السقوط في ذاته خطيراً، إنما بالأحرى يكمن الخطر في البقاء في حالة السقوط!

الجرح في ذاته لا يميت، إنما بالأكثر إهمال الجريح للعلاج!

لا أقول هذا لكي تهملوا، إنما لكي تكفوا عن اليأس".

له أيضاً تعبير رائع في التشجيع على الجهاد في طريق التوبة والفضيلة بغير يأس: "عندما تبدأون في الإصلاح فإنكم وإن كنتم تعصون شريعتكم مرة ومرتين وثلاثاً وعشرين مرة، لا تيأسوا. قوموا من جديد، استعيدوا نشاطكم مرة أخرى فإنكم بالتأكيد منتصرون¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 1 Cor. Hom. 88.

من وحي ٢ كو ٧

احملني بالحب إليك،
فأحمل بالحب إخوتي!

❖ وعودك الإلهية تتلأل أمام عيني.

تُرى متى تتحقق في كمالها؟

متى ألتقي بك فتحملني إلى حبالك.

هناك أدرك بهاء قداستك!

قل كلمة فيهرب كل دنس من نفسي كما من جسدي.

قل كلمة فأتمتع مع إخوتي بالحياة المقدسة.

قل كلمة فنعيش جميعاً فيك يا أيها القدوس.

❖ سمّر خوفك في لحمي فأشتهي القداسة.

يدخل بي إلى حبك فأبلغ إلى أحضانك.

مخافتك هي طريق الحب!

مخافتك هي طريق القداسة!

❖ هب لي أن أخدم إخوتي.

لا أطمع إلا في حملهم إلى عرشك بروحك القدوس.

أحملهم بالحب، فأحيا معهم وأموت معهم

أرتدي ثياب الحب، ثياب الكهنوت الخفية.

بها أستطيع الدخول إلى قدس الأقداس.

ويدونها لن أقدر على اللقاء معك.

❖ هب لهم محبتهم لي.

يكرموني بتوبتهم لك، والتصاقهم بك.

أراهم في حضنك دوماً ينمون.

فتمتلئ نفسي ثقة وبقينا بخلصهم.

أفتخر بعملك في حياتهم.

تتسكب تعزيات الروح عليّ.
أفرح بالحق ولا يقدر حتى الموت
أن يحطم فرحي بهم!

❖ هب لي أن أتلمس حزن توبتهم.
يحزنون على خطاياهم، وأنا أحزن معهم.
أنا شريك معهم في الضعف.
ليفرحوا ببهجة خلاصهم،
فأشترك معهم في بهجتهم وأتَعَزَى.
بعمل روحك القدوس فيهم وفيّ.

❖ ليكون لي ولهم حزن التوبة المثمر.
أمد يدي فأقطف من شجرة التوبة.
ثمارًا هذه عذوبتها.
أقطف اجتهدًا في التمتع ببرك.
فيلتهب قلبي ثورة ضد الفساد.
أقتني مخافتك التي تحملني إلى حبك الإلهي.
يزداد شوقي إلى الشركة معك،
وحنيني إلى رؤياك.
أحمل غيرتك على مقدساتك.
أخيرًا أقتني أسلحة البرّ لأحطم إبليس عدوي الخطير.
هذه ثمار حزني المفرح!
هذا هو عمل روحك فيّ وفي كل شعبك.
الذي يهبنا تعزية سماوية، ويستريح هو فينا.
لأقطف مع كل شعبك ثمر التوبة،
فنسير معًا في موكب نصرتك.

الباب الرابع

خدمة القديسين

ص ٨ - ص ٩

خدمة القديسين

مع اهتمام الخادم بحياته الروحية وحياة الآخرين لا يتجاهل خدمة القديسين، لا كعطاء إنساني بحث بل كعمل روحي.

١. يسألهم الرسول أن يقدموا نفوسهم قبل مالهم (٨: ١-٨) "أعطوا أنفسهم أولاً للرب ولنا بمشيئة الله" (٨: ٥) .

٢. إنه ثمر عمل المسيح (٩: ١١)، فقد علمنا العطاء عملياً. "من أجلكم أفقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٨: ٩). صار السباق بينهم من يصير غنياً متمتعاً بفقر المسيح الاختياري.

٣. العطاء بسخاء: "لأن المعطي المسرور يحبه الله" (٩: ٧).

الأصحاح الثامن

السخاء في العطاء

إذ تحدث في الأصحاح السابق عن التعزيزات المتبادلة والفرح العظيم الذي غمر أهل كورنثوس بتوبتهم، وانعكاس هذا على الرسول بولس، تحدث عن الحب العملي تجاه فقراء أورشليم الذين عانوا الكثير بسبب اضطهادهم وحلول مجاعة بها وأيضًا بسبب الحروب؛ هذا وطلب منهم أن يقبلوا تلميذه تيطس ورفيقه.

إنه كرسول للأمم لم يتغافل عن احتياجات المسيحيين الذين من أصل يهودي، ولا حسب الخدمة في أورشليم ليست من اختصاصاته. إنه أب محب لكل البشر كسيده، شعر بالالتزام أن يحث المسيحيين من أصل أُممي للمساهمة بسخاء في تقديم احتياجات الكنيسة في أورشليم. في هذا الأصحاح يظهر الرسول اهتمامه الشديد بالفقراء أينما وجدوا، وليس فقط فقراء الكنائس التي يخدم فيها. كما أبرز ضرورة اختيار أناس موثوق في أمانتهم وإخلاصهم أمام الله والناس حتى لا يتعثر أحد فيهم أثناء خدمته الخاصة بالعطاء. كما سألهم أن يربطوا عطاء القلب بالمال، ويربطوا السخاء بالحكمة والاعتدال.

١. سخاء كنائس مكدونية ٦-١.
٢. دعوة للعطاء ٧-١٥.
٣. توصيته بتيطس ورفيقه ١٦-٢٤.

١. سخاء كنائس مكدونية

"ثم نعرفكم أيها الإخوة نعمة الله المُعطاة في كنائس مكدونية" [١].

انتهاز الرسول فرصة تقديم كنائس مكدونية، أي الكنائس في فيلبي وتسالونيكى وبيرييه وغيرها من منطقة مكدونية، العطاء بسخاء لحث أهل كورنثوس ومسيحيي أخائية للاقتداء بها. السخاء الذي اتسمت به هذه الكنائس ليس نابغًا عن جو من المنافسة، ولا حب الظهور، ولا لمجرد عاطفة بشرية مجردة، إنما هو ثمر نعمة الله التي تعمل في القلب، فيصير محبًا لا لإعطاء المال فحسب، بل ولبذل الذات. إنه عطاء خلال الحب الإلهي المنسكب في النفس. كل عطاء بل وكل فضيلة صالحة هي عطية أو نعمة من الله. أيضًا إنها نعمة الله هي التي

تحول حياتنا لكي تكون بناة ونافعة في حياة الآخرين.

يقول الرسول بولس أنهم يتقبلون نعمة الله، وأنهم قبلوا كلمة الإيمان بتقوى.

❖ الصدقة صناعة، حانوتها في السماء، ومعلمها ليس إنساناً بل الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نعمة الله يقصد بها بولس اقتناء كل عمل صالح. بقوله هذا لا يُسنتنى دور الإرادة الحرة، ولكن التعليم هنا هو أن كل عمل صالح يصير ممكناً بعون الله^١.

ثيودورت أسقف قورش

إذ تعمل النعمة الإلهية في قلب المؤمن تفتح قلبه بالحب لإخوته فيصير متشبهاً بالله.

❖ ليس شيء يجعلنا هكذا مقربين من الله وعلى شبهه مثل العمل الحسن^٢.

❖ الصدقة قوية وذات سلطان حتى تحل القيود والأغلال،
وتبدد الظلام،

وتخمد سعير نار جهنم،

وتؤهل فاعلها للتشبه بالله، لقوله: "كونوا رحماء كما أن أباكم الذي في السماوات هو رحوم"^٣.

❖ الرحمة بالآخرين فضيلة سامية، يُسر الله بها. وهي صفة عالية تتسم بها النفوس الصالحة وتزيدها فخراً ونبلاً. إنها من صفات الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عملان للرحمة يجعلان الإنسان حراً: اغفر يُغفر لك، أعطِ فتتال.

❖ ماذا يشحذ منك الفقير؟ خبزاً. ماذا تشحذ من الله؟ المسيح القائل: "أنا هو الخبز الحي النازل من السماء".

❖ إن أردت أن تطير صلواتك مرتفعة إلى الله، هب لها جناحين: الصوم والصدقة^٤.

^١ PG 82:422.

^٢ In Rom., hom. 19.

^٣ الحب والعطاء، ١٩٧٠، ص ١٨.

^٤ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 37.

القديس أغسطينوس

"إنه في اختبار ضيقة شديدة

فاض وفور فرحهم وفقدهم العميق لغنى سخائهم" [٢].

مع أن مسيحيي مكثونية فقراء ومضطهدون، يعانون من الضيق لكنهم أغنياء للغاية في البهجة والفرح أنهم وجدوا فرصة سانحة للعطاء للإخوة في ضيقة أشد، أكثر فقرًا واضطهادًا. هكذا خلال نعمة الله تشعر الكنائس الفقيرة والتي في محنة بالالتزام أن تسند الكنائس التي أكثر منها فقرًا أو ضيقًا. بمعنى آخر لا يُعفى مسيحي من العطاء، لأنه يئن مع أنات من هم أكثر منه تعبًا واحتياجًا.

العطاء بسخاء يُولد وفورًا من الفرح الداخلي. فإذا يُعطي الإنسان مما لديه تفتح أبواب قلبه ليتقبل عطايا السماء السخية المُقدّمة له.

بالرغم من أن المكثونيين كان لديهم عجز في المصادر المادية كانت نفوسهم غنية، إذ هم يخدمون القديسين بضمير طاهر، محاولين أن يُرضوا الله لا الناس.

❖ هذا هو علو التسبيح، لأنه في الأحزان يبقون في سلام، وفي أعماق الفقر يعطون بسخاء مما لديهم^١.

ثيودورت أسقف قورش

❖ من له نفس رحيمة يكون كمن له كنز من البركات، إذ تكون ينبوعًا لاحتياجات اخوته ومصدر تمتع بكل المكافآت التي أعدها الإله^٢.

❖ الرحمة تُصعد الإنسان إلى علو شامخ، وتعطيه دالة بليغة عند الله^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنت حزينًا وأنت تعطي فأنت تفقد كلاً من الخبز والاستحقاق، لأن الله يحب المعطي المسرور^٤.

القديس أغسطينوس

¹ PG 82:422-423.

² In Rom. Hom. 19.

³ الحب والعطاء، ١٩٧٠، ص ١٩.

⁴ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 37.

"لأنهم أعطوا حسب الطاقة،

أنا أشهد وفوق الطاقة،

من تلقاء أنفسهم" [٣].

في سخائهم لم يضعوا قاعدة للعطاء كأن يقدموا العشور أو أكثر، إنما كانوا يشعرون بالرغبة في تقديم كل ما يمكنهم تقديمه، بل وافقوا حتى هذا المبدأ. قدموا أنفسهم لله بكل قلوبهم، وقدموا لهم من أعواضهم، أكثر فأكثر فوق طاقتهم، متشبهين بالأرملة التي قدمت الفلسين، وهما كل ما كانت تملكه.

"ملتسمين منا بطلبة كثيرة

أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين" [٤].

الرسول في أبوته الحانية رفض مثل هذا العطاء بالرغم من احتياج كنيسة أورشليم، لأنه فوق طاقتهم. ألهم هذا التصرف بالأكثر قلوبهم ليصروا على العطاء، فصاروا يتوسلون إليه بالحاح لكي يقبل العطية، حاسبين في ذلك نعمة ينالونها من قبل الله وشركة في خدمة القديسين. كان إصرارهم بثقة كاملة في الإيمان وبذهن نقي متطلعين إلى المكافآت السماوية مما جعل الرسول يقبل عطاياهم في النهاية.

"شركة الخدمة التي للقديسين": بالعطاء نعلن عن عضويتنا العاملة في جسد المسيح المقدس. ما نقدمه للمحتاجين هو عطاء للرأس الذي يهتم بكل أعضاء جسده المقدس.

❖ بقدر ما يكون الإنسان من "الأصاغر" هكذا بالأكثر يأتيك المسيح خلاله، لأن من يعطي إنساناً عظيماً يفعل هذا بزهو، أما من يقدم للفقراء فبنقاوة يفعل هذا من أجل المسيح^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وليس كما رجونا،

بل أعطوا أنفسهم أولاً للرب ولنا بمشيئة الله" [٥].

لم يكن ينتظر بولس الرسول مثل هذا العطاء العجيب فإنهم ليس فقط قدموا ما هو فوق طاقتهم، بل أعطوا أنفسهم للرب وللرسول ومن معه حسب مشيئة الله. قدموا أنفسهم أولاً للرب، وأذ رأوا في مشيئة الله أن يقدموها لخدمته حققوا هذه المشيئة الإلهية لحساب مجد الله. لن نقبل العطية ما لم تقدم أولاً للرب وحسب مشيئته ولمجد اسمه القدوس، مقدمين أنفسهم أو قلوبهم قبل ممتلكاتهم.

¹ In Acts hom., 45.

❖ الكلمات "ليس كما توقعنا" تشير ليس فقط إلى رغبة المكدونيين في العطاء، بل وإلى كمية العطاء^١.

ثيودورت أسقف قورش

"حتى أننا طلبنا من تيطس أنه كما سبق فابتدأ
كذلك يتم لكم هذه النعمة أيضًا" [٦].

بدأ تيطس خطة الجمع لأهل أورشليم حين كان قبلاً في كورنثوس. وكانت الكنيسة هناك قد قبلته بتكريم عظيم، وشعر الكل بحبه لهم. الآن يرسله الرسول لكي يتم هذه المهمة الخاصة بنعمة العطاء.

❖ حسناً يشير إلى العطاء فيدعوه نعمة (٢ كو ٨: ٦) ... فإنه صلاح عظيم وعطية من الله... هذه النعمة أعظم من إقامة الموتى. فإن اطعام المسيح وهو جائع أعظم بكثير من إقامة الموتى باسمه... فعند عمل آيات تكون أنت مديناً لله، وفي تقديم العطاء تجعل الله مديناً^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. دعوة للعطاء

"لكن كما تزدادون في كل شيء:

في الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبتكم لنا،

ليتكم تزدادون في هذه النعمة أيضًا" [٧].

يشجعهم الرسول من أجل مواهبهم وتقدمهم، طالباً منهم أن يضموا إليها نعمة العطاء. أظهر فيض هذه النعم عليهم مبتدئاً بالإيمان ويختمها بمحبتهم للرسول والخدام، وكأنه يقول لهم بأن لديهم إمكانيات التمتع بهذه النعمة الخاصة بالعطاء، مادام لديهم وفرة من الإيمان وأيضاً الحب. فالإيمان هو مصدر النعم خاصة إن اتحد بالكلام أي بالتعليم، والعلم والمعرفة، والاجتهاد. تحمل كنيستهم كنوز الشهادة الحية مع المعرفة الصادقة لإرادة الله والمثابرة للنمو في ملكوت الله، فماذا بعد ينقصهم؟ لقد تأهلوا عملياً للعطاء كما يليق. إنهم أغنياء في الإيمان والحب مع المعرفة الروحية الصادقة، وتأهلوا لميراث الملكوت، هذا يدفعهم للعطاء للمضطهدين من أجل الملكوت والمحتاجين.

"لست أقول على سبيل الأمر،

¹ PG 82:423.

² In 2 Cor. hom 16. PG 61: 556.

بل باجتهاد آخريْن مختبرًا إخلاص محبتكم أيضًا" [٨].

لم يُرد أن يصدر أمرًا بالعطاء ولا أن يضع حدودًا معينة، مُعطيًا لهم الفرصة لكي يظهر كل واحد حبه الداخلي الذي يسمو فوق كل قانون مُلزم. قانونهم في العطاء هو حبهم الخالص وقلوبهم المتسعة ومعرفتهم الصادقة لمشينة الله، وإرادتهم المقدسة الحرة. أما المثل العملي أمامكم فهو غير الآخريْن (كنائس مكثونية) واجتهادهم، لا بل السيد المسيح نفسه، إذ يقول:

"فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح

أنه من أجلكم افتقر وهو غني

لكي تستغنوا أنتم بفقره" [٩].

من غنى نعمته أنه وهو الغني، خالق الكل، من أجلنا افتقر، حيث أخلى نفسه وصار في شكل العبد، وأطاع حتى الموت موت الصليب، حتى بفقره الإرادي هذا نتمتع بحبه، ونغتني بنعمته فيصير لنا حق الشركة معه في الميراث الأبدي.

❖ صار الرب فقيرًا لكي يعطي راحة للفقراء. صار مع البشر فقيرًا حتى لا يبأس أحد من الخلاص بسبب فقره^١.

القديس جيروم

❖ إن كنت تتمثل بالله قدر إمكانية طبيعتك، فستلبس أنت نفسك الشكل الطوباوي^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ من بين البشر يعرف كل كنوز الحكمة والمعرفة المخفية في المسيح ومحتجبة في فقر جسده؟ مع كونه غنيًا صار فقيرًا من أجلنا حتى بفقره نغتني. عندما لبس قبولنا للموت قتل الموت، ظهر في فقرٍ لكنه وعدنا بالغنى الذي أرجأه فقط، إنه لم يفقد الغنى الذي أخذ منه^٣.

القديس أغسطينوس

❖ ليس شيء يثير النفس العظيمة الحكيمة (الفيلسوفة) لإتمام الأعمال الصالحة مثل تعلمها بأنها بهذا تتشبه بالله. أي تشجيع يعادل هذا؟ لا شيء! هذا يعرفه بولس تمامًا عندما حثهم على

¹ On Ps. Hom. 35.

² The Beatitude, sermon 1. (ACW)

³ Sermons for Christmas and Epiphany (ACW), 12:3.

التواضع^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أعطي رأيًا في هذا أيضًا،

لأن هذا ينفعم أنتم الذين سبقتم فابتدأتم منذ العام الماضي،

ليس أن تفعلوا فقط بل أن تريدوا أيضًا" [١٠].

لا يتحدث كمن يصدر أمرًا بل كمن يعطي مشورة، وهي أنكم قد بدأت هذا العمل منذ عام فيليب بكم أن تكملوه بالعمل مع المسرة.

بقوله "تريدوا" *thelein* هنا تتمموا العمل مع الإرادة، أو المسرة. عملهم يشبه برعمًا قد نبت لكن يحتاج إلى اهتمام وتكملة حتى لا يموت.

"ولكن الآن تمموا العمل أيضًا

حتى إنه كما إن النشاط للإرادة

كذلك يكون التتميم أيضًا حسب ما لكم" [١١].

لا يتجاهل الرسول إرادتهم الصادقة للعمل، لكن يليق بكل شخص أن يعمل قدر المستطاع، فإن الإرادة ينقصها العمل. العمل بغير إرادة جادة تنزع عن النفس الفرح والبهجة، والإرادة بغير عملٍ جاد تقتل ما هو صالح فيها.

"لأنه إن كان النشاط موجودًا

فهو مقبول على حسب ما للإنسان

لا على حسب ما ليس له" [١٢].

إن كانت الإرادة قائمة ونشطة تصير مقبولة لدى الله إن تُرجمت إلى عملٍ جادٍ قدر ما يستطيع المؤمن، حسب ما لديه دون إن يقدم مما هو ليس ملكه، كأن يسلب حق والديه عليه أو حق أولاده وزوجته تحت دعوى العطاء.

"فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق" [١٣].

فلا يقدم الإنسان للآخرين حتى يصيروا في حالة ترف بينما تنن أسرته من العوز. يلزمه أن يكون حكيماً في عطائه، فيرتبط الحب بالحكمة.

"بل بحسب المساواة،

¹ In Pilpp., hom. 6

لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لأعوازهم،

كي نصير فضالتهم لأعوازكم، حتى تحصل المساواة" [١٤].

بحكمة يقدم الشخص مما يفضل عنه ليقدم الضروريات للغير، كما يقبل من الغير ما يفضل عنهم لإشباع ضرورياته. فيوجد نوع من المساواة. لقد سمحت العناية الإلهية بوجود نوع من عدم التساوي في ما يمتلكه الأشخاص، لكي تفتح الباب لممارسة الحب عملياً بالعطاء المتبادل بين البشرية.

❖ كيف تكون المساواة؟ أنتم وهم تقدمون من فضلات كل منكم وتشبعون احتياجات الآخر. وأي نوع من المساواة هذا: تقديم الروحيات مقابل الجسديات؟ فإنه من هذا الجانب أسمى من الآخر، فلماذا يدعو ذلك مساواة؟ إما بسبب الفيض والاحتياج، أو يقول هذا بخصوص الحياة الحاضرة فقط. لهذا السبب بعد قوله "المساواة" أضاف "في الحياة الحاضرة". الآن يقول هذه الأمور لكي يصد الأفكار المتشامخة التي للأغنياء، ولكي يُظهر أنه بعد رحيلنا من هنا سيكون للأمور الروحية فضل أعظم. هنا نتمتع بالمساواة، وأما هناك فسيوجد تمييز أعظم وتفوق عظيم عندما يضيء الأبرار أكثر بهاءً مما للشمس^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يقدم عوناً مؤقتاً للذين لهم مواهب روحية إنما يحسبون شركاء في المواهب الروحية. فإنه وإن كان الذين لهم مواهب روحية قلة قليلة، بينما كثيرون لديهم الأمور الزمنية بفيض، فإنه بهذه الوسيلة يمكن لمن لهم ممتلكات أن يشتركوا في فضائل المحتاجين، بأن يقدموا مما يفضل عنهم للفقراء المقدسين^٢.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"كما هو مكتوب الذي جمع كثيراً لم يفضل،

والذي جمع قليلاً لم ينقص" [١٥].

يشير هنا إلى ما ورد في سفر الخروج (١٦: ١٨) حيث جمع بنو إسرائيل من المن في الصباح قبل الدفء، فالذين أكثروا في الجمع لم يكثر، وما تبقى منه إلى اليوم التالي فسد، ومن جمع أقل أكل هو وأسرته وشبعوا ولم يشعروا بالحاجة إلى طعام أكثر. هكذا إذ نعطي أو نأخذ، بالعطاء لا نصير في عوز، وبالأخذ لن يصير لنا ما يفضل عنا، لأننا حتماً نترك كل ما لدينا.

¹ In 2 Cor. hom 17. PG 61: 560.

² On the Mystical Church PL 76:1159-1170.

٣. توصيته بتيطس ورفيقه

"ولكن شكرًا لله

الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس" [١٦].

ما يشغل قلب بولس يشغل قلب تيطس تلميذه، فقد انطلق من نفسه إلى كورنثوس ليحثهم على العطاء. هنا يقدم الرسول ذبيحة شكر لله الذي وضع في قلب تيطس ما وضعه في قلبه نحوهم.

"لأنه قبل الطلبة،

وإذ كان أكثر اجتهادًا،

مضى إليكم من تلقاء نفسه" [١٧].

لم يتضايق الرسول لأن تيطس تحرك من نفسه للعمل، بل فرح به، وشكر الله الذي عمل في قلب تلميذه كما في قلبه هو. لقد أوصاه الرسول بالذهاب إليهم فوجد أنه كان قد وضع في قلبه أن يفعل ذلك قبل أن يسأله.

"وأرسلنا معه الأخ الذي مدحه في الإنجيل في جميع الكنائس [١٨].

يرى البعض إن هذا الأخ الذي طلب منه الرسول مرافقة تيطس هو لوقا البشير. هذا الأخ يعرفه كثيرون خلال خدمته، ويمتدحونه في كنائس كثيرة. البعض يرى أن هذا الأخ هو سيلا أو برنابا أو مرقس أو أبلوس. على أي الأحوال كان الشخص معروفًا جدًا للكنيسة في كورنثوس، ورفيقًا للرسول بولس في خدمته، إذ يقول:

"وليس ذلك فقط،

بل هو منتخب أيضًا من الكنائس،

رفيقًا لنا في السفر مع هذه النعمة المخدمة منّا،

لمجد ذات الرب الواحد ولنشاطكم" [١٩].

إنه خادم موثوق فيه يعمل لحساب ملكوت الله ولنمو الكنيسة في كورنثوس.

بقوله: "منتخب من الكنائس، رفيقًا لنا في السفر" تكشف أن الرسول بولس كان يقدر رأي الجماعة حتى في اختيار من يرافقه في رحلاته التبشيرية.

❖ يبدو لي أنه يشير إلى برنابا بكونه هذا الشخص... ولكن ما هذا: "هذه النعمة المخدمة منا"؟ يقصد لكي يعلن الكلمة ويكرز بالانجيل، أو لكي يخدم في أمور المال. نعم بالأحرى يبدو أنه

يشير إلى كليهما^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"متجنين هذا:

أن يلومنا أحد في جسارة هذه المخدمة منا" [٢٠].

كان الرسول يهتم جدًا ألا يتعثر أحد فيه أو في من يعمل معه، فكان العاملون معه مختارين من الكنائس، لهم سمعتهم الحسنة وسلوكهم غير الملو، خاصة وأنه في هذه الخدمة يأتمن الشخص على فيض كبير من العطاء، فلا يسمح لأحد من الأشرار أن يشوه سمعة الخادم أو يتهمه بالطمع أو الخيانة.

"معتنين بأمور حسنة،

ليس قدام الرب فقط،

بل قدام الناس أيضًا" [٢١].

لا يكفي الخادم أن يكون مشهودًا له من الله فقط العارف بالخفايا وإنما من الناس أيضًا حتى لا يتعنثوا في الكنيسة.

❖ بينما يناضل (الرسول) من أجل الحياة المستقيمة اهتم أن يدافع عن سمعته الصالحة أيضًا، معتنيًا بأمور حسنة في نظر الله والناس. يخشى الله ويرعى الناس. في نفس حديثه يفضل أن يُسر الآخرين بالأعمال أكثر من الكلام، حاسبًا إن الشيء يُقال عنه حسنًا إن كان متفقًا مع الواقع العملي، وأن المعلم يلزمه أن يضبط الكلمات، ولا يسمح للكلمات أن تتحكم فيه. هذا ما يقوله: "لا بحكمة الكلام لئلا يتعطل صليب المسيح"^٢.

القديس أغسطينوس

"وأرسلنا معهما أخانا الذي اختبرنا مرارًا في أمور كثيرة أنه مجتهد،

ولكنه الآن أشد اجتهادًا كثيرًا بالثقة الكثيرة بكم" [٢٢].

رافقهما خادم ثالث يعرفه الرسول بولس ويثق جدًا في غيخته ومحبه وأمانته، وقد زادت غيخته ونشاطه عندما أعلن أهل كورنثوس ثقتهم هم أيضًا فيه. كما أن الخادم الأمين يلهب قلوب شعب الله للعمل، فإن ثقة الشعب بالخادم تدفع الخادم للعمل بأكثر قوة واجتهاد. علاقة الراعي بالرعية علاقة

¹ In 2 Cor. hom 18. PG 61: 565.

² On Christian Doctrine, 4:28 (61).

متبادلة، كل منهما يسند الآخر. يقال أن الخادم الثالث هو أبلوس.

"أما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معي لأجلكم،

وأما أخوانا فهما رسولاً الكنائس ومجد المسيح" [٢٣].

ختم حديثه بخصوص هذه الإرسالية للجمع بمدح الجميع، تيطس كشريك معه في الخدمة (مع أنه تلميذه) والرسولين الأخوين هما رسولاً الكنائس ليعملا لمجد المسيح، غالباً لوقا وأبلوس الرسولان.

"فبينوا لهم وقدام الكنائس بينة محبتكم،

وافتخارنا من جهتكم" [٢٤].

بعد أن مدح هؤلاء القادمين إليهم سألهم أن يترجموا محبتهم لهم عملياً حتى يفتخر الرسول بأهل كورنثوس كشعب محب لخدام المسيح الأمناء.

❖ بالكلمات المقدسة "قدام الكنائس" يقصد لمجد الكنائس أو كرامتها. فإن كنتم تكرمونها فأنتم تكرمون الكنائس التي أرسلتها. فلا تعبر الكرامة إليهما وحدهما بل وإلى الذين أرسلوهما، الذين ساموهما، وما هو أكثر من هذه لمجد الله. فاننا إذ نكرم الذين يخدمونه، فإن السيرة الحسنة والمديح يعبران إليه، وإلى الجسد العام للكنائس^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يكن إيليا خادم الرب في حاجة إلى خدمة الناس، إذ أرسل له الرب الغراب ومعه الخبز واللحم (١ مل ١٧: ٤-٩). لكن لكي تتبارك الأرملة التقية أرسل لها الرب إيليا. وهذا الذي كان يطعمه الرب سرّاً أطعمته الأرملة التقية. وقد أعلن الرب جزاء هذه الخدمة "من يقبل باراً باسم بار فأجر بار يأخذ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره" (مت ١٠: ٤١-٤٢).

القديس أغسطينوس

¹ In 2 Cor. hom 18. PG 61: 567.

من وحي ٢ كو ٨

قلبي بين يديك،
هب له حب العطاء!

- ❖ نزلت إليَّ يا أيها الغني،
لكي أقنتيك في داخلي!
افتقرت من أجلي، لكي أتجاسر وأتحد بك.
أتمتع بك، فتهبني شركة سمائك.
تعطيني من حياتك المُقامة، فأغتني بك أبدياً.
- ❖ من يفتح قلبي بالحب، فيجد مسرته في العطاء؟
نعمتك يا أيها الغني تهبني الحب.
لتحمل قلبي إلى سمائك المتسعة،
وليشكله روحك الناري فيصير أيقونتك،
يتسع جداً وبصير سمائياً، فيفيض بالعطاء بسرور.
- ❖ نعم، نعمتك هي تشكل أعماقي.
تحوّل قلبي الحجري إلى قلب سماوي.
تجعلني مقرباً إليك، ومتشبهاً بك.
تحل قيود محبتي للعالم الضيق،
وتحطم متاريس أناانيتي.
- ❖ هوذا إرادتي بين يديك، قدسها.
تتناغم مع إرادتك إذ تعمل حسب نعمتك.
- ❖ أجد لذتي في العطاء، متشبهاً بك يا صانع الخيرات.
وأحسب كل ما بين يدي ملكاً لك،
أوكلنتي عليه لحساب كل بشرٍ.
فلا أكون كفٍ يغلق على الطعام ولا يسلمه للمعدة وبقيّة الأعضاء،
يُصاب الفم بالعفونة ويحطم معه الجسم كله،

ما أوزعه هو ملك الكل، لا فضل لي عليهم.

❖ اقبل عطاء نفسي لك مع كل عطاء لإخوتي.

هب لي روح البهجة مع العطاء،

فأختبر عربون تهليل السماء

❖ مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ،

فمع كل عطاء أراك تهنيي التمتع بحضرتك.

مع كل عطاء تفيض مخازن قلبي بالخيرات.

الأصحاح التاسع

التشجيع على العطاء

خشي الرسول لئلا يسيء البعض فهم الأصحاح السابق فيحسبونه أنه يتهم الكنيسة بالبخل وعدم العطاء، لذا يقدم هنا عذرًا عن غيرته في حثهم على ممارسة هذه النعمة (١-٥). استطراد الحديث فقدم توجيهات عن العطاء المقبول وكيفية ممارسته.

١. اعتذار لحثهم على العطاء ٥-١.
٢. العطاء بسخاء ٦.
٣. العطاء بسرور ٧.
٤. النمو في العطاء ٨-١٠.
٥. العطاء وذبيحة الشكر ١١-١٥.

١. اعتذار لحثهم على العطاء

"فإنه من جهة الخدمة للقديسين

هو فضول مني أن أكتب إليكم" [١].

مع ما اتسم به الرسول بولس من الصراحة في كتاباته سواء للأفراد أو الكنائس، لكنه خلال الحب يلفظ من مشاعر سامعية ويشجعهم قبل أن يكشف عن جراحاتهم ويوبخهم. هنا يحسب ما كتبه في رسالته الأولى بخصوص حثهم على العطاء هو نوع من الفضول، لأنهم محبوبون للعطاء، ومدركون لأهميته، فما كان يليق به أن يذكرهم بهذه الفضيلة. وهو يكتب هكذا معتذرًا يشجعهم بطريقه غير مباشرة للعطاء بأكثر سخاء ويُشعرهم بأنهم يمارسونه، ليس خلال حثه لهم، بل خلال مسرتهم بالعطاء. إنه يقتدي بالسيد المسيح في حديثه مع سمعان بطرس بعد القيامة (يو ٢١: ١٥-١٧)، فهو يعلم ما في قلب تلميذه من حب له، لكنه كرر السؤال ثلاث مرات: "أتحبي؟" يبدو هذا التكرار كنوع من الفضول، لكنه بالحق قدم دفعة قوية لعودة الرسول إلى عمله الرعوي المملوء حبًا.

❖ نطق بولس بذلك لكي يريح أهل كورنثوس إلى جانبه. فقد ظن بعض ممن لهم شهرتهم أنهم لم يكونوا في حاجة إلى نصيحة. إذ كانوا يخلون من الظهور بأنهم أقل من غيرهم. لا يريدون أن

يظهروا أمام الآخرين أنهم مقصرون^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنني أعلم نشاطكم الذي أفتخر به من جهتكم لدى المكدونيين،
أن أخائية مستعدة منذ العام الماضي،
وغيرتكم قد حرضت الأكثرين" [٢].

في الأصحاح السابق قدم مكدونية مثلاً رائعاً في ممارسة العطاء بطريقة فائقة؛ هنا يقدم أخائية التي عاصمتها كورنثوس بأنها بدأت فألهبت قلوب الكل للعمل. كما بدأوا بغيرة يليق بهم أن يكملوا الطريق.

❖ قدم بولس أهل مكدونية إلى أهل كورنثوس، وأهل كورنثوس لأهل مكدونية كأمثلة يحتذون بها^٢.
ثيودورت أسقف قورش

"ولكن أرسلت الإخوة،
لئلا يتعطل افتخارنا من جهتكم من هذا القبيل،
كي تكونوا مستعدين كما قلت" [٣].

يؤكد لهم الرسول أنهم موضوع فخره واعتزازه، ليس في أعماقه فحسب، بل وأمام الآخرين. يتحدث مع شعبه بكل توقير وتقدير لمشاعرهم، فيعتذر على حثهم على العطاء بمهارة عجيبة، حتى أنه وهو يعتذر يحثهم أكثر على ممارسته بفكر إنجيلي سليم. كأنه يقول لقد كتبت ما فيه الكفاية بخصوص هذا الأمر ولا حاجة لكم أن تقرأوا أكثر عنه. كان الرسول على علم بأن كل منطقة أخائية وليس فقط كورنثوس كانت تستعد منذ العام السابق أن تساهم في مساندة القديسين الفقراء المتألمين وأنه يفخر بهذه الغيرة التي ألهمت قلوب الكثيرين للاقتداء بهم، ربما من بينهم كنائس مكدونية.

"حتى إذا جاء معي مكدونيون ووجدوكم غير مستعدين
لا نخجل نحن،

حتى لا أقول أنتم في جسارة الافتخار هذه" [٤].

يبدو كمن يعتذر على إرساله تيطس والأخوين معه في هذا الشأن. لكنه يبرر ذلك بأن الوقت قد حان لتقديم العطية بسرعة وبسخاء. لقد افتخر بعملهم فيخشى من التأخير فيتعطل افتخاره بهم ويصير

¹ In 2 Cor. hom !9:1.

² PG 82: 430.

في عارٍ أمام المكذوبين. لقد عرف أن بعض المكذوبين ربما يحضرون معه فإن كان الجمع لم يكن يعد قد تحقق يصير في خجل، ويسبئون إلى سمعته، لأن ما أفتخر به لم يكن حقًا.

"فأريت لازمًا أن أطلب إلى الإخوة،

أن يسبقوا إليكم ويهيئوا قبلاً بركتكم التي سبق التخبير بها،

لتكون هي مُعْدَةٌ هكذا،

كأنها بركة لا كأنها بخل" [٥].

يترجم البعض كلمة "بخل" هنا في اليونانية بالطمع. فيرى البعض أن بعضًا من أهل كورنثوس بعد أن جمعوا في العام السابق بدأوا يدعون بأن الجمع يقوم على أساس الطمع، لذا وجههم الرسول لإدراك أن العطاء بركة لمن يعطي، فهو المنتفع. وربما عني الرسول أنه قد تم بالفعل الجمع لكن لم تكن مشاعر الذين قدموا العطية مهيأة للعطاء بمفهوم نوال البركة فقدموا بالشح وليس بسخاء.

❖ لقد أراد منهم أن يساهموا بسخاء ويمحض اختياريهم. يقول "البركة معدة، بكونها بركة وليست ابتزازًا". بدأ أولاً بما هو أكثر بهجة وإنارة وهو أنه ليس عن ضرورة إذ "هي بركة". تطلع أنه في حثه يشير للحال إلى الثمرة التي تصدر عنها، فالعطاء مملوء بركة^١.

❖ يضيف "وليس ابتزازًا" ما يقوله هو: لا تظنوا أننا نأخذ العطاء كمبتزين، وإنما لنصير علة بركة لكم. لأن الابتزاز يصدر بغير إرادة حتى أن من يعطي الصدقة يقدمها بغير إرادته كابتزاز منه. عبر بعد ذلك إلى العطاء بسخاء^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. العطاء بسخاء

"هذا وإن من يزرع بالشح فبالشح أيضًا يحصد،

ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد" [٦].

كثيرًا ما يفهم اليهود الزرع بمعنى العطاء، فيفسرون ما ورد في إشعياء: "طوباكم أيها الزارعون على كل المياه" (إش ٣٢: ٢٠) بمعنى طوبى للذين هم مستعدين أن يقدموا عونًا لكل محتاج. من

¹ In 2 Cor. hom 19. PG 61: 573.

² In 2 Cor. hom 19. PG 61: 573.

يظهر رحمة لأخيه يظهر الله رحمته له.

مبدأ رئيسي عام أنه لا يستطيع أحد أن يحصد إلا ما يناسب ما زرعه. فالعطاء أشبه ببذور تُزرع وتأتي بحصاد، فمن يزرع بسخاء ينال حصادًا لائقًا به.

❖ لم يقل "بسخاء" بل "ببركة" وهي أعظم بكثير من الأولى^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ على أي الأحوال لا يوجد طريق أكثر أمانًا من أن يخزن الشخص نصيبًا من مصادره في أفواه الفقراء^٢.

❖ في وضوح، إذ نعين البؤساء نعطي لأنفسنا. توزيع مصادرها هو مكسبنا. فإنك يجب أن تضع في اعتبارك المكافأة المقبلة فإن كل ما تعطيه للفقراء يُحسب ربحًا^٣.

لذلك، إن كان الذي يزرع بالشح فبالشح يحصد كما ترون، هكذا من يوزع قليلًا ينال القليل، من لا يزرع شيئًا لا يخزن شيئًا... هكذا إن أردنا أن نجعل حصادًا من الفرح فلنزرع الآن بفيض بدموعنا^٤.

الأب فاليريان

❖ إذا يقول الرسول نفسه: "الآن أقول أن من يزرع بالشح... يلزمكم أن تفهموا أن "الآن" هو الزمن"، أي مادمنا في هذه الحياة، فلنسرع بغيرة ونقتني عطية الحياة الأبدية، فإنه إذ ينتهي العالم فإن هذه العطية تقدم فقط للذين اقتنوها لأنفسهم بالإيمان قبل أن يكونوا قادرين على رؤيتها^٥.

القديس أغسطينوس

❖ لنزرع تلك البذور الصالحة بسخاء حتى نحصد في الوقت المناسب بسخاء الآن هو وقت للزرع، حيث أسألكم ألا تتجاهلوا، حتى يمكننا في زمن الحصاد أن نجعل ثمار ما زرعناه هنا، ونستمتع بالحنو المترفق من قبل الرب^٦.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 2 Cor. hom 19. PG 61: 573.

² Homilies, 13:7.

³ Homily 8:2 (Frs. of the Church).

⁴ Homily 9:1 (Frs. of the Church).

⁵ Letter, 268.

⁶ In Gen. Hom., 43:8.

٣. العطاء بسرور

"كل واحد كما ينوي بقلبه،

ليس عن حزن أو اضطرار،

لأن المعطي المسرور يحبه الله" [٧].

لا يكفي أن يقدم الإنسان بسخاء متطلعاً أن ما يفعله هو بركة له، سيحصل ما يفعله، وإنما يقدم بقانون الحب، ألا وهو قدر ما يستطيع بفرح وبهجة قلب. ما يفعله يخرج من قلبه ويكمل إرادته ومن كل مشاعره وأحاسيسه. فلا يقدم بروح التذمر ولا تحت ضغط خارجي، وليس بحوارٍ وجدالٍ. وكما جاء في سفر إشعياء: "وأنفقت نفسك للجائع، وأشبعْتَ النفس الذليلة، يشرق في الظلمة نورك، ويكون ظلامك الدامس مثل الظهيرة، ويقودك الرب على الدوام، ويشبع نفسك في الجذوب (القحط)، ينشط عظامك فتصير كجثة ربا، وكنع مياه لا تنقطع مياهه" (إش ٥٨: ١٠-١١).

كان لدى اليهود في الهيكل صندوقان للعطاء أحدهما يُدعى *Shel Chuwbah* صندوق الضروريات فيه يقدم الشخص ما يلزمه به الناموس، والآخر *Shel Nedabah* صندوق العطاء بكامل الحرية حيث يُعطي الشخص ما لا يلزمه الناموس بكامل إرادته. فالبعض كانوا بالكاد يقدمون ما يلزمهم به الناموس عن ضرورةٍ وبحزنٍ، والآخرين يقدمون بسخاء أكثر مما يتطلب الناموس، يقدمونه بفرح من أجل الله وخلال محبتهم للمحتاجين. هنا لا يتحدث عن الفريق الأول الذي يقدم العطاء عن ضرورةٍ إنما يتحدث عن الفريق الثاني فيقول "يحبه الله". الفريق الأول يفقدون بركة نعمة العطاء خلال شعورهم بالالتزام مع حزن القلب. إنهم يرون في العطاء فقداناً لما يملكونه ويقدمونه. الفريق الثاني يري في العطاء دفن لما يقدمونه كي ينتج حصاداً أعظم بكثير من البذور التي اختفت. الفريق الأول يرون في العطاء محاولة تهدئة غضب الله، أما الثاني فيرون فيه حباً فائقاً ومشاركاً بينهم وبين الله. عطاؤهم موضع سرور الله، هذه المسرة لا تعادلها أية خسارة مادية مهما بلغت قيمتها.

إذاً نعطي بسرور نقدم مع العطاء قلباً متهللاً، نحصد هذا التهلل مضاعفاً حين نلتقي بعريس نفوسنا في يوم الفرح الأبدي.

ولما كان العطاء أمراً جوهرياً في حياة المؤمن تحدث كل آباء الكنيسة تقريباً عن العطاء مباشرةً أو غير مباشرةً.

لم يتوقف القديس يوحنا الذهبي الفم عن إبراز بركات العطاء الروحية، إذ تقيم من البشر أيقونة

لحنو الله^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ويعتبر القديس باسيليوس الكبير أن البخيل في العطاء هو لص: "ألست طماعًا ومحباً للمال عندما تحتفظ لنفسك ما قد تسلمته لتعطيته للخدم؟"^٢

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله عن "الصدقة" بأن الله حين أمر بالصدقة لم يقدم الوصية من أجل المحتاجين فقط، بل ومن أجل مقدمي العطية أنفسهم. لهذا لم يتحدث الرسول إشباع احتياجات المساكين فحسب، وإنما عن "السرور في العطاء" لنفع مقدمي العطايا، ليتمتعوا ببركات الفرح في هذا الدهر وفي الدهر الآتي^٣.

ويقول الأب مكسيموس أسقف Turin بأنه شتان ما بين من يقدم الضريبة لقيصر في حزنٍ تحت التزام القانون قهراً، وبين من يقدم عطاء للمسيح بسرور. الأول يلتزم بالعطاء في حزنٍ من أجل الخوف، والثاني يجد مسرته في العطاء من أجل الحب. الأول يخشى العقوبة، والثاني يترقب المكافأة السماوية^٤.

٤. النمو في العطاء

"والله قادر أن يزيدكم كل نعمة،

لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء،

تزدادون في كل عمل صالح" [٨].

ليس من دليل يجعلنا نفقد الثقة في وعد الله من جهة العطاء، فهو أمين في مواعيده، قادر على تحقيقها. يقدم لنا ما يشبع احتياجاتنا، يفيض ببركاته علينا، ويهبنا أيضاً عمل الصلاح.

❖ لاحظوا كيف أن بولس لا يصلي من أجل الغنى والفيض، وإنما يكتفي بالصلاة من أجل ما يكفي للحياة. إنه يطلب نفس الأمر للكورنثيين... يطلب لهم أن يكون لهم الكفاف في أمور العالم، ولكن فيض عظيم من البركات الروحية^٥.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ Homilia de paenitentia seu de eleemosyna. PG 49: 291- 300.

² St. Basil: De eleemosyna. PG 31: 1158.

³ Cf. Homily 10.4 :16 A Sermon on Almsgiving.

⁴ Sermon 71 on Fasting and Almsgiving.

⁵ In 2 Cor. hom 19:2.

"كما هو مكتوب:

فَرَّقْ، أُعْطِيَ المساكين، بره يبقى إلى الأبد" [٩].

ورد هذا النص في مزمو ١١٢: ٩، بقوله "فَرَّقْ" يعني العطاء خارج أسرته كما في داخلها، كمن يبذر في أرضه وفي أراضي أخرى.

ما يقدمه الإنسان كعطاء سيزول، سواء قدمه أو احتفظ به، لكن ما يبقى هو البرّ الدافع للعطاء.

❖ الأشياء نفسها لن تبقى، إنما تبقى فاعليتها. لهذا يلزمنا ألا نشتغل ولا نحسب ما هو لدينا بل نعطي بسخاء. تطلعوا كم يقدم الناس للممثلين والراقصين، لماذا لا تعطوا حتى النصف للمسيح؟^١

❖ إن قوة الرحمة خالدة عديمة الفساد لا تهلك مطلقاً. كل الأعمال زائلة وأما ثمرة الرحمة فلا تزول نضارتها، ولا تؤثر فيها تقلبات الزمان... فلا الأيام تمحوها، ولا الموت يهدمها، بل تكون في مأمن حتى بلوغها الحياة الهادئة.

❖ إن ارتواء الظمان إلى المسيح أعظم من إحياء الموتى باسمه. لأنك إن أتممت الأمر الأول تحسن إلى المسيح، وإن أتممت الأمر الثاني يكون المسيح قد أحسن إليك.

فالجائزة لمن يفعل الخير، لا لمن يتقبله من الآخرين.

بصنعك العجائب تكون مدينًا لله، أما بفعلك الرحمة فيكون الله مدينًا لك.

وقد يكتمل عمل الرحمة عندما تعطيتها بطيب خاطرٍ وسخاءٍ غير متوقعٍ أجرًا ولا شكر. فبهذا نحصل على نعمة لأنفسنا لا خسارة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والذي يقدم بذارًا للزارع وخبرًا للأكل،

سيقدم ويكثر بذاركم، وينمي غلات بركم" [١٠].

يقدم الرسول صلاة لدى الله طالبًا منه أن يسندهم ليقدموا بذورًا أكثر، أي يفتح قلوبهم بالأكثر نحو العطاء، لينالوا حصادًا أوفر. الله هو الذي يعطي الباذر، وهو الذي يهب البذور أن تأتي بثمرٍ متزايدٍ. وقد جاءت كلمة "يقدم" *epichoreegoon* لتعني قيادة فريق أو خورس موسيقي، فالله يقود النفس ويوجهها للعطاء كما يليق وفي الوقت المناسب، وهو الذي يعطيها حصادًا وفيرًا من النعم والبركات،

¹ In 2 Cor. hom 19:23.

² المطران أبيفانيوس: الأمالي الذهبية من مقالات لأبينا الجليل في القديسين يوحنا ذهبي الفم، ١٩٧٢، ص ١٥، ١٣٣.

بل ومن برّ الله.

في سفر هوشع إذ يعلن الله عن خطوبته للنفس يستجيب لطلباتها، وتستجيب السماء لها كما الأرض "والأرض تستجيب: القمح والمسطار والزيت، وهي تستجيب يزرعيل، وأزرعها لنفسي في الأرض..." (هو ٢: ٢١-٢٢).

❖ إن كان الله يكافئ الذين يفلحون الأرض بخيرات وفيرة، فكم بالأكثر يكافئ الذين يفلحون تربة السماء باعتنائهم بالنفس؟^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. العطاء وذبيحة الشكر

"مستغنين في كل شيء،

لكل سخاء ينشئ بنا شكرًا لله" [١١].

هكذا يغني الله النفس التي تشتهي العطاء وتمارسه بفرح قدر ما تستطيع، يغنيها فتفيض بتسابيح الشكر له. النفس التي تفرح بالعطاء تصير أيقونة المسيح، فتحمل بفيض به [١٠] وتشاركه طبيعة الشكر.

❖ بكونك غني في كل شيء بيد مفتوحة. أن تعطي بسخاء هو ما يدعوه هنا "يد مفتوحة" *open-handedness* التي تعمل فينا لتقدم شكرًا لله... سمح الله لنا أن ندبر الأمور العظيمة وترك لنفسه الأمور الأقل. فهو الذي يهتم بإعالة الجسد إذ هو وحده الذي يضبط الأمطار وفصول السنة. أما المداد الروحي فتركه في عهدتنا، إذ بإرادتنا يمكننا أن نقرر إن كانت ثمارنا وفيرة أم لا.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن افتعال هذه الخدمة،

ليس يسد أعواز القديسين فقط،

بل يزيد بشكر كثير لله" [١٢].

إذ يجد القديسون الفقراء ما أشبع احتياجاتهم يدرك المعطي أن هذا الشبع ليس بفضل منه، بل من

¹ In 2 Cor. hom 20:1.

² In 2 Cor. hom 20:1.

اللَّهُ، فيفرح ويشكر الله.

❖ يشير بولس الى أن العطاء للقديسين ليس موضوع سد أعوازم العاجلة وإنما لها نتائج أخرى وتقود إلى بركات متنوعة^١.

ثيودورت أسقف قورش

"إذ هم باختبار هذه الخدمة

يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح

وسخاء التوزيع لهم وللجميع" [١٣].

❖ يمدح الرسول (القديسين الفقراء) لأنهم يشكرون من أجل ما قُدم للآخرين من عطايا بالرغم من فقرهم. ليس أحد حاسد مثل الفقير، ومع هذا فإن هؤلاء الناس متحررون من هذا الهوى حتى أنهم يفرحون من أجل البركات المقدمة للآخرين^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سيحصل الكورنثيون منافع صلوات الفقراء. هذه الصلوات هي حصيلة الحب العظيم^٣.

ثيودورت أسقف قورش

عَدَد الرسول أثر العطاء المفرح:

أولاً: إشباع احتياجات القديسين.

ثانياً: بهجة القلب بعمل الله فيقدم ذبيحة شكر لله.

ثالثاً: شعور بالطاعة والخضوع بفرح للوصية الإنجيلية.

رابعاً: تمجد قلوب المنتفعين بالله من أجل المقدمين للعطاء، بكونهم إنجيليين بالإيمان كما بالعمل،

أو بكونهم مخلصين في إيمانهم.

خامساً: تصلي قلوبهم من أجل الذين قدموا لهم العطاء [١٤].

"ويدعائهم لأجلكم

مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم" [١٤].

¹ PG 82:431.

² In 2 Cor. hom 20:2.

³ PG 82: 434.

يركز الرسول في موضوع العطاء على "نعمة الله". فالعطاء في ذاته هو نعمة إلهية حيث يفتح الله القلب بالحب ليعطي بسخاء. النعمة هو التي تقدم بذار العطاء، وهي التي تهب الحصاد حيث يتمتع المعطي ببر المسيح، وهي التي تعمل في قلوب الذين نالوا العطاء ليشكروا الله ويسبحوه على نعمته التي تعمل في المعطين، وتطلبوا أن يزداد هؤلاء بالنعم الإلهية.

"فشكروا لله على عطيته التي لا يُعبّر عنها" [١٥].

يشكر الرسول بولس الله على عطيته التي يهبها للمؤمنين والتي لا يُعبّر عنها. يرى البعض أنها عطية النعمة التي تهب القلب فرحاً في العطاء بسخاء، ويرى آخرون أن هذه العطية هو السيد المسيح نفسه الذي يسكن القلب فيجعله أيقونة له، يجد لذته في الحب العملي والعطاء بسخاء وسرور. السيد المسيح هو عطية الآب أو عطية الحب التي يتمتع بها المؤمنون، هذه التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها.

❖ إنها عادة بولس أن يسبح الله في كل وقت يشرح فيه تدبيراً إلهياً أو آخر^١.

ثيودورت أسقف قورش

من وحي ٢ كو ٩

لأزرع بالبركات فأحصد بركات!

❖ هب لي في تواضع أن أمتلئ غيرة،
فأقتدي بإخوتي وأسلك بروح العطاء.
لا أخجل من أن أمتلئ بهم، فهم أعضاء معي في ذات الجسد.

❖ هب لقلبي وفكري وإرادتي الاستعداد للعطاء.
اليوم هو يوم خلاصي، والوقت وقت مقبول.
لأقتني بالحب العملي أبديتي.
لأسرع في غيرة مؤمناً بك، يا من تشتهي أن تعطي بسخاء ولا تُعير.
هب لي روح العطاء لإخوتي، فأنعم بعطائك ذاك لي.
أقدم حبي مع عطائي، وأنت تقدم لي ذاك مع مجدك مجاناً!

¹ PG 82:434.

- ❖ لتسندني نعمتك، فأزرع صلاحًا قبل عبور الزمن.
متى أعبّر وأحصّد بحبك العجيب شركة أمجادك.
- ❖ هب لي أن أقدم قلبًا متهللاً بالعطاء،
فأجد خزينًا من التهليل في السماء.
لست أقدم جزية إلزامية عن خوف من القانون.
بل أقدم قلبًا متهللاً يترقب اللقاء معك.
بسرور أقدم لإخوتي المحبوبين،
فترد سروري سرورًا أعظم، حيث أشارك السمائيين تهليلاتهم!
- ❖ ليتسع قلبي بالحب، ولتنبسط يداي وتفتحا بالعطاء.
فكل ما لديّ يزول، لكن الحب الذي أقتنيه يبقى معي أبدًا.

الباب الخامس

دفاعه عن مذلة حضرته

ص ١٠ - ص ١٢

دفاعه عن مذلة حضرته

لم يوجد موضع ما عانى فيه الرسول بولس من مقاومة المعلمين الكذبة مثل كورنثوس، فقد أخذوا منه موقفًا عدائيًا. كان من الهين عليه أن يضطهده اليهود والأمم، أما أن يقاومه اخوة كذبة تحت اسم المسيح، فهذا مرّ للغاية. اتهم القديس بولس أنه رقيق للغاية في معاملاته مع شعبه متى كان حاضراً في وسطهم كمن هو ذليل، أما في رسائله فكان حازماً جداً.

اضطر أن يكتب الرسول دفاعاً عن تصرفاته هذه حتى لا يتعثر أحد:

١. في الحضرة يلتزم بالمذلة ولا يبرز سلطانه ولا مواهبه ولا إمكانياته لكي يفخر الكل بالرب (١٠: ١٧-١٨).

٢. إنه كصديق للعريس لا يهتم بما لنفسه بل بما للعروس. "فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراءً عفيفةً للمسيح" (١١: ٢). إنه ليس كالمخادعين الذين يطلبون ما لمجدهم على حساب العروس وعلى حساب إنجيل الحق.

٣. لا ينقص شيئاً عن فائقي الرسل (١١: ٥)، لكنه تذلل لخدمتهم؛ كما لم يستخدم سلطانه لنوال حقوقه الشرعية حتى لا يعثر أحداً منهم (١١: ١٢).

٤. تحذيره لهم من الرسل الكذبة الماكرين، فإن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور (١١: ١٤).

٥. التزامه أن يتحدث كغبي عن نفسه مع أنه عبراني، وإسرائيلي، من نسل إبراهيم، وهو من أفضل خدام المسيح، وأكثر احتمالاً للتعب. وقد أورد في إيجاز مدى ما عاناه من ضيقات واضطهادات.

٦. تمتع الرسول بإعلانات الرب له (١٢: ١-١٠).

٧. وهب صنع آيات وعجائب (١٢: ١١-١٢). تكمن قوته في الروح لا في الجسد (١٠: ١-٦).

٨. لا يستخدم السلطان للهدم (١٢: ٧-١٨).

٩. لم يتقل على أحدٍ (١٢: ١٣-١٨).

الأصحاح العاشر

سلطان الرسول الروحي

مع ما اتسم به الرسول من حياة تكاد تكون بلا لوم، مع قلب ناري متقد في خدمته، واهتمامه بكل أحدٍ هوجم الرسول من المعلمين الكذبة.

١. سلطان الرسول الروحي ٧-١
٢. سلطانه للبنيان لا للهدم ٨
٣. سلطانه في الحضرة والغيبة ٩-١١
٤. سلطان بلا افتخار ١٢-١٦
٥. افتخار بالرب ١٧-١٨

١. سلطان الرسول الروحي

إذ يبدأ دفاعه عن رسوليته وسلطانه الروحي يكتب بروح التواضع والوداعة، مؤكداً أنه لا يمكن أن يستخدم سلطانه لحساب كرامته الشخصية.

"ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه،

أنا نفسي بولس الذي في الحضرة ذليل بينكم،

وأما في الغيبة فمتجاسر عليكم" [١].

في بدء الرسالة ضم تيموثاوس إليه، أما هنا إذ يتحدث عن رسوليته يتكلم عن نفسه وحده ضد الرسل الكذبة.

بقوله "الآن" أو "ثم" أي بعد أن تحدث عن الحب المشترك بينه وبينهم، وعن الحب بينهم وبين الإنسان التائب، وعن الالتزام بالحنو على المحتاجين بسخاءٍ وفرحٍ يود أن يدافع عن رسوليته، لا لتمكين كرامة بشرية له، وإنما من أجل بنيان الكنيسة ونمو الخدمة. وقد أجل الحديث حتى يضع الأمور الأخرى في نصابها.

يتساءل البعض: لماذا اتهم القديس بولس الرسول أنه ذليل في الحضرة ومتجاسر في الغيبة؟

أولاً: يرى ثيودورت أسقف قورش أن بعض المسيحيين من أصل يهودي طالبوا الذين من أصل أممي بحفظ الناموس الموسوي حرفياً مثل الختان وحفظ السبت والتطهيرات الجسدية. وقد نادوا بأن

بولس كان يحفظ هذا الناموس سرًا بالنسبة لنفسه^١، وفي نفس الوقت كان يعفي الأمم من حفظه، خاصة في رسائله، وهو في الغيبة.

ثانيًا: يرى البعض أن بولس كان قصير القامة، لا يهتم بثيابه، ولم يكن لديه ما يشتري به مثل هذه الالتزامات الضرورية، كما كان يتحدث بلغة بسيطة أمام الجماهير، بينما جاءت رسائله تحمل فصاحة وبلاغة، وكأنه يحمل في رسائله شخصية مختلفة عما تظهر في حضرته.

ثالثًا: إذ بدأ الخدمة في كورنثوس واجه الفساد والمشاكل الكنيسة بروح هادئ، أما رسالته السابقة فأبرز فيها حزمه ضد القائد الذي ارتكب الشر مع زوجة أبيه، وأيضًا ضد مسيبي الإنشقاقات، والمعلمين الكذبة وأصحاب البدع والهرطقات. يردد الرسول ما يقوله المقاومون له لكي يرد على اتهامهم.

"ولكن أطلب أن لا أتجاسر وأنا حاضر،

بالثقة التي بها أرى إنني سأجترئ على قوم يحسبوننا كأننا نسلك حسب الجسد" [٢].

اثَّهم الرسول أنه يسلك حسب الجسد حيث يظهر كدليل في حضوره، ويستخدم الحزم والتأديب في غيابه عنهم.

إنه كرسول من حقه أن يمارس سلطانه الروحي للحفاظ على قدسية الكنيسة وسلامة إيمانها وعقائدها والالتزام بالسلوك اللائق في العبادة الكنسية. الآن **يطلب ألا يتجاسر ويستخدم هذا السلطان في حضوره وسطهم.** إنه يتوسل إليهم ألا يتركوا مجالاً لكي يستخدم هذا السلطان ضدهم كما استخدمه في رسالته الأولى وهو في الغيبة، خاصة ضد مرتكب الشر مع زوجة أبيه ومفسيدي الإيمان بصورة أو أخرى.

"لأننا وإن كنا نسلك في الجسد،

لسنا حسب الجسد نحارب" [٣].

هذا معناه أننا وإن كان نعيش في الجسد إلا أننا إذ نطلب مسرة الله نعمل بطريقٍ روحي.

❖ وإن كنا محاطين بالعالم لا نُسلم له^٢.

ثيودورت أسقف قورش

¹ PG 82:434.

² PG 82:434

قلنا أن البعض يتهمونه بأنه يسلك حسب الجسد، خاصة حين يؤدب وهو متغيب عنهم، لكنه يؤكد أنه أبعد من هذا بكثير. إنه ليس جسدياً، إذ لا يستخدم أسلحة جسدية أو زمنية، بل أسلحة الله الروحية القوية غير الفاسدة. فإن معركته من أجل خلاص العالم وبنيان الكنيسة روحية وليست جسدية.

"إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية

بل قادرة بالله على هدم حصون" [٤].

في رفته في الحضرة أو في حزمه في الغيبة لا يسلك حسب الجسد، أو بطريقة بشرية كإنسان له الجسد، بل حسب الروح. إنه كقائد روحي يحمل روح القوة، ويعمل بالروح لحساب ملكوت الله. فهو لا يداهن أحداً، ولا يخشى أحداً، ولا يحمل ضغينة ضد أحدٍ بصورة شخصية. معركته ضد قوات الظلمة، وليست ضد إنسانٍ ما.

❖ لم يقل هنا "لا نعيش حسب الجسد"، وإنما "لسنا حسب الجسد نحارب" (٢ كو ١٠: ٤). إننا نتعهد حرباً ومعركة، لكننا لسنا نحارب بأسلحة جسدية ولا بمساندة أي عون بشري. أي نوع من الأسلحة التي للجسد؟ الثروة والمجد والقوة والفصاحة والمهارة والمراوغات والمداهنة والرياء وما أشبه ذلك. ليس لنا نحن هذا. فمن أي نوع نحن؟ إننا قادرون بالله.

لم يقل: "أننا لسنا جسديين" بل "أسلحتنا ليست جسدية". لأنه يتحدث في الحاضر عن الكرازة، ويشير إلى قوة الله الكلية. ولم يقل "روحية" مع أن هذا هو المضاد للجسدية، إنما يقول "قادرة" كتطبيق للروحانية، ومظهرًا أن أسلحتهم هم (المعلمون الكذبة) ضعيفة وبلا قوة. لاحظ غياب الكبرياء عنه، إذ لم يقل: "نحن قادرون" وإنما "أسلحتنا قادرة بالله". لسنا نحن جعلناها هكذا، بل بالله نفسه.

فإنهم إذ جلدوا واضطهدوا وعانوا من أمور لا يمكن الشفاء منها وبلا عدد، الأمور التي هي برهان على الضعف، أراد أن يظهر قوة الله فقال "لكنها قادرة بالله". فإن هذا على وجه الخصوص يظهر قوته، إنه بهذه الأمور يقتتي النصر. فإنه حتى ونحن مرتبطون بهم فإن الله هو الذي يحارب وهو الذي يعمل بهم^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 2 Cor. hom 21. PG 61: 584.

كثيرًا ما يستخدم الرسول بولس تشبيه "المعركة" بالنسبة لخدمة الخلاص (أف ٦: ١٠-١٧؛ ١ تي ١: ١٨؛ ٢ تي ٢: ٣-٥).

"هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله،
ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" [٥].

أسلحة محاربتة ليست جسدية كتلك التي يستخدمها الرسل الكذبة، إنما هي روحية تقوم على الحق الإنجيلي الصادق. بها يدخل إلى القلوب محطّمًا حصون البطلان وجيوش الأعداء الروحيين.

❖ لئلا عندما تسمع عن الحصون تظن أنها مادية يقول: "هادمين ظنونًا" [٥]. أولاً يعطي تأكيدًا بالرمز وبعد ذلك بهذا التعبير الإضافي يعلن عن طبيعة الحرب الروحية. لأن هذه الحصون تأسر النفوس لا الأجساد. لهذا فهي أقوى من الحصون الأخرى، ولهذا أيضًا فإنها تحتاج إلى أسلحة أقدر. لكنه يقصد بالحصون الكبرياء اليوناني وقوة السفسطة والمنطق. يقول: "لأن هذه الأسلحة تدحض كل شيء يقف ضدها، إذ تنزع الظنون وكل علو يرتفع ضد معرفة الله". إنه يستمر في الرمز ليقدم تأكيدًا أعظم. إذ يقول وإن وجدت حصون وقلاع وأي شيء آخر فإنها ستستسلم وتنتهار أمام هذه الأسلحة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يتم النمو تدريجيًا من الطفولة حتى النضوج والكمال في المسيح. لأن الإيمان يزداد بواسطة عمل الروح القدس الإلهي وينمو. وتبعًا لذلك تتحطم حصون الأفكار الشريرة تدريجيًا إلى أن تنهدم بالكلية^٢.

القديس مقاريوس الكبير

الحرب روحية والأسلحة روحية والنصرات أيضًا روحية، إذ يتمتع الرسول بالآتي:
أولاً: "هدم الظنون" *logismous* أو الأفكار والآراء الخاطئة. فقد ظن بعض الفلاسفة اليونانيين أن آراءهم هي حق وصادقة وحاسمة بلا انحراف. وإذ انتشر الحق الإنجيلي ظهر فساد هذه الآراء، وانحنى الكثيرون أمام رب المجد يسوع، وقبلوا صليبه مصدر خلاصهم وآمنوا بالقيامة من الأموات التي كانوا يحسبون من يبشر بها نوعًا من الهذيان.

¹ In 2 Cor. hom 21. PG 61: 585.

² Sermon 50:4.

ثانيًا: هدم "كل علو"، فقد تشامخ الفلاسفة اليونانيون مثل أفلاطون وأرسطو وأتباعهما الخ، لكن هذا التشامخ انهار أمام تواضع الرسل أتباع المصلوب وبساطة الإنجيل الذي يكرزون به. وأيضًا ارتكاب الخطية وعصيان الوصية الإلهية هو تشامخ على الله.

❖ كل خطية هي تعبير عن الاستخفاف بالناموس الإلهي، وتُدعى "علوًا يرتفع ضد معرفة الله".¹

القديس باسيليوس الكبير

ثالثًا: لا يقف الأمر عند الجانب السلبي وهو هدم الشر سواء في شكل ظنون وآراء أو في شكل تشامخ ضد الحق والمعرفة الإلهية أو ضد الوصية الإلهية، وإنما يمتد إلى الجانب الإيجابي، وهو سحب كل فكر ليشتهي الطاعة للسيد المسيح. يصير الكل أعضاء في جسد المسيح يحركهم الرأس نفسه (السيد المسيح)، ويتجاوبون معه. هذا ما عبر عنه الرسول بالقول: "ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" [٥].

❖ لكلمة "أسر" رنينها الرديء لأنها تحمل تحطيمًا للحرية، فلماذا استخدمها؟...

كلمة "أسر" تقدم فكرتين: فقدان الحرية، واستخدام القوة العنيفة لكي لا يقوم الشخص ثانية. استخدمها الرسول لتحمل المعنى الثاني... لأن الحرب لم تنته بتعادل الطرفين، إنما غلب الرسول بطريقة سهلة جدًا...

إذ يقول: "مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح"، فلأن كلمة "أسر" مؤلمة لذا وضع في النهاية الرمز قائلاً: "إلى طاعة المسيح". (تنتهي الحرب الروحية بأسر الفكر) من العبودية إلى الحرية، ومن الموت إلى الحياة، ومن الهلاك إلى الخلاص. لقد أتينا ليس للتدمير، بل لنأتي بالمقاومين لنا إلى الحق.²

❖ أليس هذا من قوة رسائله التي انتفع بها ليس المؤمنون المعاصرون له فحسب، بل وكافة المؤمنين منذ زمانه حتى الآن، بل وإلى مجيء المسيح. لأن رسائله هي بمثابة سور شديد من الصخر وأحاط كنائس العالم...

إنه كبطلٍ شجاع يسبي كل عقلٍ لطاعة المسيح، نابذًا الخيالات وكل علوٍ يرتفع ضد معرفة الله [٥]. يتحقق هذا كله بواسطة الرسائل التي خلفها لنا، المملوءة بالحكمة الإلهية. فإن كتاباته نافعة لنا

¹ On The Judgment Of God.

² In 2 Cor. hom 21. PG 61: 585.

في دحض الآراء الفاسدة، وتثبيت الإيمان الصحيح، وبلوغ حياة أفضل^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ العقل الذي لا يهمل تفتيش ذاته، ولا يهمل طلب الرب، يستطيع أن يقتني نفسه. النفس التي كانت في هلاك الشهوات، يقتنيها بتقديم نفسه كأسير لمحبة الرب بكل غيرة وقوة، وبالالتصاق به وحده^٢.

القديس مقاريوس الكبير

"ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان

متى كملت طاعتكم" [٦].

كيف ينتقم الرسول بولس من العصيان، ليس بالعنف والقسوة، بل بجذب النفوس العاصية للطاعة للسيد المسيح فيدمر العصيان بالطاعة، ويجتذب المقاومين إلى الإيمان، فيُدان عدم الإيمان بذات الأشخاص الذين كانوا يقاومون الإيمان وآمنوا.

كذلك يؤكد الرسول سلطانه الرسولي الخاص بتأديب المقاومين للحق والعاصين للسيد المسيح لا للانتقام، وإنما لكي يسحب الكل إلى خبرة الطاعة للسيد المسيح. إنه لا يحمل عداوة شخصية لإنسان ما، لكنه ملتزم بالتأديب متى كان ذلك لبنيان ملكوت الله.

إن كان الرسول قد فاض بالحب على شعبه، واتسم بالوداعة والرفقة، فإنه يخشى أن يتحول ذلك إلى تهاون في الحق الإنجيلي.

جاءت التعبيرات في هاتين العبارتين (٥-٦) عسكرية، تناسب جيشاً يرى العدو على أبواب مدينته المحصنة فلا يتهاون في حق الدفاع عنها. إنه قائد في جيش الخلاص مستعد دائماً أن يرد بسلاح الله المقاومين إلى الحق.

إنه يؤدب بحكمة، فينتظر حتى تكمل طاعة المؤمنين، وعندئذ يؤدب العصاة، خشية أن يقتلع الحنطة مع الزوان.

❖ يوضح بولس لماذا هو صبور؟ إنه يود أن يجتذب أكبر عدد ممكن لكي يصلحوا طرقهم. بعد ذلك سيعاقب الذين يستمرون في مقاومة تعليماته^٣.

¹ On Priesthood, book 4:7.

² Sermon 9:11.

³ PG 82: 435.

ثيودورت أسقف قورش

❖ هنا أيضًا يسبب لهم (لأهل كورنثوس) خوفًا... إنه يقول: "اننا ننتظر عندما نجعلكم بمشورتنا وتهديداتنا تسلكون باستقامة، وتتفقدون معًا على نزع شركتكم (مع الرسل الكذبة). عندئذٍ إذ تتركون هؤلاء المصابين بأمراض مستعصية نعاقبهم، إذ نرى أنكم بالحقيقة أنكم اعتزلتموهم. فإنكم حتى الآن تطيعون، لكن ليس بطريقة كاملة. فإن عاقبتهم الآن سترتبون. لكن بالضرورة سيُعاقبون حقًا بينما أنتم تعفون... فإن كلمات بولس اخرجت شياطين... ودعت الذين يمارسون السحر أن يحرقوا كتبهم التي تقدر بخمسة آلاف من الفضة (أع ١٩: ١٩)... وأعمت آخر (سيمون، أع ١٣: ٨-١١)¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أتنتظرون إلى ما هو حسب الحضرة؟"

إن وثق أحد بنفسه إنه للمسيح،

فليحسب هذا أيضًا من نفسه إنه كما هو للمسيح،

كذلك نحن أيضًا للمسيح" [٧].

يسألهم ألا ينحرفوا وراء المظاهر الخارجية "الحضرة"، فلا يكفيه مجرد الاستعراضات العسكرية. يسألهم أن يضعوا مقاييس سليمة في المقارنة بينه وبين الرسل الكذبة، فبحسب المظهر الخارجي ربما يبدو بعضهم أعظم منه وأفضل منه. لكن إن صارت مقاييسهم روحية صادقة ليس من وجه للمقارنة بين الرسول والرسل الكذبة.

بقوله: "إن وثق أحد بنفسه أنه للمسيح" يشير إلى الرسل الكذبة الذين يسببون ارتباكات ومتاعب في الكنيسة بدعوى أنهم للمسيح، رسل المسيح، يعملون لحسابه. ليدرك كل منهم أنهم وإن ادعوا ذلك لأنفسهم باطلاً، فإن الرسول هو بحق للمسيح، هو رسوله، وعامل لحساب مملكته، مدعو منه شخصيًا.

❖ ينتقد بولس أولئك الذين ينتفخون بالكبرياء بنظرتهم الدنيئة نحو بولس على غير ما هو عليه ويظنون أنهم ليسوا في حاجة إلى تعليمه².

❖ الذين يمتدحون أنفسهم هم أولئك الذين يرغبون في السيطرة، ويطلبون السلطة باسمهم. من يُبعث

¹ In 2 Cor. hom 21. PG 61: 585-586.

² CSEL 81:274.

في إرسالية ينال سلطة لا لحسابه بل لحساب مرسله. هنا يقول بولس الرسول انه أختير كوكيل للرب. فلا يدعي لنفسه شيئاً فوق ما وُهب له، إنه لا يربط نفسه بالذين يكرزون دون إرسالية (من الله)^١.

الأب أمبروسياستر

❖ الاتهام الموجه ضده ليس بالأمر الهين بل هو خطير للغاية. كيف؟ إنه من السهل لجنس الإنسان أن يخدع.

ماذا يعني: حسب الظاهر (الحضرة)؟ إن كان أحد غنياً، إن كان أحد منتقحاً، إن كان أحد محاطاً بمتملقين كثيرين، إن تحدث عن نفسه بأمر عظيمة، إن كان أحد له مجد باطل، إن كان أحد فاضلاً في رياء دون أن تكون له فضيلة، هذا ما يعنيه بالقول: "أنتظرون إلى حسب ما هو ظاهر"^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. سلطانه للبنيان لا للهدم

"فإني وإن افتخرت شيئاً أكثر بسلطاننا،
الذي أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم،
لا أحجل" [٨].

للسلطان أعظم بكثير مما يظهر لهم، سواء في التعليم أو التأديب، لكنه يستخدم السلطان بالقدر الذي فيه بنيانهم الروحي ونموهم في بر المسيح، وليس ما فيه تدميرهم. هذه هي غاية السلطان الرسولي أو الكنسي، أنه ليس بالحرف القاتل، وإنما هو عمل روحي لبناء النفوس.

❖ انتفع بولس بسلطانه فقط بالقدر الذي به يتمجد في تقدم المؤمنين، فيفقد سلطانه إلى الخلاص وليس إلى الاعتداد بذاته. إنه لم ينتفخ متعدياً السلطة المُعطاة له، ولا ادعى سلطة في مواضع لم تبلغ إليها كرازته.

أمبروسياستر

٣. سلطانه في الحضرة والغيبة

"ثلاً أظهر كأني أخيفكم بالرسائل" [٩].

¹ CSEL 81: 276.

² In 2Cor. hom 22. PG 61: 590.

لم يكن في ذهنه وهو يكتب رسائله أن يخيفهم برسائله، مظهرًا غضبه عليهم.

"لأنه يقول الرسائل ثقيلة وقوية،

وأما حضور الجسد فضعيف،

والكلام حقير" [١٠].

اتَّهم بأنه عنيف في رسائله، يُظهر سلطانًا ليس له، بينما في الحضرة ضعيف في جسمه كما في كلماته، يستخف به الفلاسفة والحكماء المتعلمون.

جاء عنه في نيسيفورس *Nicephorus* أنه كان قليل الجسم، محني الظهر، يكاد يكون كالفوس، وجهه شاحب، طويل ومجعد، أصلع، عيناه متقدتان نازًا، لحيته طويلة كثيفة يتخللها شعر رمادي.^١ قال كاتب يوناني قديم: كان بولس قليل الجسم طوله حوالي ثلاثة أذرع ومع هذا فقد لمس السماء!^٢

"مثل هذا فليحسب هذا،

أنا كما نحن في الكلام بالرسائل،

ونحن غائبون هكذا نكون،

أيضًا بالفعل ونحن حاضرون" [١١].

يحذر الرسول الرسل الكذبة ويهددهم بالرسائل بالسلطان الرسولي على فساد تعليمهم فإنه هكذا يفعل عند حضوره.

❖ لم يتردد (الرسول بولس) عن أن يؤكد بوضوح معرفته، لأنه بدونها لم يكن ممكنًا أن يكون معلمًا للأمم. وبالتأكيد إن قدمنا شيئًا كمثالٍ عن بلاغته نقتبسها من هذه الرسائل التي اعترف حتى الذين انتقصوا من قدره هم أنفسهم أن حضور الجسد بالنسبة له ضعيف وحديثه تافه اعترفوا بأن له وزنه وقوته.^٣

القديس أغسطينوس

٤. سلطان بلا افتخار

"لأننا لا نجترئ أن نُعد أنفسنا بين قوم من الذين يمدحون أنفسهم،

¹ Adam Clarke Commentary.

² Ibid.

³ On Christian Doctrine, 4:7 (15).

ولا أن نقابل أنفسنا بهم،

بل هم إذ يقيسون أنفسهم على أنفسهم،

ويقابلون أنفسهم بأنفسهم،

لا يفهمون" [١٢].

يرفض الرسول أن يبرر نفسه متى قورن بالمعلمين الكذبة، فإن حكمه على نفسه لا يقوم على مقارنته بالناس، إنما يطلب أن ينتسبه بمسيحه ويبلغ إلى قياس ملء قامته (أف ٤: ١٣). أما هم فيجدون مسرتهم في مقارنتهم بعضهم ببعض فتكون مقاييسهم على مستوى بشري، مما يولد فيهم الحسد والغيرة والكبرياء، عوض تقديم الشكر لله وطلب غنى نعمته الفائقة للنمو المستمر في الرب. من جانب آخر إذ يثق في صدق دعوته الرسولية ويؤمن بإمكانية الروح القدس العامل فيه لا يريد الشركة مع الرسل الكذبة ولا حتى المقارنة بهم. أما هم فلأنهم ليسوا مدعويين من الله، ولا يعمل الروح القدس فيهم، يخدعون أنفسهم بمقارنتهم بعضهم لبعض، كأنه لا يوجد أمامهم قياس كامل، ولا يدركون الحكمة الحقيقية التي توجههم إلى العمل الإلهي.

❖ واضح أن الفخر المبالغ فيه كان من سمات الرسل الكذبة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولكن نحن لا نفتخر إلى ما لا يقاس،

بل حسب قياس القانون الذي قسمه لنا الله،

قياساً للبلوغ إليكم أيضاً" [١٣].

إنه لا يسلك دون قانون يحكمه أو قياس يلتزمه به، فإن قياسه إلهي. إنه يعمل خلال ما وهبه الله من نعم وهبات ومواهب، طالباً من الروح أن يصرمها فيه حتي يكرز بين الأمم، ويبلغ إلى كورنثوس، فلا يقف عند آسيا الصغرى ولا في بلاد أخرى في اليونان بل يبلغ إليهم. هذا تعبير رياضي خاص بالسباق في الألعاب الأولمبية والإسثمانية *Isthmian games*. وكأن العالم كله في عينيه أشبه بساحة سباق يود ألا يقف عند حد حتى يعبر الساحة، ويحمل الكل إلى الاحضان الإلهية، فينعم باكليل النصر.

"القانون": في الأصل كان عصا قياس أو مسطرة أو خط للقياس. من الجانب الرمزي إنه يقيس أو يقرر أي شيء، في الأخلاقيات أو الفن أو اللغة. في الأدب المسيحي صار يعني مقياساً للإيمان

¹ In 2 Cor. hom 22:2.

بالتعليم المسيحي، قانون النظام الكنسي، ومجموعة كتابات مقدسة معترف بها. لكي نفهم قصد القديس بولس نضع في ذهننا أنه يعتبر خدمته الرسولية خاصة بالأمم وقد اعتاد أن يرفض أن يقيم دومًا في موضع كرز فيه رسول آخر. لكن المعلمون بالتهود في كورنثوس انتهكوا موضع نشاطه وإيبارشيته، أي انتهكوا القانون *Kανον* أو القياس الذي يحدد الخط الذي وضعه له الله.

❖ إنه كمن يُقسّم الكرم بين الفلاحين، هكذا بنفس الطريقة وضع الله حدودًا لنا. وما نناله كمنحة نفتخر به^١.

❖ حسنًا دعا هنا إيبارشيته قانونًا (*province Kanoua*) ومقياسًا *μετρου* كميراثٍ ممتاز، وأظهر أن العمل كله هو عمل الله... لقد نسب الكل لله^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قدم هذا التوضيح لكي يعرف الكورنثيون أن الله أرسله إليهم، ويليق بهم أن يطيعوا تحذيراته، لئلا يظهروا مقاومين لله الذي أرسل إليهم بولس^٣.

أمبروسياستر

"لأننا لا نمدد أنفسنا،

كأننا لسنا نبليغ إليكم،

إذ قد وصلنا إليكم أيضًا في إنجيل المسيح" [١٤].

إذ بلغ إليهم في كورنثوس، وكرز لهم بالإنجيل، لا يحسب نفسه أنه قد تعدى حدوده أو السلطان المُعطى له من قبل الله. فقد جاء بناء على دعوة إلهية، واستخدم السلطان المُقدم له في الكرازة كما في التأديب ليس من الناس بل من الله.

"غير مفتخرين إلى ما لا يقاس في أتعاب آخرين،

بل راجين إذا نما إيمانكم أن نتعظّم بينكم حسب قانوننا بزيادة" [١٥].

ما يشغل قلب الرسول والعاملين معه لا أن يفتخروا بأعمالهم متى قورنت بأعمال الآخرين، بل بنجاحهم في نمو إيمان الشعب بعمل الروح القدس؛ بهذا يكون سباقهم قانونيًا. بهذا يتعظمون *megaluntheenai*، أي يُمدحون كرسلي حقيقيين من قبل الله بلغوا بهم إلى تحقيق هدف الله من

¹ In 2 Cor. hom 22. PG 61: 590-591.

² In 2 Cor. hom 22. PG 61: 591.

³ CSEL 81: 277-278.

نحوهم.

❖ هنا يتهم بولس المعلمين الكذبة ليس فقط أنهم يفتخرون بمبالغة، بل ويدعون أن لهم الفضل خلال أتعاب الآخرين^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يثق في قوة الإنجيل يثق في الله الذي يجعله ممكنًا. من لم يتسلم قوة من الله لا يقدر أن يفتخر بالرب، إذا يطلب مجد ذاته^٢.

أمبروسياستر

"انبشروا إلى ما وراءكم،

لا لتفتخر بالأمور المعدة في قانون غيرنا" [١٦].

نجاح خدمته في كورنثوس ليس موضوع فخر الرسول، إنما هي أداة في يد الله للامتداد إلى بلاد أخرى وثنية حتى يبلغ إليها إنجيل المسيح. ما يشغل ذهن الرسول هو تمتع العالم كله بالخلاص، لذلك لا يقف عمله عند حدود، كما لا يود أن يركز حيث يعمل آخرون بل أن يذهب إلى أمم لم تبلغ إليها الرسالة بعد.

٥. افتخار بالرب

"وأما من افتخر فليفتخر بالرب" [١٧].

لا مجال للمقارنات ولا للانشغال حتى بالنجاح، إنما ما يشغل ذهن الرسول هو الكرازة على مستوى العالم. ما يعتز به الرسول هو عمل الله سواء من خلاله أو خلال آخرين.

"لأنه ليس من مدح نفسه هو المزمي،

بل من يمدحه الرب" [١٨].

إذ يركز الرسول بالسيد المسيح لا بنفسه، فإن فخره ومجده هو الشهادة لمخلصه، أما عن تزكيته، فهي من الرب المخلص، وليست من إنسان حتى ولا من نفسه. أفلاذين لم يرسلهم الرب لا يمدحهم الرب.

❖ لم يدعي بولس هذا لنفسه بل الرب هو الذي يمدحه. بولس متواضع لكن ليس للدرجة التي فيها

¹ In 2 Cor. Hom 22:3.

² CSEL 81:279.

يتجاهل الإعلان عن الحق بخصوص نفسه. فمن الممكن أن يتأذى الشخص بالتواضع غير المضبوط، أو ينتفع بقوله شيء عجيب خاصًا به وفي الوقت المناسب. فقد كان يحرق خطر حقيقي لو أن التلاميذ أخذوا فكرة سيئة عن بولس خلال تواضعه. بولس لم يطلب مديحًا بشريًا، بل دافع عن نفسه^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي ٢ كو ١٠

بالحب أقبل المذلة،
لكي أدخل معهم إلى الغلبة!

❖ اتهموا الرسول بولس بالمذلة في الحضرة.

هذا الذي أخرجت كلماته الشياطين،
ودفعت السحرة لحرق كتبهم،
وجذبت العصاة إلى الطاعة،
والمقاومين للحق إلى الإيمان الحي.

❖ هب لي يا رب أسلحة روحية،

فأدخل معركة الروح بقوتك.
أدرك إنني بك أصبح بطلاً!
أتمتع بنصرتك على العدو،
وأسند بنعمتك الكثيرين.

❖ بالحب أقبل المذلة،

وبنعمتك أحطم كل ظنون العدو،
أهدم حصونه ومتاريسه.
لأعلن عن نصرتك العجيبة!
في المظهر الخارجي (الحضرة) أنا ضعيف.
كمن لا يملك شيئاً، وبلا سلطان أو كرامة.

¹ In 2 Cor. Hom 23:3

لكن بك أغلب قوات الظلمة!

❖ أطل الرسول أناته على الساقطين،

وانتظر على التأديب حتى يرجع الكثيرين.

هب لي رقة ولطفًا بالساقطين،

مع بكاءٍ بدموع على كل نفسٍ مُصرّةٍ على عصيانها!

❖ هب لي يا رب روح التواضع.

أفتخر بكل نجاح تقدمه لي.

وأترقب مديحك لا مديح الناس.

الأصحاح الحادي عشر

اعتزاز الرسول بجهاده

في الأصحاح السابق رفض الرسول أن يقارن نفسه بغيره، خاصة بالرسل الكذبة، حاسباً أن دعوته إلهية، ومقاييسه ليست حسب الفكر البشري. الآن يحسب نفسه كمختل العقل، إذ صار ملزماً إن يكشف عن جهاده، ويقارن نفسه ليس فقط بالرسل الكذبة وإنما حتى برسل المسيح وتلاميذه. هذا كله لا للافتخار، لأنه كما سبق فأكد أن من يفتخر فليفتخر بالرب. وإنما لكي يؤكد صدق رسوليته، فيعمل في الكرم الذي يمتد بين أمم كثيرة.

١. غير إلهية ملتهبة ١-٤.
٢. سمو علمه ٥-٦.
٣. رفضه حقه في الإعالة منهم ٧-١٢.
٤. خداع الرسل الكذبة ١٣-١٥.
٥. احتمال غباوة افتخاره ١٦-٢٠.
٦. افتخاره حسب الجسد ٢١-٢٢.
٧. أتعاب الرسول الخارجية ٢٣-٢٦.
٨. أتعابه بإرادته ٢٧.
٩. متاعب كنسية ٢٨.
١٠. الشركة مع المتألمين ٢٩-٣٠.
١١. هروبه من دمشق ٣١-٣٣.

١. غير إلهية ملتهبة

"ليتكم تحتملون غباوتي قليلاً،

بل أنتم محتملي" [١].

ليس شيء أصعب على نفس الإنسان المتواضع، خاصة مثل الرسول بولس، أن يضطر إلى الدفاع عن نفسه، والكشف عن جهاده وأتعابه ونجاحه، ومقارنة نفسه بإخوته الرسل. لقد حسب نفسه يتكلم كمن في غباوة، كمختل العقل.

طلب منهم أن يحتملوا حديثه القادم من أجل بنیان الكنيسة، وإن كان يعلم أنهم محتملوه.

❖ إذ يبدأ بولس يتحدث عن نفسه يقول أنه غبي، لكنه التزم بذلك من أجل أولئك الذين لجأوا إلي أفكار غير لائقة، وكان يليق بهؤلاء أن يفكروا فيه حسناً^١.

أمبروسياستر

لعل الرسول بولس دعى نفسه غيباً وهو مضطر للدفاع عن نفسه ليبرز أن الرسل الكذبة وقد انتفخوا هم بالحق أغبياء.

"فإني أغار عليكم غيرة الله،

لأنني خطبتكم لرجل واحد،

لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" [٢].

قبل أن يسرد موضوع افتخاره في الجسد كعبراني وإسرائيلي وابن إبراهيم، وقبل أن يعدد أتعابه التي يلاقيها من الخارج أو بإرادته أو من المشاكل الكنسية، أراد تأكيد وضوح الهدف أمامه. فما يشغله ليس كثرة الأتعاب وإنما سلوكه في الطريق الحقيقي وهو أن يحمل غيرة الله نحو الكنيسة لكي يقدمها عروساً للمسيح العريس السماوي. ما يشغله إن تكون الكنيسة في كل موضع هو العروس العذراء الطاهرة التي بلا عيب ولا غضن، لن تتسلل إليها أفكار الرسل الكذبة وتعاليمهم الباطلة المفسدة للنفس.

إنه يحمل غيرة ليست بشرية وإنما مصدرها الله، لذا يحمل في أعماقه محبة فريدة مع حزم بإخلاص. إنه يخشى أن تفقد الكنيسة في كورنثوس ما قد تسلمته من الرسول من بركات إلهية. أبرز الرسول بولس غيرته على أولاده، فإنهم يشبهون ابنة له مدعوة لتكون عروساً لعريس سماوي، وهو كأب يحرص على تقديمها عروساً، مقدسة بلا عيب، لا يقبل من يهينها أو يسيء إلى سمعتها. وكما يهتم بهم كأب يليق بهم أن يردوا هذه الغيرة المقدسة بغيرة مقدسة فلا يسمحوا لأحد أن يخطئ في حق الرسول بولس أبيهم. من يهينهم يهين أباهم، ومن يهينه يهينهم. إنه يشبه أيضاً أباً غيوراً على فتيات بلده العذارى، يهتم أن يتهذب بن ثقافة عالية، وأن يسكن بوقار، ويتهيأ للزواج كما يليق.

في العهد القديم كان رئيس الكهنة ملتزماً ألا يتزوج أية فتاة ما لم تكن عذراء طاهرة (لا ٢١: ٣).

¹ CSEL 81: 279-80.

وكان ذلك ظلاً لما يليق برئيس الكهنة السماوي، أسقف نفوسنا، الرب يسوع، الذي بدمه يجعل من كل الكنيسة في العهدين القديم والجديد، عروساً واحدة عذراء طاهرة بلا لوم.

❖ يستخدم بولس هنا كلمة أقوى بكثير من "الحب" المجرد. فالنفوس **الغيرة** تلتهب بحماس من جهة المحبوبين لها. الغيرة تفترض عاطفة قوية. لذلك فلن لا يظنوا أن بولس يطلب سلطة أو ثروة أو كرامة يضيف أن **غيرته إلهية**. فقد قيل عن الله إنه غيور، ليس بطريقٍ بشريٍّ، وإنما لكي يعرف كل واحدٍ حقه في السيادة علي من يحبهم، وأن ما يفعله هو من أجل نفعهم المتزايد.

تقوم **الغيرة البشرية** أساساً على الأنانية، أما **الغيرة الإلهية** فهي قوية ونقية. لاحظ الفارق بين العروس البشرية والكنيسة. ففي العالم المرأة العذراء قبل الزواج تفقد بتوليئتها بزواجها. أما في الكنيسة فإن الذين كانوا بتولين إلي حدٍ ما قبل رجوعهم إلى المسيح يتمتعون بالتولية فيه. لذلك فإن الكنيسة كلها عذراء^١.

❖ يقال أيضاً عن الله أنه غيور، فلا يظن أحد أن (اللاهوت) به هوى، وإنما لكي يعرف الكل أنه يفعل كل شيء ليس إلا من أجلهم هؤلاء الذين يغير عليهم، لا ليقنتي شيئاً بل لكي يخلصهم^٢.

❖ ماذا يرى النبي في الملائكة ما يستحق الإعجاب؟ "الصانع ملائكته رباحاً وخدامه ناراً ملتتهبة" (مز ١٠٣: ٤). هذا أيضاً نراه في بولس، كنارٍ وريحٍ، عبر الأرض طولاً وعرضاً ينقيها أثناء ترحاله^٣.

❖ الوقت الحاضر هو وقت الخطبة... إنه يضع نفسه بالنسبة لها، كمن يقوم بدور من يقوم بتجميع الخطيبين وهم في موضع العروس^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يضع خاتماً في إصبعة" (راجع لو ١٥: ٢٢). الخاتم هو كرامة، علامة الحرية، عربون الروح الواضح، ختم الإيمان، مهر الزواج السماوي. اسمع الرسول: "خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراء عفيفة للمسيح"^٥.

❖ اختيرت فتاة مخطوبة لتشير إلى الكنيسة كعروس المسيح... حقاً إنها عروس، هذه التي بميلاد

¹ In 2 Cor. hom 23:1.

² In 2Cor. hom 23. PG 61: 595.

³ في مديح القديس بولس، عظة ١.

⁴ In 2Cor. hom 23. PG 61: 596.

⁵ Selected Sermons (Frs. of the Church, 5.

بتولي تهب حياة لطفولة المسيح الجديدة^١.

الأب بطرس خريستولوجوس

❖ هذا الذي أبرع جمالاً من بني البشر، ابن القديسة مريم، عريس الكنيسة المقدسة، هذا الذي أقامها على شكل أمه. فقد قدمها لنا لتكون أمًا لنا، واحتفظ بها لتكون عذراء له^٢.

❖ اسمع الرسول يقول لا للنساء المتدينات فحسب، بل لكل الكنيسة معاً: "خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراء عفيفة للمسيح". ولأن الشيطان مفسد البتولية أضاف: "ولكني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح". فإن قلة هم الذين لهم البتولية في الجسد، والتزموا بها في القلب^٣.

❖ لماذا يواجه بولس الحديث إلى كل هؤلاء الناس المختلفين بأنهم "عذراء عفيفة" ما لم يشر إلى إيمانهم ورجائهم وحبهم؟^٤

❖ الكنيسة مثل مريم، لها كمال لا ينتهك وإخصاب غير فاسد. ما استحقته مريم جسدياً راعته الكنيسة روحياً، مع استثناء أن مريم أنجبت طفلاً واحداً، أما الكنيسة فلها أطفال كثيرون معينون لكي يجتمعوا كجسدٍ واحدٍ لذلك الواحد^٥.

❖ أتريد أن تعرف كيف تكون الكنيسة عذراء؟ اسمع الرسول بولس، اسمع صديق العريس الغيور لا لنفسه بل للعريس... إنه يتحدث إلى الكنيسة. أية كنيسة؟ إلى كل من يمكن أن تصلهم رسالته... يقول "أخاف عليكم لئلا كما خدعت الحية حواء" جسدياً، هل فعلت ذلك؟... لقد حطمت بتولية قلبها...

هل تقولون لي: "إن كانت الكنيسة عذراء فكيف تتجب أطفالاً؟ أو إن كانت لا تتجب أطفالاً فكيف نقدم أسماء (العماد) لكي يولدوا منها؟"

أجيب: "إنها عذراء وتلد أيضاً أطفالاً" إنها تتمثل بمريم التي ولدت الرب.

ألم تلد القديسة مريم طفلها وبقيت بتولاً؟ هكذا أيضاً الكنيسة تلد أطفالاً وهي بتول. وإن أعطيت

¹ Selected Sermons (Frs. of the Church), 146.

² Sermons for Christmas and Epiphany (ACW), 13:2.

³ Sermons on New Testament Lessons, 43:4.

⁴ Feast of the Nativity, 188.

⁵ Feast of the Nativity, 195:2.

الأمر اعتبارًا خاصًا فإنها تلد المسيح لأن الذين يعتمدون هم أعضاؤه^١.

القديس أغسطينوس

❖ تُعرف نفوس كل الرجال والنساء إنها عروس المسيح، إن كانوا راغبين في حفظ الطهارة الجسدية وبتولية القلب. إذ يُفهم المسيح أنه عريس نفوسهم وليس أجسادهم البشرية^٢.

قيصريوس أسقف آرل

"ولكنني أخاف إنه كما خدعت الحية حواء بمكرها،

هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" [٣].

يعود الرسول بولس بهم إلى بدء الحياة البشرية حيث تسَلَّت الحية وبثت سمومها في حواء، فأفسدت بساطتها وحرمتها هي وأولادها من الاتحاد بالله. الآن في غيرة مقدسة يود الرسول ألا يسمح للمعلمين الكذبة، الحاملين لسم الحية القديمة، أن يبتثوا سموم تعاليمهم في الكنيسة، فيفسدوا بساطتها وشركتها مع المسيح يسوع عريسها الأبدي.

❖ حقيقة، تقول إنه يستخدم هذه الكلمات عن نفسه أيضًا حيث يقول: "أخشى لئلا بعدما كررت للآخرين، أصير أنا نفسي مرفوضًا"^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به،

أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه،

أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه،

فحسنًا كنتم تحتملون" [٤].

إذ لا يوجد سوى يسوع واحد هو مخلص العالم كله، والروح القدس الواحد الذي يقود الكنيسة ويقدها، وإنجيل واحد يعلن بشرى الخلاص، فلماذا يستمعون للمعلمين الكذبة الذين يهاجمون ذاك الذي كرز بينهم وأنشأ الكنيسة في كورنثوس؟

هل يكرز بيسوع آخر أو بروح آخر أو إنجيل آخر؟

أو هل يستطيعون هم تقديم هذا المخلص الواحد والروح الواحد والإنجيل أفضل من الرسول بولس؟

¹ Converts and the Creed, 213:7.

² Sermon 155:4, On the Ten Virgins.

³ In Ephes., hom. 22.

ماذا قدموا لهم؟

هل نالوا شركة مع يسوع أفضل من تلك التي تمتعوا بها خلال كرازة الرسول؟

أو هل نالوا مواهب روحية أكثر أو أفضل؟

أو هل نجحوا في الكرازة بالإنجيل أعظم مما فعل الرسول بولس؟

❖ كان هؤلاء الأشخاص يفتخرون كما لو كان تعليم الرسول غير كامل، وأنهم جاءوا بما هو أكثر مما قدمه الرسل. من المحتمل بهذا الحديث الذي بلا معنى جاءوا بنفايات لا يقبلها العقل يغطوا بها هذه التعاليم. لذلك أشار إلى الحية وحواء التي خدعت بتوقع معرفة أكثر. من المحتمل أنهم باستخدام الحكمة التي من الخارج تحدثوا بأمور لا معنى لها. ما يقوله هو هذا: إن كان هؤلاء الأشخاص قالوا بأمور أزيد، وكرزوا بمسيح مختلف ينبغي أن يكرز به، ونحن قد تجاهلناه فحسناً تحتملوهم...

ولكن إن كان هذا يجب ألا يُقال، ولم نقله نحن، أو إذا كانوا يقولون فقط بالأمور التي نحن قلناها، فلماذا أنتم تتشقون عنا هكذا متعجبين بهم؟... هكذا إن كان شيء ما كان يجب أن يقال ونحن تجاهلناه، وهم حقوقه فإننا لا نمنعكم من الإصغاء إليهم، ولكن إن كان كل شيء قد تم بالكامل بواسطتنا ولم ننقصكم شيئاً فمن أين لهم أن يردوكم عنا؟¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. سمو علمه

"لأنني أحسب إنني لم انقص شيئاً عن فائقي الرسل" [٥].

إنه لم ينقص عن فائقي الرسل متقال ذرة؛ في كرازتهم بيسوع المسيح المخلص، وخدمتهم بالروح، ونشرهم لإنجيل الخلاص. إنهم ليسوا بأكثر أثراً مما فعله الرسول بولس.

"وإن كنت عامياً في الكلام،

فلست في العلم،

بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين الجميع" [٦].

إن كان يلتزم أن يتحدث معهم في بساطة بلا تكلف، كرجل عامي لا يستخدم البلاغة، لكنه ليس

¹ In 2 Cor. hom 23. PG 61: 597-598.

بلا خبرة في معرفة الله، وفي الأمور السماوية الروحية، أو في معرفة طبيعة النفس البشرية، أو الحق الإنجيلي. إنهم شهود له عن خبرته وعلمه في كل هذه الجوانب. ما كان يشغل قلب الرسول هو تقديم الحق لا إبراز بلاغة اللغة. ربما كان قادراً أن يتحدث بفصاحة، لأن ثقافته هيلينية، لكنه كان يهتم باللغة التي تعبر به إلى قلوب سامعيه، وهي لغة الحب مع البساطة والحكمة.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يقصد بفائقي الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا^١.

❖ إذا فرضنا أن الرسول كان فقيراً في الكلام، وكانت لغته بسيطة إلا أنه لم يكن أمياً في المعرفة^٢.

❖ واضح أن الرسل الكذبة كان لديهم موهبة البلاغة التي نقصت بولس. ولكنه لا يعني شيئاً مادام جوهر الكرازة قائم، وتلقي ظلاً على مجد الصليب، فهذه (البلاغة) ليست إلا مظهرًا جذاباً^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان بولس متعلماً الأدب العبري، جلس عند قدمي غملائيل هذا الذي لم يخجل من أن يعترف بذلك (أع ٢٢: ٣)، لكنه أظهر استخفافاً بالبلاغة اليونانية، أو على الأقل أخذ موقف الصمت بالنسبة لها بسبب تواضعه، حتى لا تكون كرازته قائمة على اقناع كلماته بل على قوة آياته^٤.

القديس جيروم

❖ بدون الرب يسوع وعمل قوته الإلهية لا يستطيع أحد أن يعرف أسرار الله وحكمته... فلاسفة الله هم أولئك الذين ينقادون بالقوة الإلهية، ويقتاتون وينضبطون بها في الإنسان الباطن. يتعلم الفلاسفة اليونانيون صناعة الكلام، بينما الآخرون هم "عاميون في الكلام"^٥.

القديس مقاريوس الكبير

٣. رفضه حقه في الإعالة منهم

"أم أخطأت خطية إذ أذلت نفسي،

كي ترتفعوا أنتم،

¹ In 2 Cor. hom 23. PG 61: 598.

² On Priesthood, book 4:6.

³ In 2 Cor. hom 23:3.

⁴ Against Rufinus 1:17.

⁵ Sermon 17:10.

لأنني بشرتكم مجاناً بإنجيل الله" [٧].

أساء المعلمون الكذبة استغلال محبة الرسول بولس، فإذ سبق في الرسالة الأولى وسجل لهم عن تنازله عن أحد حقوقه الرسولية، وهي أن يعيش من الإنجيل الذي يكرز به، متسائلين: لماذا يعمل بيديه ليعيش هو ومن معه بينما يعيش بقية الرسل على الكرازة؛ وتلتزم الكنائس بمثونتهم؟ اعتبروا هذا نوع من عدم المساواة مع الرسل. وقد أجاب عليهم بالقول: "إذ أذلت نفسي كي ترتفعوا أنتم". حسب المعلمون الكذبة أن ممارسته للعمل اليومي العادي يتنافى مع تكريس الرسول الحقيقي لكل وقته للعمل الكرازي.

لم يكن دافع الرسول في هذا سوى أن يعطي لهم الفرصة ليقبلوا الكلمة دون عائق مادي، أو دون أن يتنقل عليهم بأية التزامات.

يرى أمبروسياستر^١ أن القديس بولس فعل ذلك مقابل اهتمام الرسل الكذبة بالكرازة لا لمجد الله وإنما لنفعهم الخاص. وربما فعل ذلك لكي لا يفقد سلطانه في مراقبة الخطاة بسبب اعالتهم له.

"سلبت كنائس أخرى، آخذاً أجره لأجل خدمتكم،

وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت،

لم أثقل على أحد" [٨].

بقوله "سلبت كنائس أخرى" يظهر الرسول بولس أن هذه الكنائس لم تقف عند تشجيعه في خدمته أهل كورنثوس، بل قدموا له عوناً مالياً ضخماً لحساب هذه الخدمة.

ولعله بهذا يود أن يلمح إلى قبوله مساهمات أهل مكثونية لأنهم اصلحوا طرقهم، ورفض مساهمات أهل كورنثوس حتى يحققوا الإصلاح وعندئذ يقبل المعونة منهم.

كلمة *opsoonion* هنا تعبير عسكري يشير إلى ما يتسلمه الجندي من مالٍ ومثونة يومية حتى يتفرغ للعمل العسكري. وكأنه يقول لهم: "لم ألزكم بشيء، إنما سلبت كنائس أخرى لأتسلم منها قوتي اليومي، وضروريات الحياة اليومية من طعام وملبس أثناء خدمتي وكرازتي لأجل خلاصكم، فهل تحسبون هذا جريمة؟ أو تحسبونه إهانة للعمل الرسولي؟"

ربما يتساءل البعض: لماذا أحياناً يرفض الرسول الإعالة من الكرازة وأحياناً يقبلها؟ يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم قائلاً:

¹ CSEL 81:284.

❖ كان إنسانًا ذا نواحٍ عديدة وأوجه كثيرة، ولا أعني بذلك أنه متصنع، حاشا لله. ولكنه صار لكل الناس كل شيء، حسب ما تتطلبه احتياجات الإنجيل وخلص البشرية. فصار بذلك مُتشبهًا بمعلمه (السيد المسيح).

ظهر الله نفسه كإنسانٍ حينما تطلب الأمر ذلك، وظهر في العهد القديم كنارٍ عندما اقتضى الأمر. نراه في زيّ المحارب المستعد، أو في احتياج الرجل المسن، أو في نسمة الريح، أو كمسافرٍ كإنسانٍ حقيقيٍّ وفي هذه الحالة لم يرفض الموت.

وإني أجد ضرورة تكرار عبارة "حينما لزم الأمر" لئلا يظن أحد أن الله مُلزم أن يفعل ذلك، بل فعل كل تلك الأشياء من نبع حبه للإنسان. تارة جلس على عرش، وأخرى على الشاروبيم، وعمل الله ذلك حسبما تطلب الأمر في ذلك الوقت.

وإذ تمثل بولس بسيد لا نلومه، إذ نراه مرة كيهودي ومرة أخرى كألمي، مرة يدافع عن الناموس وأخرى ضده، تارة يتمسك بالحياة الحاضرة وأخرى يستخف بها، تارة يطلب مساعدته في الاحتياجات وأخرى يرفض العطايا، تارة يقدم الذبائح ويحلق رأسه وأخرى يعتبر من يفعل ذلك أناثيما (أي محرومًا)، تارة يسمح بالختان وأخرى يُحاربه ويمنعه. فما عمله بولس يظهر من الخارج نوع من التناقض، ولكن الهدف والحكمة وراء ما عمله مُقنع جدًا حسبما يتطلب الموقف^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يظهر الرسل الكذبة أنهم صالحون على السطح، لكن عمليًا كانوا يسلبون النفوس. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنهم بالحق يأخذون مالاً مع أنهم حرصوا على إخفاء ذلك]^٢.

"لأن احتياجي سدّه الإخوة الذين أتوا من مكدونية،

وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقیلٍ عليكم، وسأحفظها" [٩].

حين كان حاضراً في كورنثوس يركز فضّل ألا يطلب شيئاً من أحدٍ حتى ضروريات الحياة، حتى لا يُثقل عليهم، بل طلبها من الذين حضروا من مكدونية. فمن الذي يُلام: الرسول أم أهل كورنثوس؟ ربما يشير هنا إلى المئونة التي بعثت بها الكنيسة في فيلبي بمكدونية، إذ وهو في تسالونيكي بعث إلى أهل فيلبي يقول لهم بأنهم أرسلوا له ضرورياته مرة ومرتين (في ٤: ١٥-١٦).

"حق المسيح فيّ،

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

^٢ In 2 Cor. hom 24:1.

إن هذا الافتخار لا يُسد عني في أقاليم أخائية" [١٠].

يرى البعض أن هذا نوع من القسم بأنه ينطق بحق المسيح الذي فيه، ويرى آخرون أنه تعبير عن الثبات في الحق الذي ليس خارجاً عنه، بل هو ساكن فيه. يؤكد الرسول أن كرازته بلا مقابل حتى ولا بالضروريات، ليس فقط في كورنثوس، وإنما في كل مقاطعة أخائية.

"لماذا، ألاني لا أحبكم؟

اللَّهُ يعلم" [١١].

خشى لئلا يعود فيوقع المعلمون الكذبة بينه وبينهم، بدعوى أنه لم يطلب منهم مؤنثته الضرورية، وطلبها من غيرهم أثناء إقامته عندهم، بسبب نقص في محبته لهم أو عدم الثقة فيهم. لهذا أكد محبته لهم، مقدماً الله نفسه شاهداً على ما يكتبه.

"لكن ما أفعله سأفعله،

لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة،

كي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به" [١٢].

يبرر التجاهل إلى آخرين لنوال مؤنثته أنه لا يريد أن يعطي فرصة للمعلمين الكذبة أن يفتخروا بأنهم لا يطلبون أجره بينما يطلب الرسول ذلك، فيتهمونه بالمادية والطمع.

٤. خداع الرسل الكذبة

"لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة،

فعلة ماكرون،

مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" [١٣].

يستغل المعلمون الكذبة كل فرصة لإفساد الخدمة، وتشويه الحق، والتشكيك في شخصية الرسول بولس وهم يتظاهرون بعدم نوال أجره، وأنهم روحانيون، حتى يبدو كأنهم رسل للمسيح وليسوا مخادعين. لكن حتماً سيظهروا فيما بعد على حقيقتهم أنهم فعلة ماكرون. ينادون باسم المسيح ويكرزون ويعملون بقوة، لكن تعاليمهم وحياتهم مملوءة خداعاً.

"ولا عجب،

لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور" [١٤].

لا عجب، فإن هؤلاء الكذبة يمارسون أعمال أبيهم الكذاب والمخادع، إبليس، الذي يغير شكله إلى

شبه ملاك نور. لقد ظهر لأول أم، حواء، كمن يقدم لها مشورة صالحة وينير ذهنها لمعرفة حقائق مجهولة بالنسبة لها، فخدعها وقادها إلى العصيان.

يتشكل عدو الخير بكل الطرق للخداع، تارة يتحدث خلال حياة ماكرة، وأخرى يظهر كأسد زائر، وثالثة كملاك نور الخ. كل هذا لكي يفسد حياة المؤمن الروحية ويحرمه من بركات الخلاص.

❖ اخترع الهرطقات والانشقاقات لكي يتلف الإيمان، ويفسد الحق، ويحطم الوحدة. وإذا يعجز عن أن يحفظنا في طرق الخطأ الجديد المظلمة يسحبنا إلى متاهة جديدة للخداع.

إنه يصطاد الناس بعيداً عن الكنيسة نفسها، وإذا يظنوا أنهم اقتربوا من النور وهربوا من ليل العالم يغمروهم في ظلمة جديدة وهم غير مدركون لها.

ومع أنهم لا يتمسكون بالإنجيل ونظام المسيح وناموسه يدعون أنهم في النور خلال مDAHنات العدو المخادعة، هذا الذي يقول عنه الرسول أنه يغير نفسه إلى ملاك نور ويزين خدامه كخدام للبر.

يدعون الليل نهاراً، والموت خلاصاً، واليأس رجاءً، والخيانة أمانة، وضد المسيح المسيح، ويثبط الحق بالخداع بإبراز الحق بصورة كاذبة.

هذا هو ما يحدث يا إخواني عندما لا نعود إلى ينبوع الحق، عندما لا نتطلع إلى الرأس ونحفظ التعليم الصادر من السماء¹.

القديس كبريانوس

يقدم لنا القديس جيروم تفسيراً لماذا يتخفى الشيطان في شكل ملاك نور؟ يقول بأن العروس تطلب عريسها السماوي في الظهيرة (نش:١:٧) حيث نور المعرفة الكاملة ونور الأعمال الصالحة، لهذا يتخفى العدو في الهراطقة والمعلمين الكذبة، فيظهرون كمن هم مشرقون بنور المعرفة ويعدون بملكوت السموات خلال تعاليمهم الزائفة، مقدّمين نور الشيطان الخادع، لا نور المسيح السماوي.

❖ أتريدون أن تجديني؟ تجديني عند الظهيرة، في كمال المعرفة، في الأعمال الصالحة، في النور البهي. وإذا لنا الظهيرة لهذا يغير الشيطان نفسه كملاك نورٍ ويبدو كمن له النور والظهيرة. عندما يعد الهراطقة بما يدعوه من أسرار، ويعدون بملكوت السموات، ويعدون بالعفة والأصوام والقداسة ونبذ العالم إنما يعدون بالظهيرة. وحيث أن ظهيرتهم ليست نور المسيح فإنها ليست بالظهيرة بل

¹ The Unity of the Catholic Church, 3.

ظهيرة شيطان^١.

القديس جيروم

❖ ملاك النور هو كائن يتكلم بحرية حيث يقف بالقرب من الله، هذا ما يتظاهر به إبليس^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم،
كخدام للبر،

الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم" [١٥].

إن كان خدام إبليس يتشبهون به، فيخدعون الآخرين كخدام للبر، فإن هذا لن يستمر بل يبقى إلى حين، وتصير نهايتهم باطلة كما أن أعمالهم باطلة.

❖ من عادة إبليس أن يقلد الأمور الخاصة بالله. إنه يقيم رسلاً كذبة ليقاوموا الرسل الحقيقيين، ويأخذ شكل ملاك لكي يخدع البشر^٣.

ثيودورت أسقف قورش

❖ من يمدح الفضيلة وفي نفس الوقت يخفي أخطاءه، فيأخذ الناس عنه فكرة طيبة، فهو كاذب. لأنه يتحدث عن الفضيلة كمن قد اقتناها أو لكي يدين الآخرين. هكذا فإن الأشرار والهرطقة مثل الشيطان، لأنهم يخدعون الآخرين، لأن الفضيلة التي فيهم مزيفة وغير حقيقية، لأنه مكتوب: "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور". فلا عجب إذا كان خدام الشيطان أنفسهم يغيرون شكلهم إلى شبه رسل البر^٤.

القديس دوروثيوس

❖ ليس شيء سوى رحمة الله هي التي يمكنها أن تخلص الإنسان من خطاه حيث يظن الملائكة الأشرار أنهم ملائكة صالحون، والأصدقاء الكذبة أصدقاء حقيقيون، وتتفذه من المعاناة من دمار كامل خلال الخداع الشيطاني المميت تمامًا ولا يُعبر عنه بكلمات^٥.

القديس أغسطينوس

¹ On Ps., hom. 20.

² In 2 Cor. hom 24:1.

³ PG 82:442.

⁴ On Lying.

⁵ City of God 19:9.

٥. احتمال غباوة افتخاره

"أقول أيضًا لا يظن أحد إنني غبي،

وإلا فاقبلوني ولو كغبي،

لأفتخر أنا أيضًا قليلاً" [١٦].

إذ يبدأ الحديث في شيء من التفصيل عن مؤهلاته وسمادته وجهاده في الخدمة خشي أن يُتهم بالغباوة كمن يطلب مجداً لنفسه.

"الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب،

بل كأنه في غباوة،

في جسارة الافتخار هذه" [١٧].

ما سينطق به ليس بحسب الرب، لأن الرب لا يريدنا أن نفتخر بما نعمله. وقد خشي الرسول لئلا يجدوا في كلماته فرصة لكي يفتخر كل واحد بما أنجزه أو احتمله من آلام من أجل الخدمة. وكأنه يخبرهم بأنه يفعل ذلك كمختل العقل، كأمر استثنائي للغاية لتأكيد رسوليته.

❖ لا تقولوا لي عما كتبه في رسائله، لأن ما احتفظ به في داخله أكثر مما أفصح عنه. فلم يُح بكل ما في داخله حتى لا يُتهم بالافتخار، ولكنه أيضًا لم يلتزم الصمت في كل شيء، لأن هذا سيقوم عليه ألسنة الأنبياء الكذبة ضده.

لم يفعل شيئاً بطريقة عشوائية، ولكن كان كل شيء بنظامٍ وتخطيطٍ جيد. فكل أعماله بجوانبها المتعددة تتميز بالمديح (العالمي) من الجميع.

دعوني أستقيض في ذلك، إنه لشيء جيد عدم الافتخار بالنفس، ولكن بولس تكلم بتلقائية شديدة، حتى أنه مُدح على كلامه أكثر من لو بقي صامتاً. لأنه لو التزم الصمت لاستحق النقد أكثر من هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم بخزي.

لو لم يتغنى بأعماله لفقد كل شيء وقوي أعداؤه.

لقد عرف كيف ينتفع من كل فرصة متاحة وبالطريقة الملائمة، عرف ما هو خطأ، ولذا كسب مجد طاعة الوصية.

اكتسب بولس مجداً بافتخاره أكثر ممن اكتسبه أي شخص آخر أخفى أعماله الصالحة، لأنه لا يوجد شخص آخر أخفى أعماله الصالحة، ونال ما حصل عليه بولس الرسول بالكلام (بالافتخار).

الأمر العجيب ليس في أنه تحدث عن نفسه، ولكن أنه تحدث بالقدر الملائم الصحيح، فلم يستفرض في وصف المواقف الصالحة حتى لا يقع في مديح النفس، لكنه عرف متى وأين يتوقف. ولم يفعل ذلك إرضاءً لنفسه، ولكنه وصف نفسه كمختل ليوقف الآخرين عن الانغماس في مديح النفس من أجل المديح ذاته، لأنه فعل ذلك فقط في المواقف التي تطلبت ذلك^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بما أن كثيرين يفتخرون حسب الجسد،
أفتخر أنا أيضًا" [١٨].

بقوله: "يفتخرون حسب الجسد" يشير إلى المؤمنين الذين من أصل يهودي الذين يفتخرون حسب الجسد أنهم من أصل عظيم لأنهم أبناء إبراهيم حسب الجسد. إن كان كثيرون يفتخرون بأمر خارجي وزمني، فمن جهته يستطيع أن يفتخر مثلهم وإن كان لا يريد أن يفتخر هنا.

❖ ما هذه الأمور الزمنية التي يفتخر بها بولس؟ ميلاده، غناه، حكمته، شعبيته. إنه يعرف تمامًا أنه ليس شيء من هذه الأمور لها أدنى قيمة. هذا هو السبب الذي لأجله دعى نفسه غيبًا^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإنكم بسرور تحتلمون الأغبياء،
إذ أنتم عقلاء" [١٩].

لعل الرسول حسب هؤلاء المعلمين الذين ينادون بضرورة التهود، أي ممارسة الختان وحفظ السبت الخ. أغبياء، إذ يسلكون حسب الجسد مع اهتمامهم باقتناء الكرامة الزمنية وغيرها، هؤلاء احتملهم الكورنثيون.

ربما يتحدث هنا بأسلوب فيه نوع من السخرية حيث ادعى الكورنثيون أنهم حكماء، واستطاعوا بالحكمة أن يدركوا إن الرسول غبي. إن كان الكورنثيون يحسبون أنفسهم حكماء، والحكيم يحتمل غباوة الآخرين وضعفاتهم، فلماذا لم يحتملوا الرسول بولس إذ ظنوه غيبًا.

"لأنكم تحتلمون إن كان أحد يستعبدكم،

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

^٢ In 2 Cor. hom 24:2.

إن كان أحد يأكلكم،

إن كان أحد يأخذكم،

إن كان أحد يرتفع،

إن كان أحد يضربكم على وجوهكم" [٢٠].

إذ حسبوا أنفسهم حكماء ظنوا أنهم قادرون على احتمال الضعفاء؛ وبهذا صمتوا أمام المعلمين الكذبة الذين استعبدوهم بأفكارهم الخاطئة وافسدوا حياتهم، وتشامخوا عليهم، بل وضربوهم على وجوههم، إذ جعلوهم في خزي. كل ذلك لأنهم غير مختونين ولم يحفظوا الناموس حرفياً. يرى البعض إن هؤلاء المعلمين كانوا يهوداً ينادون بضرورة التهود، أي ممارسة القوانين والشرائع الموسوية حرفياً كالختان وحفظ السبت وشرائع التطهيرات. هكذا استعبدوهم للحرف القاتل، وصاروا يأكلونهم كما يفعل الفريسيون الذين يظلمون الأرامل ولعة يطيلون الصلوات، ويأخذونهم إلى المجامع اليهودية، ويطالبونهم بالذهاب إلى الهيكل في أورشليم. ينتفخون عليهم بكونهم أولاد إبراهيم من شعب الله المختار الذي له المواعيد والعهد فهم أعظم من كل المسيحيين الذين من أصل أممي. ويضربونهم على وجوههم إذ يهينوهم، ناظرين إلى الأمم كلاب لن يبلغوا مرتبة أبناء إسرائيل.

٦. افتخاره حسب الجسد

"على سبيل الهوان أقول كيف أننا كنا ضعفاء،

ولكن الذي يجترئ فيه أحد،

أقول في غباوة أنا أيضاً اجتري فيه" [٢١].

من أجل التوبيخ لا من أجل الافتخار اضطر بولس الرسول أن يعلن أن ما يفخر به هؤلاء المتهودون يمكنه أن يفخر به أيضاً، حاسباً إن هذه الأمور ليست موضوع فخر، بل موضوع ضعف تحرر منها ليعيش بروح القوة.

❖ ما يريد أن يقوله هو هذا: ألا نستطيع نحن أن نفعل كل هذه الأمور؟ نعم، لكننا لا نفعلها. لهذا هل تحتلمون هؤلاء الناس كأننا لا نقدر أن نفعل نحن مثلهم؟... فإن هذا هو نوع جديد من الخداع. فإن الذين يخدعون يعطون ويتملقون، أما هؤلاء فيخدعون ويأخذون ويهينونكم. ليس لكم عذر ما، فإنه من جانب أنتم تهينون الذين يتواضعون من أجلكم لكي تفتخروا أنتم، ومن الجانب الآخر تدهشون ممن يفخرون لكي ما تهانوا أنتم. أفلا نستطيع أن نفعل هذه الأمور مثلهم؟ نعم،

لكننا لا نرغب في ذلك؛ فاننا نطلب نفعكم^١.

❖ يعني بولس بهذا أنه يستطيع أن يفعل كل الأشياء المشار إليها هنا، لكنه لا يفعل ذلك. بينما يفتخر الرسل الكذبة بالكورنثيين علانية ويسلبونهم سرًا. ويبدو أن الشعب لم يدرك ذلك إذ خدعهم^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أهم عبرانيون؟

فأنا أيضًا.

أهم إسرائيليون؟

فأنا أيضًا.

أهم نسل إبراهيم؟

فأنا أيضًا" [٢٢].

يبرز الرسول هنا أنه ليس بأقل من هؤلاء المعلمين الذين يفتخرون من جهة الجسد، إذ لا ينقصه عنهم شيء، وهو بهذا يؤكد أن اتهاماتهم ضده باطلة.

من جهة المولد هم عبرانيون ويعتزون بذلك، والرسول أيضًا عبراني مثلهم، لكنه يعتز بأنه صار كارتزًا بالكنيسة التي لا تتحيز لجنسٍ دون آخر، بل يصير الكل أعضاء في جسد المسيح الواحد. هم يتحدثون بالعبرية ويقرأون العهد القديم باللغة التي كتب بها. إنها لغته، لكنه يتدرب على لغة السماء. هم إسرائيليون، يحسبون أنفسهم من شعب الله المختار، وهو أيضًا إسرائيلي من نسل يعقوب لا عيسو، هو من سبط بنيامين عن أبيه وأمه. لكنه يرى إسرائيل الجديد الذي هو عروس المسيح الحقيقية تضم من كل الأمم والألسنة والشعوب.

هم يفتخرون أنهم من نسل إبراهيم، أبناء الختان وأصحاب العهد. ليكن، والرسول من نسل إبراهيم، خُتن في اليوم الثامن لميلاده وعاش ينتظر التمتع بالوعود الإلهية. الآن هو ابن لله يمارس أعمال أبيه السماوي.

٧. أتعاب الرسول الخارجية

"أهم خدام المسيح؟

¹ In 2 Cor. hom 24. PG 61: 608

² In 2 Cor. hom 24:2.

أقول كمختل العقل: فأنا أفضل،

في الأتعاب أكثر،

في الضربات أوفر،

في السجون أكثر،

في الميئات مرارًا كثيرة" [٢٣].

بعد أن استعرض ما يفتخرون به من جهة مولدهم وجنسهم كيهودٍ عبرانيين لهم حق نوال العهود والمواعيد الإلهية، واضطر أن يعلن عن نفسه أنه يحمل ذات الميزات التي لهم، لكنه يراها ليس موضوع قوةٍ وفخرٍ بل هي ضعفات، الآن إذ يفتخرون أنهم خدام المسيح، فكمختل العقل يقول أنه أفضل منهم. إنه ليس بخادم للمسيح عادي، فقد حسبه الله أمينًا ودعاه للخدمة. أما من جانبه ففاقهم في أعمال الرسولية.

إنه يعتز بنعمة الله التي قادته وسندته لكي يحتمل أتعاب في الرسولية أكثر منهم. كرسولٍ للأمم أبغضه اليهود جدًا، وكالوا له متاعب واضطهادات أكثر مما فعلوه مع غيره من الرسل. كلما حانت الفرصة لمقاومته بذلوا كل الجهد لتعذيبه ومحاولة قتله.

من جهة الأتعاب كان كثير الترحال من بلدٍ إلى بلدٍ، من مقاطعةٍ إلى أخرى. وكثيرًا ما كان يضطر إلى الانطلاق للكراسة في بلاد أخرى تحت ضغط اليهود والمقاومين له والمصممين على قتله. كان يلمس يد الله التي تحول هذه المتاعب لانتشار الكرازة وإقامة مملكة النور عوض الظلمة في مواضع كثيرة.

من جهة الضربات فهي أوفر، فقد تعرض لضربات الوثنيين الذين لا يحكمهم قانون معين في وضع العقوبات، فضربوه بلا رحمة بجلدات كثيرة (١٦: ٢٢-٢٣).

"في السجون أكثر": تاريخ الرسول بولس كله مليء بالسجون (أع ٢١: ١١)، وقد سجن على الأقل لمدة عامين في روما (أع ٢٨)، لكن لم يسمعوا عن رسول كاذب قد سجن.

"في الميئات مرارًا كثيرة"، كان يتربص الموت كل يوم بسبب كثرة ما تعرض له من اضطهادات.

❖ ليس من أحد آخر وُهب له مثل هذا الحب للرب مثل هذه الروح الطوباوية. أقصد كأنه قد تحرر من الجسد وارتفع في الأعالي، قل أحسبه كمن وطأ الأرض وخلص نفسه من كل هذه العلامات. أنتم ترون أن شوقه لله وحيه الملهب رفع فكره من الأمور المادية إلى الروحية، من الحاضر إلى المستقبل، من المنظورات إلى غير المنظورات. هذا ما يجلبه الإيمان، الحب لله فوق كل شيء.

لكي تبرهن هذا الاتجاه السليم تطلعون إلى هذا الرجل بحبه العظيم للرب، ورغبته المتقدمة نحوه. كان مُطارِدًا ومُضطَهَدًا وتحت العقوبة، وتحت آلام لا حصر لها...
وإذ كان يعاني من كل هذه الأمور فرح وابتهج. ها أنتم ترون كيف كان مقتنعًا تمامًا بأن أتعاب الحياة الحاضرة هي فرصة لينال مكافأة عظيمة. وأن الأخطار هي مصدر الإكليل.
أضف إلى هذا إن كان بدافع الحب لراحيل حسب يعقوب فترة السبع سنين كأيام قليلة كم بالأكثر هذا الطوباوي حسب كل هذه الأمور كلا شيء بسبب التهايه بحب الله واستعداده لاحتمال كل شيء من أجل محبته للمسيح.
أسألكم أيضًا اهتموا بمحبة المسيح. فالمسيح لا يطلب منكم شيئًا، سوى أن تحبوه من كل قلوبكم وتقبلوا وصاياه كما يقول الكتاب المقدس^١.

❖ تقول: نجد في الكتاب إعجابًا بـيعقوب بن إسحق وذلك لقوته (تك ٣٢: ٢٨). لكن أي نفس، مهما بلغت صلابتها، تعادل قوة احتمال بولس؟! لقد احتمل العبودية ليس فقط لمدة أربعة عشر عامًا (تك ٢٩: ١٨، ٢٧) بل كل أيام حياته من أجل عروس المسيح. احتمل ليس حر النهار وبرد الليل فحسب، بل عواصف من التجارب لا تُحصى، من جلدٍ ورجمٍ ومصارعة وحوشٍ مفترسة وأخطارٍ في البحر وأصوامٍ متواصلة نهارًا وليلاً وعُريٍ وأخطارٍ في كل موضع (٢ كو ١١: ٢٣ الخ) حتى يتفادى الشباك ويخطف الحملان من بين أنياب الشيطان^٢.

❖ إنه يعرف حسنًا أن يصحح تلاميذه في الوقت المناسب، بطريقة جادة ولطيفة. بالتأكيد لديه مصادر أخرى كأن يوضح بها الحق الخاص بكرارته وآيات وعجائب، مع مخاطرٍ وسجونٍ، وميتاتٍ يومية، وجوعٍ وعطشٍ، وعريٍ وما أشبه ذلك. الآن لا يتحدث عن الرسل الكذبة بل عن الرسل الحقيقيين الذين اشتركوا في ذات المخاطر، مستخدمًا وسيلة أخرى. فإنه عندما أشار إلى الرسل وضع مقارنة معهم مظهرًا احتمالاً للخطر، قائلاً: "أهم خدام المسيح؟ ... فأنا افضل أكثر، في الضربات أوفر، في الميتات مرارًا كثيرة"^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة" [٢٤].

^١ In Gen. Hom 55.

^٢ في مديح القديس بولس، عظة ١.

^٣ In Galat., hom. 1.

جُلد خمس مرات من اليهود هؤلاء الذين لا تسمح لهم الشريعة بالجلد سوى أربعين جلدة (تث ٣: ٢٥). فمن أجل تنفيذ الناموس جلدوه ٣٩ جلدة حتى لا يخطئوا في العدد فيكسروا الناموس. وقد سبق لنا الحديث عن ذلك في تفسير سفر التثنية.

حسب المشناة الإنسان الذي لا يحتمل الأربعين جلدة يُجلد ١٨ جلدة، ويُحسب أنه قد وفى كل العقوبة^١.

كان المحكوم عليه بالجلد تُرِبط يداه في عمود، ويقوم خادم المجمع بنزع ثيابه أو تمزيقها حتى يصير ظهره وصدرة عريانين. يوضع حجر خلفه يجلس عليه الخادم منفذ الحكم ويمسك بالسوط الذي من الجلد غالبًا به ثلاثة فروع. تُلث الجلادات على صدر المجرم، والتُلث على كتفه الأيمن والتُلث الباقي على كتفه الأيسر. يضرب الخادم بكل قوته، أما المجرم فينحني، لا يكون جالسًا أو واقفًا. لم يكن يُسمح بالجلد أكثر من مرة إلا بالنسبة للمجرمين العتاة جدًا.

❖ انظروا كيف لا يفتخر في أي موضع بصنعه الآيات بل باضطهاداته وتجاريه!... في كل موضع نجده في اضطراب وفي ثورة مما يحل عليه من ذويه ومن الغرباء. هذه شخصية رسولية؛ بهذه الأمور يُنسج الإنجيل^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ثلاث مرات ضربت بالعصي،

مرة رجمت ثلاث مرات،

انكسرت بي السفينة،

ليلاً ونهارًا قضيت في العمق" [٢٥].

ضُرب بالعصي وذلك حسب القانون الروماني، وقد حدث ذلك في فيليبي (أع ١٦ : ٢٢)، أو تكرر ذلك مرتين أخريتين في مناطق أخرى.

رجم في لسترة (أع ١٤ : ١٩)

انكسرت به السفينة

قضى في العمق، أي في زنزانة في السجن الداخلي كسجين نهارًا وليلاً.

❖ يعجب الناس من إسحق في أمور كثيرة، خاصة صبره. فقد حفر آبارًا (تك ٢٦ : ١٨)، وحين

¹ Mishna, Maccoth, Fol 20, 10.

² In 2 Cor. hom 25. PG 61: 614-615

نُزعت عنه أملاكه لم يتشاجر بل سمح بردم آباره، وكان دائم الترحال من مكانٍ إلى آخر. لم يحشد قواته ضد العدو، بل كان يرحل تاركًا وراءه ممتلكاته حتى يُشبع عدوه رغبته في الظلم. أما بولس فحين رأى ليس آباره تُردم بالتراب بل جسده يُرجم بالحجارة لم يرحل من مكانه كما فعل هذا الرجل، بل جرى وراء راجميه وجاهد، حتى يقودهم إلى السماء. كلما سُدت الآبار كلما فُجّر بالأكثر فيه أنهار الاحتمال^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بأسفارٍ مرارًا كثيرة،

بأخطار سيول،

بأخطار لصوص،

بأخطار من جنسي،

بأخطار من الأمم،

بأخطار في المدينة،

بأخطار في البرية،

بأخطار في البحر،

بأخطار من إخوة كذبة" [٢٦].

"في أسفارٍ مرارًا كثيرة": يتحدث هنا عن أسفاره من أجل الكرازة والاهتمام بالكنائس.

"بأخطار سيول"، يفهم من الكلمة اليونانية *potamoon* أنها أنهار. وكما يقول أمبروسياستر كان الرسول في خطر من الأنهار في الشتاء حيث كان المطر ينهمر، دائمًا والأنهار تفيض على شواطئها.

"بأخطار لصوص": غالبًا ما هوجم من لصوص وقطاع طرق، ولكنه كشخص فقير لا يملك شيئًا لم يصبه ضرر في شيء، لكنه كان في خطر عظيم.

"بأخطار من جنسي": تطلع إليه اليهود كأخطر مرتدٍ عن الإيمان ومقاومٍ للناموس الموسوي، حتى دبّروا مؤامرة لقتله (أع ٢٣: ١٢).

"بأخطار من الأمم" التي انطلق ليكرز بينهم.

"بأخطار في المدينة": فقد وضعت فتن مختلفة ضده خاصة في أورشليم وأفسس ودمشق.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ١.

"بأخطار في البرية" التي التزم بأن يعبر بها أثناء رحيله من مدينة إلى أخرى، إذ كان يتعرض إلى قطاع الطرق والوحوش المفترسة كما إلى البرد القارص ليلاً والحر الشديد في الظهيرة، وربما إلى جوع وعطش.

"بأخطار في البحر" حيث يتعرض لقراصنة البحار أو الزوابع الشديدة. يشير هنا إلى خطر انكسار السفينة حين أراد الجند أن يقتلوا المسجونين الذين على السفينة لئلا يهربوا إن تركوهم يسبحون (أع ٢٧: ٤٢-٤٤).

"بأخطار من إخوة كذبة": هؤلاء الذين تظاهروا بالإيمان بالمسيح وانضموا إلى الكنيسة، لا لبنيانها بل لهدمها، ولكي يجدوا علة على الرسول بولس، فيثيروا الكنيسة في كورنثوس ضده. كما عانى أيضاً من المرتدين.

❖ تقول: يُعجب كل بشر بأيوب، وهو بحق يستحق ذلك، فإنه حارب في معركة عظيمة، ويمكن أن يقف في مقارنة مع بولس في صبره، وفي طهارة حياته، وشهادته لله، وصراعه الشجاع مع الشيطان، ونصرته التي أنهى بها صراعه. لكن صراع بولس استمر ليس بضعة أشهر فحسب بل سنوات طويلة. كان دائماً يندفع في فم الأسد، ويصارع في مواجهة تجارب بلا عدد، مثبّتاً أنه أكثر قوة من أية صخرة. لم يلعبه ثلاثة من الأصدقاء أو أربعة بل كل الإخوة الكذبة الخائنين، أفترى عليه، تُقل عليه وُثْم^١.

❖ بالحقيقة إن غيرته الزائدة لم تُشعره بالآلام المصاحبة لحياته في الفضيلة. ولم يكن ذلك الأمر هو الوحيد العظيم في حياته، وإنما أيضاً لم يكن له دافع خفي وراء سعيه نحو الفضيلة. إننا نتخاذل في تحمّل الآلام من أجل الفضيلة حتى لو عُرضت علينا المكافأة مُقدّماً، لكن بولس احتضن الآلام بمحبة بلا مُقابل، وتحمل بكل فرح ما اعترضه من صعوبات وعوائق في طريق الفضيلة. فلم يتضايق من ضعف الجسد أو ضغوط المسؤولية أو بطش العادات ولا من أي شيء آخر.

علاوة على ذلك فاقت مسؤولياته كل مهام القادة والملوك، لكنه كان يزداد في الفضيلة يومياً. وصار ازدياد المخاطر سبباً في التهاب غيرته بالأكثر، فقال "أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو

^١ في مديح القديس بولس، عظة ١.

قدام" (في ٣ : ١٣)^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقتني البعض وظيفة الرعاة المكرمة لكي يرعوا قطيع المسيح، وآخرون يحتلون هذا لمركز لكي يتمتعوا بكرامات زمنية ومكاسب عالمية ترتبط بهذه الوظيفة. بالضرورة يوجد هذان النوعان من الرعاة، بعض منهم يموت والآخرون يخلفونهم، وهم مستمرون في الكنيسة الجامعة وحتى نهاية الزمن ويوم الرب للدينونة. إن كان في عصر الرسل وُجد اناس هكذا عانى الرسول من سلوكهم وأحصاهم ضمن التجارب التي حلت به: "بأخطارٍ من إخوة كذبة"، ومع هذا لم يطردهم بغطرسة بل بطول أناة احتملهم، فكم بالأكثر يقومون في أيامنا حيث يقول المسيح بكل وضوح عن عصرنا الذي قارب إلى النهاية: "بسبب الشر تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤ : ١٢-١٣). ما جاء بعد ذلك يعزينا ويرشدنا: "من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص"^٢.

❖ يا لعظم الشكاوى التي أثارها الرسول بولس ضد الإخوة الكذبة. ومع هذا فإنه لم يتدنس بصحبته الجسدية، بل اعتزلهم خلال نقاوة قلبه التي تميزه^٣.

القديس أغسطينوس

يرى القديس أغسطينوس أن الرسول بولس هنا في دحضه للرسالة الكذبة استخدم الحكمة مع البلاغة مع أنه يقول بأنه يتكلم "كأنه في غباوة" [١٧]. "الحكمة هي قائدة له، والبلاغة هي رفيقة له، تبع الأولى والثانية هي التي تبعته، ومع ذلك لم يستخف بها عندما تبعته"^٤.

٨. أتعابه بإرادته

"في تعبٍ وكَدٍّ،

في أسهارٍ مرارًا كثيرة،

في جوعٍ وعطشٍ،

في أصوامٍ مرارًا كثيرة،

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

^٢ Letter 208 to Felicia.

^٣ Macrobius. Letter 108 to

^٤ On Christian Doctrine, 4:7(12).

في بردٍ وعريٍّ [٢٧].

"في تعبٍ وكِدٍّ": كانت المتاعب رفيقةً له أينما حلَّ.

قضى الرسول بولس ليالٍ كثيرةً في أسهَارٍ، تارة بإرادته مصلّيًا من أجل الخدمة أو كاررًا مبشرًا، وتارة بغير إرادته أثناء اضطهاده.

عانى الرسول أيضًا من البرد عندما انكسرت السفينة عند جزيرة مالطة وجاء الشعب لينقذه (أع ٢٨: ١-١٠).

لم يكن بالأمر الهين على شخص مثل الرسول بولس، الذي كان له اعتباره كقائدٍ يهودي غيور، له سلطانه وقدراته وثقافته التي كان يعتز بها، من أسرة لها مركزها الاجتماعي، إن يعاني من أتعابٍ وكِدٍّ وأسهارٍ وجوعٍ وعطشٍ وبردٍ وعريٍّ!

❖ تقول: أكل يوحنا المعمدان جرادًا وعسلًا بريًا (مت ٣: ٤)، أما بولس فمع أنه عاش في العالم ولم يسكن البرية ولم يأكل جرادًا ولا عسلًا بريًا لكنه كان مكتفيًا بمائدة أكثر بساطة ونسكًا، متجاهلاً حتى الضرورات من أجل غيرته للكراسة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٩. متاعب كنسية

"عدا ما هو دون ذلك"

التراكم على كل يوم الاهتمام بجميع الكنائس [٢٨].

بجانب ما عاناه من الخارج وضع على نفسه أن يشارك مسيحه صليبه بأن يحمل أتعاب جميع الكنائس التي كرز فيها، سواء من الجانب الروحي أو السلوكي أو العقيدي أو النظام الكنسي، أو المتاعب المادية أو المضايقات التي تحل به. إنه أب لا يئن من احتمال كل ما يحل بأبنائه.

❖ تقول إن الدود والجراحات قد أصابت أيوب بآلامٍ حادة غير محتملة. هذا حق، لكن لنأخذ في اعتبارنا الجلادات التي تحملها بولس عبر السنين، والصوم المستمر، والعري، والقيود، والسجن، والمخاطر، والمكائد من أهل بيته ومن الذين هم في الخارج من الطغاة ومن العالم كله. أضف إلى ذلك خبراته المرة، أي الآلام التي عانى منها من أجل الساقطين، واهتمامه بكل الكنائس، والافتراءات التي تحملتها نفسه بشجاعةٍ وصلابةٍ تفوق الحديد والصخر الذي لا يُكسر.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ١.

احتمل بولس روحياً ما تألم به أيوب جسدياً. نعم، فقد احتمل حزناً أماً من أي دود يقرض في نفسه من أجل الساقطين.

كانت ينابيع دموعه تنهمر نهاراً وليلاً، يتألم من أجل كل نفسٍ أكثر من آلام امرأة في حالة مخاضٍ، هذا قاده للقول: "يا أولادي الذين أتمخض بكم" (غل ٤ : ١٩)¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١٠. الشركة مع المتألمين

"من يضعف وأنا لا أضعف؟"

من يعثر وأنا لا ألتهب؟" [٢٩]

يجد مسرته في مشاركة أولاده متاعبهم، يتعاطف مع كل كنيسة مضطهدة، ويئن مع أنات كل مؤمن، بل ويشعر بمرارة مع ضعف كل إنسان في خطية ما. من يضعف في إيمانه ولا يشعر الرسول كأنه هو الذي ضعف؟ ومن يتعثر ولا يحترق قلب الرسول بنيران الحب والغيرة ويثبتته في الإيمان الحي العملي؟

❖ بماذا نقارن بولس الذي يئن يومياً من أجل كل إنسان في هذا العالم، من أجل كل جنسٍ ومدينةٍ، من أجل كل نفسٍ؟ لقد كانت عزمته أشدَّ قوة من الحديد، وأكثر حزمًا من الصلب، فبأية كلمات تصف هذه الروح؟!²

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سبي إخوتنا يجب أن يُحسب كأنه سبينا نحن. أحزان الذين في خطر هي أحزاننا. يلزمكم أن تتأكدوا بأنه يوجد جسم واحد لوحدتنا. ليست محبتنا وحدها بل وأيضاً تديننا يدفعنا ويشجعنا أن ننقذ أعضاء أسرتنا³.

القديس كبريانوس

❖ لا يعني بولس هنا أنه كان متظاهراً بأنه يحمل ضعفاتهم، وإنما كان متعاطفاً معهم⁴.

القديس أغسطينوس

¹ في مديح القديس بولس، عظة ١.

² في مديح القديس بولس، عظة ٢.

³ Letter 62 : 1.

⁴ Letter 40 to Jerome.

❖ يا له من شعور عجيب في الراعي. يسقط الآخرون ويقول: إنني أؤكد حزني. يتعثر آخرون فيقول: تلتهب نيران آلامي!

ليت كل الذين عهد إليهم قيادة القطيع العاقل أن يتمثلوا بهذا، ولا يظهروا أنهم أقل من الراعي الذي يهتم إلى سنوات كثيرة بقطيع غير عاقل.

ففي حالة القطيع غير العاقل لا يحدث ضرر يُذكر حتى إن حدث إهمال، أما في حالتنا فإن هلك خروف واحد أو افتراس سيكون الضرر خطيراً جداً ومرعباً والعقوبة لا يُنطق بها، فوق هذا كله إذ سبق الرب واحتمل سفك دمه من أجله، فأبي عذر يقدمه هذا الإنسان أن يسمح لنفسه أن يهمل ذاك الذي اهتم به الرب وبذل كل الجهد من جانبه لرعاية القطيع؟^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إن كان يجب الافتخار، فسأفتخر بأمور ضعفي" [٣٠].

لا يفتخر الرسول بقدراته الطبيعية ولا بما قدمه إليه الرب من مواهب، فإن هذه كلها لن تبرره ولا تهيه إكليلاً في يوم الرب العظيم، لكنه يفتخر بما وهبه الله من احتمال للاضطهادات والمضايقات التي هي من أجل الكرازة والإيمان بالمسيح.

لا يقصد بالضعفات هنا سقوطه في ضعف ما، أو خطية ما، فإن هذا ليس موضوع فخره، إنما يقصد الآلام والأتعاب.

❖ يفتخر بولس بتجاربه، الأمور ذاتها التي تظهر ضعفه^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١١. هروبه من دمشق

"الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي هو مبارك إلى الأبد،

يعلم إنني لست أكذب" [٣١].

يثبت الرسول ما يورده هنا بأن يشهد الله الآب أنه لا يكذب، خاصة في مشاركته للضعفاء والمتألمين، الأمر الذي لا يستطيع أحد أن يحكم فيه سوى فاحص القلوب والكلية. استخدم الرسول مثل هذه الشهادة الإلهية أو القسم في ٢ كو ١١: ١٠؛ رو ٩: ٥؛ غل ١: ٢٠. هنا لا يستخدم اسم الله باطلاً، إنما يشهده لأجل خلاص إخوته وسلام الكنيسة. لا يطلب الرسول ما لنفسه بل ما هو

¹ On Genesis, hom 57.

² In 2 Cor. hom 25:2.

للآخرين في الرب.

وقد عالج القديس أغسطينوس هذا الأمر عندما تحدث عن "عدم القسم" في كتابه عن "الموعظة على الجبل".

"في دمشق والي الحارث الملك

كان يحرس مدينة الدمشقيين

يريد أن يمسكني" [٣٢].

إذ رأى والي دمشق أن اليهود دبروا مكيدة للرسول أراد أن يفسد خطتهم باستخدام خاطي لسلطانه. فقد كانت نيته أن يلقي القبض على الرسول بولس لكي يسعد اليهود من جانب، ومن جانب آخر لكي يظهر أنه يمارس عمله بطريقة لائقة. هذا حدث في بدء خدمة الرسول بولس (أع ٩: ٩).

❖ أين كانت إذن القوة الإلهية المصاحبة له؟...

حدثت هذه الأمور بتدبير العناية الإلهية، وفي بعض الحالات كانوا يصنعون الآيات والعجائب، وفي حالات أخرى كانوا بلا قوة لكي يظهر الفرق بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون. ولكي تُمتحن وتظهر حرية الإرادة. هل يعثر البعض عندما يرون (الرسول) ضعفاء؟ فلو كان الرسل قد فعلوا كل ما يشاءون في كل شيء لكانوا قد أتوا بالناس إلى خدمة الله بالقوة الجبرية. ولا يكون الأمر حينئذ مسألة إيمان أو عدم إيمان. المسيحية هي "حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو ٩: ٣٣).^١

القديس مقاريوس الكبير

"فتدليث من طاقة في زنبيل من السور

ونجوت من يديه" [٣٣].

إن كان خلاص القديس بولس من والي دمشق تم بيد بشرية حين دلوه من سور المدينة، لكنه إذ كان يضع حياته في يد الله ويتكل عليه حسب أن ما تم كان خلال عناية الله. فالإتكال على الله لا يعني رفض ما يقدمه البشر من عون، إنما رفض الاتكال على يد بشرية.

هذا وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول لم يخجل من ذكر هذا الحادث عند الضرورة أنه قد تدلى بزنبيل. لقد كانت فرصة سمح بها الله لخلاصه، ليس خوفًا من الموت، وإنما لكي يجد فرصة للكراسة.

¹ Sermon 26:6.

في الآيتين الأخيرتين (٣٢-٣٣) أشار الرسول بولس إلى حدث معين خاص بآلامه كما لو كان قد نسي أن يشير إليه عندما وضع قائمة بأتعابه، ربما لأن عمل الله واضح جدًا في انقاذه من يد الملك الحارث *Aretas*، وهو حمى هيروودس أنتيباس *Antipus*. أو لأنه كان لهذه الواقعة أثرها الخاص لأنها أول اضطهاد موجه ضده لقتله. وُجد ثلاثة أشخاص يحملون هذا الاسم: الأول ورد في مكابيين الثاني ٨:٥؛ والثاني ذكره المؤرخ يوسيفوس^١، والثالث الذي ذكره الرسول بولس هنا. يتساءل البعض كيف يمكن لدمشق، عاصمة سوريا أن تكون تحت حكم ملك عربي؟ لذا يرى البعض أن الرسول يقصد هيروودس انتيباس الذي تزوج ابنة الحارث، وقد قام بتطليقها ليتزوج هيروديا امرأة أخيه.

أقام الحارث *Aretas* حربًا ضد هيروودس، فلجأ الأخير إلى طيبريوس *Tibrius* ليسانده وأرسل الامبراطور القائد *Vitellius* ليحضر *Aretas* حيًا أو ميتًا إلى روما. لسبب أو لآخر تأخر *Vetillius*، وفي نفس الوقت مات طيبريوس فنجأ الحارث^٢ واستولى على دمشق. يبدو أن أعداء الرسول بولس طلبوا من الملك القبض عليه بكونه جاسوسًا يعمل لحساب الدولة الرومانية. وفي نفس الوقت إذ هرب حسبوا هذا هروبًا من الصليب.

❖ عندما تدلى الرسول بولس من الكوة في زنبيل حتى لا يلقي الجند القبض عليه، وهرب من يديه ألم يترك الكنيسة هناك من أجل خدمة ضرورية؟ ألم ير إخوة آخرون بأن هذا التصرف لم يكن ما يبرره لتحقيق ذاك الهدف؟

لقد فعل الرسول ذلك مدعًا لرغبتهم لكي يُنقذ من أجل الكنيسة، إذ كان هو الشخص الوحيد الذي يطلبه المضطهد.

ليت خدام المسيح، خدام الكلمة وأسراره يفعلوا ما يأمر به أو يسمح به. ليتهم يهربوا بكل وسيلة من المدينة عندما يُطلب أحدهم بواسطة المضطهدين، ما دامت الكنيسة لا يهجرها آخرون غير مطلوب اضطهادهم حتى يهتموا بزملائهم العبيد، مدركين أنه بدون ذلك لا يعيشوا.

أما إذا كان الخطر عامًا على الكل أي يلحق بالأساقفة والكهنة والشعب فلا يُترك القادة من هم تحت القيادة. فلما أن يتحرك الكل ويلتجئوا إلى مواضع للجوء، أو إن بقي الشعب فلا يهجرهم خدامهم

¹ Antiq. 1:13c. 15:2; 1:16c. 1:4.

² Joseph, Antiq. lib. 18c. 5.

الذين يقدمون لهم احتياجاتهم الروحية. هكذا يعيشون الكل بالتساوي، ويتألمون حسبما يرغب سيد البيت^١.

القديس أغسطينوس

من وحي ٢ كو ١١

كنيستك أم لنا ولود!

كنيستك عذراء عفيفة لك، يا أيها العريس السماوي!

❖ هب لنفسي أن تكون لك عذراء عفيفة،

فها أنت تُعد لها حبال العرس السماوي!

اجعلها أيقونة لك،

فتتأهل لشركة مجدك!

ارفعها الآن إلى سمائك،

فتجتذب معها الكثيرين!

بل ولن تستريح حتى ترى إن أمكن كل البشرية لك!

هب لكنيستك أمنا الجديدة أن تتهلل كل يوم بولادات لا تنقطع!

احمها من حيل الحية القديمة،

التي أفسدت بتولية قلب أمنا القديمة حواء!

❖ هب لي مع الرسول بولس أن أشهد لإنجيلك،

هذا الذي سلمته لعروسك وتهيئها لك!

نعم، يجدد البشرية عبر العصور!

هو كتاب كل عصر،

وكتاب كل إنسان!

هو الحياة الجديدة المُقامة،

يحمل الأجيال إلى ما وراء الزمن!

❖ لأشهد لإنجيلك مع الرسول بولس،

¹ Letter 228 to Honiratus

لا بالبلاغة والألفاظ البرّاقة،

بل بروح الحب الحقيقي والقوة!

❖ هب لي مع الرسول ألا أطلب شيئاً

في كرازتي بإنجيلك!

فليس من مكافأة أعظم من خلاص إخوتي!

مكافأتي أن أراك متجلباً في كل قلب!

مكافأتي أن يتمتع الكل بمعرفة أسرارك الإلهية!

❖ احمني وإياهم من عدو الخير إبليس،

هذا المضل الذي لا يكف عن الخداع.

إنه يغير شكله إلى شبه ملاك نور،

وهو رئيس قوات الظلمة.

في كل جيل يبعث رسله، المعلمين الكذبة.

يحملوا صورة التقوى والبرّ والمعرفة.

ليضلّوا كأبيهم البسطاء.

بماذا أتكلم أمام جهاد العظيم بين رسلك.

عاش يحتمل الميئات اليومية،

ويُسّر بالاضطهادات غير المنقطعة.

عاش كمن هو بلا جسد!

بالحق من يشبهه؟!

الأصحاح الثاني عشر

الإعلانات الإلهية والخدمة

للتأكيد صدق رسوليته تحدث الرسول عن الإعلانات الإلهية التي تمتع بها، مؤكداً أنه لا يفتخر بذلك. فقد سمح الله له بتجربة في جسده حتى لا يسقط في الكبرياء بسبب كثرة الإعلانات. أما ما يفتخر به فهو ما وهبه الله من إمكانية لاحتمال الضيقات والتجارب والاضطهادات من أجل الرب. وأيضاً محبته الباذلة لشعبه كأولاد له. أخيراً يطلب إليهم أن يستعدوا بالحياة المقدسة حتى يفرح بهم عند مجيئه إليهم.

١. الإعلانات الإلهية ١-٤.
٢. عدم افتخاره بها ٥-٦.
٣. شوكة في الجسد ٧-٩.
٤. افتخاره بأتعبه ١٠.
٥. خدمته لهم المجانية ١١-١٧.
٦. خدمة تيطس المجانية ١٨.
٧. مسرته ببنائهم الروحي ١٩-٢١.

١. الإعلانات الإلهية

"إنه لا يوافقني أن أفخر،

فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته" [١].

إحدى البركات التي نالها الرسول بولس هي الإعلانات الإلهية، خاصة وأنه اختُطف إلى السماء الثالثة. يرى القديس بولس أنه يليق به بروح التواضع ألا يتحدث عن إعلانات الله له، فإن هذا لا يوافقه، لكنه التزم بذلك من أجل بنين الخدمة.

"أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة،

أفي الجسد لست أعلم،

أم خارج الجسد لست أعلم،

الله يعلم،

اختطف هذا إلى السماء الثالثة [٢].

يتحدث الرسول عن نفسه قائلًا: "أعرف إنسانًا في المسيح" قد تمتع برؤية خاصة، منذ أربع عشرة سنة. يرى البعض إن هذه الرؤيا تحققت عندما سقط على الأرض، وبقي أعمى لمدة ثلاثة أيام. وآخرون يرون أنها تحققت حين رُجم في لسترة. وآخرون يرون أن الرسالة كتبت عام ٥٧م، فتكون الرؤية حوالي عام ٤٢ أو ٤٣م حين أحضر برنابا بولس من طرسوس إلى أنطاكية (أع ١١: ٢٥-٢٦)، وقد أرسل الاثنان بواسطة كنيسة أنطاكية حاملين العطايا لفقراء أورشليم. ربما رأى هذه الرؤيا وهو في أورشليم لكي تسنده وسط المتاعب التي لحقت به، وقد احتفظ الرسول بالرؤيا لمدة ١٤ عامًا لم يخبر بها أحدًا قط، وكان يمكن ألا نعرف عنها شيئًا كغيرها من الإعلانات التي لم يسجلها لنا الرسول.

❖ يظهر بولس على وجه الخصوص أن ذلك كان منذ ١٤ سنة قبل ذلك الوقت ليظهر أنه طبيعيًا ما كان سيتحدث عن هذا لو لم يثيروه. ومع هذا لاحظوا أنه توجد أمور كان لا يزال يجهلها. إنه يعرف بأنه كان في الفردوس، أما هل كان في الجسد أم لا فهذا ما لا يقدر أن يخبر عنه. لماذا حدث معه هذا؟ أظن حتى لا يشعر إنه أقل من الرسل الآخرين الذين كانوا جميعًا مع المسيح عندما كان على الأرض^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم": كان الرسول في حالة دهش، فلم يدرك الحال الذي هو عليه، ولم يكن ذلك يشغله. "اختطف هذا إلى السماء الثالثة" شعر بأنه حُمِلَ إلى السماء الثالثة، لكن كيف؟ وبأي وضع؟ لا يعلم. لعله يقصد بالسماء الثالثة أنها وراء السماء الأولى التي تطير فيها الطيور، وأيضًا وراء السماء الثانية التي بها الأفلاك (الفضاء).

كان اليهود يعتقدون بوجود سبع سموات، وجاء في العهد القديم "سماء السموات" التي غالبًا ما يُقصد بها السماء الثالثة، حيث العرش الإلهي ومسكن القديسين مع السمائيين في الحياة الأبدية. ويرى البعض مثل أمبروسياستر أن القديس بولس اختطف مرتين، مرة إلى السماء الثالثة، وأخرى إلى الفردوس الذي انطلق إليه اللص اليمين عندما صُلب السيد المسيح.

¹ In 2 Cor. hom 26:1-2.

❖ بالرغم من أن الله يجعل الذين يصلون باخلاص يخرجون خارج أنفسهم، ويردهم بطريقة فائقة إلى طبائعهم ويغتنون بطريقة سرية بالسماء، إلا أنه حتى في مثل هذه الحالات حيث أنهم يركزون على أعماقهم، فإنهم خلال التأمل في نفوسهم وأجسادهم يقدم الله لهم أمورًا فائقة للطبيعة، سرائية، غير مدركة بالنسبة لحكماء هذا العالم^١.

الأب غريغوريوس بالاماس

"وأعرف هذا الإنسان،

أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم،

الله يعلم" [٣].

❖ لو تركنا تلك المعجزات جانبًا وتناولنا حياة هذا القديس المبارك، وتمتعنا بحديثه الملائكي، فإننا نجد هذا البطل ظافرًا لامعًا في سيرته أكثر منه في معجزاته^٢.

❖ لنتأمل ما تمتع به بولس من نعم ومواهب، فقد اختطف إلى الفردوس إلى السماء الثالثة، وتمتع بالشركة في كلمات سرائية لا يُنطق بها (٢ كو ١٢: ٢، ٤)، فاستحق كل كرامة.

لأنه حينما جال في الأرض كان كمن تصحبة الملائكة، وبالرغم من فحاح الجسد المائت كان ملائكيًا في نقاوته، وبالرغم من ضعف بشريته جاهد ليصير ملائكيًا كالقوات العلوية،

وكان سلوكه في العالم كمن يسكن على جناحي طائر وككائن غير قابل للفساد.

احتقر كل المصاعب والأخطار. احتقر كل شيء على الأرض، كمن امتلك السماوات، كمن

اختبر رؤية سرمدية، وعاش وسط الملائكة في السماء.

إن مهمة الملائكة كانت خدمة البشر وحراستهم، ولكن لم يستطع أحد القيام بالمهام الخاصة لكل فرد واحتياجاته الخصوصية مثلما فعل بولس لكل الأرض^٣.

❖ الرسول الذي كان بإمكانه أن يقيم الموتى لم يكن قادرًا أن يشفي تلميذه (١ تي ٥: ٢٣)، بل تركه

يتنقى في بوتقة المرض، وليغتنى من الآلام بضمانات جديدة لنيل السماء. لقد كان يُعلم تلميذه ما

كان قد سمعه وتعلمه من معلمه.

وإذا كان بولس لم يصحبه مرض مقيم، فإن مصائبه الكثيرة الدائمة لم تكن أكثر رفقًا به من

¹ The Hesychast Method of Prayer and the Transformation of the Body, The Trial 2:2:5 (14)

² On Priesthood, book 4:6.

³ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

المرض، ولم تكن توفر على جسده شيئاً من قسوة الآلام المرضية...

كان يتوسل إلى الله [٨]، حتى إذا رأى أنه لم يستفد من طلبه شيئاً، واستقر في ذهنه أن في الآلام ربحاً له، سكن واطمأن، بل صار يفرح بالآلام^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ متى يمكنك القول: "هذا هو الله"؛ فإنه حتى حينئذٍ (في الدهر الآتي) عندما تراه، ما تراه هو لا يمكن وصفه. هكذا يقول الرسول انه "اختطف إلى السماء الثالثة وسمع كلمات لا يُنطق بها". إن كانت الكلمات لا يُنطق بها، فماذا يكون هو نفسه ذاك الذي كلماته هكذا؟ لذلك عندما تفكر في الله ربما تتور فيك فكرة شكل بشري بطريقة ضخمة للغاية وعجيبة، تضعها أمام عيني ذهك كأمر عظيم وضخم ومتسع للغاية^٢.

القديس أغسطينوس

"أنه اختطف إلى الفردوس،

وسمع كلمات لا يُنطق بها،

ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" [٤].

يعتقد اليهود بوجود على الأقل أربعة فراديس بجانب السبع سموات.

هل الفردوس هو السماء الثالثة أم أنهما مختلفان؟ هل يتحدث الرسول عن اختطافين أحدهما إلى السماء الثالثة والثاني إلى الفردوس؟ أم هي رؤيا واحدة واختطاف إلى موضع واحد؟ لقد دُعيت جنة عدن فردوساً (رؤ ٢ : ٧)؛ والآن تدعى السماء الثالثة، موضع انتظار القديسين، فردوساً، حيث ردنا السيد المسيح إلى الفردوس، لكن ليس على الأرض، وإنما هو السماء الثالثة. سمع في هذا الفردوس لغة غير بشرية، لا يُنطق بها ولا يستطيع إنسان أن ينطق بها بجسده الترابي. لقد سمع الرسول أحاديث سماوية لكنه لم يستطع أن ينشرها، إذ لا يمكن ترجمتها بلغة بشرية، ولا يقدر لسان بشري أن ينطق بها.

❖ حقاً عظيم هو هذا الإعلان... هل العقل والنفس هما اللذان اختطفا بينما بقي الجسم ميتاً؟ أو هل اختطف الجسم إلى أعلى؟ استحالة أن يخبر أحد بذلك. فإن كان بولس الذي اختطف إلى أعلى والذي حدثت معه أمور كثيرة لا يُنطق بها، كان يجهلها، فماذا يكون حالنا؟ لأنه بالحقيقة كان في

¹ To Olympias, 17.

² Sermons on New Testament Lessons, 3:12.

الفردوس، هذا هو ما عرفه. وأنه كان في السماء الثالثة، هذا ما لم يجله، أما الطريقة التي حدث بها ذلك لم يعرفها بوضوح^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الرسول المختار ليس من أناس ولا بإنسان، بل ببسوع المسيح، ليكون معلمًا للأمم يشرح أسرار التدابير السماوية قدر ما تسعفه اللغة. الذي اختطف إلى السماء الثالثة وسمع كلمات لا يُنطق بها يعلن قدر ما يمكن للطبيعة البشرية أن تستوعب... لكنه لم ينسَ أنه توجد أمور لا يمكن فهمها في لحظة سماعها. يحتاج الضعف البشري إلى وقتٍ، إلى المراجعة أمام محكمة العقل الحقيقة الكاملة، هذه التي تتسكب بلا تحيز في الآذان. يأتي الفهم بعد الكلمات المنطوقة أبطأ من السماع، لأن الأذن تسمع ولكن العقل هو الذي يفهم، وذلك بالله الذي يعلن المعنى الداخلي لهذه الأمور للذين يطلبونه... لكن عطية الله الخاصة بالفهم هي مكافأة للإيمان، فإنه خلال الإيمان يُكافأ ضعف الحاسة بعطية الإعلان^٢.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ كل تعليم يخص وصف طبيعة الله التي لا توصف، حتى وإن كان يكشف عن أفضل وأسمى مفهوم ممكن، إنما هو شبه الذهب وليس الذهب ذاته، لأن الصلاح الذي يتجاوز العقل البشري لا يمكن تقديمه بدقة.

حتى ولو أن أحدًا مثل القديس بولس قد اطلع على أسرار الفردوس غير المدركة وسمع كلمات لا يُنطق بها (٢ كو ١٢: ٤) فإن أية معرفة لله تظل لا يُنطق بها. وبولس الرسول ذاته يقول إن مثل هذه المفاهيم غير مدركة. أعلن أولئك الذين يقدمون لنا أية أفكار صالحة عن مثل هذه الأسرار، أنهم أيضًا غير قادرين حقًا على التعبير عن الطبيعة الإلهية^٣.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ أية كلمات نظن أنه سمعها، فقد سمعها من الملك. هل سمعها وهو في الحجال أم من الخارج فقط؟ اعتقد أن هذه الكلمات كانت هكذا لكي تشجعه على نشر ذلك فيما بعد أو لتعده أنه إن ثابر

¹ In 2 Cor. hom 26. PG 61: 618-619.

² On the Trinity 11(23).

³ Commentary on Song of Songs, Homily 3.

حتى النهاية هو نفسه يستطيع أن يدخل حبال الملك حسب الوعد الذي قدمه أيضًا النبي: "أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابي، افتح لك الأمور غير المنظورة لكي تعرف إنني أنا الرب إلهك، الذي يدعوك باسمك، إله إسرائيل" (إش ٥٣: ٣).^١

العلامة أوريجينوس

❖ لننزع عنا الكبرياء الباطل، ونتعلم ما يمكن تعلمه من إنسان، وليت ذاك الذي يُعلم آخرين أن يقدم ما استلمه بغير عجرفة وبدون اندفاع. لبتنا لا نجرب ذاك الذي نؤمن به، لئلا نسقط في شباك العدو، وبحماقتنا نرفض الذهاب إلى الكنائس لنسمع الإنجيل نفسه، أو نقرأ كتابًا، أو نصغي إلى قراءة شخص آخر أو كرازته على رجاء اننا سنُخطف إلى السماء الثالثة، وكما يقول الرسول: "في الجسد أو خارج الجسد" وهناك سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن ينطق بها، أو أن يرى الرب يسوع المسيح ويسمع الإنجيل من شفثيه وليس من هؤلاء الناس. لنحذر من مثل هذه التجربة التي للكبرياء، ولندرك حقيقة أن الرسول نفسه الذي وإن سقط أرضًا ونصحه صوت الله من السماء، هو نفسه أرسل إلى إنسان ليتقبل الأسرار وينضم إلى الكنيسة. وأيضًا كرينيليوس قائد المائة وإن كان قد بشره ملاك بأن صلواته قد قبلت وصدقاته قد ذكرت، مع هذا سُلّم لبطرس ليتعلم منه، ليس فقط قبل الأسرار من يدي الرسل، بل وتعلم منه الأمور اللاتقة الخاصة بالإيمان والرجاء والمحبة.

بدون شك كان يمكن تحقيق كل هذا بواسطة ملائكة، لكن حال جنسنا يُهان تمامًا إن لم يستخدم الله البشر كأداة لخدمة كلمته لزملائهم البشر. فإنه كيف يمكن أن يكون ذلك حقيقة ما كُتب: "هيكَل الله مقدس الذي أنتم هو" إن كان الله لا يقدم تعاليم خلال هيكله البشري، ويقدم كل شيء يود يُعلم به البشر بأصوات من السماء وخلال خدمة الملائكة؟

أضف إلى هذا أن الحب نفسه، الذي يربط البشر معًا برباط الوحدة، لا تكون له وسيلة لسكب نفسٍ في نفسٍ، كمن يمتزجا معًا الواحد مع الآخر، إن كان البشر لن يتعلموا شيئًا من البشر زملائهم.^٢

القديس أغسطينوس

¹ The Song of Songs, Comm., Book 1:5.

² On Christian Doctrine, Preface 5, 6.

❖ أحسب أن بولس لم يكن سعيداً عندما قال أنه "اختُطف إلى الفردوس" مثلما كان عندما أُلقي في زنزانة. أحسبه ليس سعيداً لأنه سمع كلمات لا يُنطق بها مثلما كان بسبب وضعه في قيود. أحسبه ليس سعيداً عندما اختُطف إلى السماء الثالثة كما كان سعيداً من أجل هذه القيود. لأن هذه أعظم من تلك. انظر كيف أنه هو نفسه قد عرف ذلك إذ لم يقل: "أنا الذي سمعت كلمات لا يُنطق بها أطلب إليكم..." بل ماذا؟ "أنا أسير الرب أطلب إليكم".¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هكذا نجد هذا مع بولس الذي دخل إلى الأسرار في الفردوس، عندما اختُطف هناك، وصار مشاهدًا للعجائب التي فوق السماوات، ورأى وسمع أمورًا لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها. اعتزم هذا الرسول أن يخبرنا كل ما خلقه ربنا وقدم ذلك في اصطلاحات معينة مفهومة، ولكنه إذ عبر كل العالم الملائكي الفائق توقف عن تقرير ذلك ورفض أن ينزل بمستوى هذا العالم العلوي إلى مستوى الخليقة.²

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ لقد رأى المظهر الجميل للفردوس، رقصات القديسين فيه والصوت المتناغم معًا للتسبحة.³
ثيودور أسقف المصيصة

❖ إن كان حتى الملائكة الذين طبيعتهم بسيطة وروحية يُقال أن لهم السنة بها يرمنون التسابيح لإلههم وخالقهم، ويقدمون له تشكرات بغير انقطاع، كم بالأكثر الأجساد الروحية التي للبشر يفعلون هذا بعد القيامة، فإن كل أعضاء الجسد الممجّد يكون لها السنة في أفواههم، تعطي صوتًا لألسنتهم المتحدثة، وهكذا ينطقون بتسابيح إلهية تفيض بكلمات حبهم وأفراحهم التي تملأ أحاسيسهم.⁴

القديس أغسطينوس

٢. عدم افتخاره بها
"من جهة هذا أفتخر،

¹ In Ephes., hom. 8.

² Against Eunomius, 1:23.

³ Pauline Commentary from the Greek Church.

⁴ Letter, 94.

ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي" [٥].

بتواضعه لم يُشير إلى نفسه أنه هو الذي تمتع بهذه الرؤيا وإن كان مارد لا يمكن إن ينطبق إلا على شخصه.

لم يفتخر الرسول بما قد تمتع به من الإعلانات. من يتمتع بذلك ويقدر أن يصمت لمدة ١٤ عامًا دون أن يشير إلى ذلك قط؟

❖ واضح أن بولس كان يتحدث عن نفسه، لكنه يقول هذا لكي يظهر إنه لا يشغله ذلك كأمر بسيط. كان يفضل ألا يتحدث عنه بتاتا^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإني إن أردت أن افتخر لا أكون غيبًا،

لأنني أقول الحق ولكني أتحاشى،

لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني" [٦].

من حقه أن يفتخر بما ناله من الله، ولا يُحسب بذلك غيبًا، لأنه ينطق بالحق، لكنه صمت كل هذه السنوات حتى لا يكرمه أحد أو يظن فيه شيئًا أعظم مما هو عليه. لقد تمتع الرسول بروح التمييز، يعرف متى يصمت ومتى يتكلم. صمت هذه السنوات حتى لا يُعظمه أحد، وتكلم حتى لا يحطم أحد عمله الرسولي.

❖ إن أخبر أحد عن أمورٍ أعلنت له فهو ليس بغبي، ولو أنه إن احتفظ بالصمت عنها يكون حكمًا^٢.

أمبروسياستر

❖ الحقيقة التي تسترعي الانتباه أنه لم يتحدث بصراحة عن كل شيء حينما تتطلب الموقف ذلك، ولكنه نجح في إخفاء الجزء الأعظم من إنجازاته. "فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. ولكني أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني" (٢ كو ١٢: ١، ٦) هذه الكلمات هي درس لنا تعلمنا ألا نفصح كل شيء عن أنفسنا حتى لو اضطررنا للكلام، ولكن نتحدث فقط عن ما سيفيد سامعينا... الحديث بلا داعي يكشف عن طموح وافتخار (كبرياء)، ولكن الالتزام بما يتطلبه الموقف يشبه عمل صديق يشبع احتياجات صديقه دائمًا.

¹ In 2 Cor. Hom 26:2.

² CSEL 81:301

هكذا فعل بولس الرسول، اتهموه بأنه ليس رسولاً وله قوة خارقة فالتزم الأمر بتقديم دليل على صحة رسوليته، وأظهار قيمته. لاحظ كيف في حديثه لم يكن هناك أي كبرياء بل تحدث من أجل استنارة سامعيه:

- أولاً: واضح أنه تصرف هكذا كما استلزم الأمر.
- ثانياً: دعى نفسه مختل العقل واستخدم تعبيرات مماثلة كثيراً.
- ثالثاً: لم يفصح عن كل شيء، بل احتفظ بالجزء الأعظم وأخفاه.
- رابعاً: أخفى شخصيته قائلاً: "أعرف إنساناً....."
- خامساً: لم يظهر كل فضائله بل فقط ما تتطلب الأمر إظهاره^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. شوكة في الجسد

"ولئلا أرتفع بفراط الإعلانات،

أعطيت شوكة في الجسد،

ملاك الشيطان ليظلمني لئلا أرتفع" [٧].

كما كان الرسول يحرص على تمتعه بروح التواضع فلم يشر إلى رؤياه هذه لمدة ١٤ عامًا، حرص الله نفسه أن يبقى الرسول متواضعًا، فسمح لو بشوكة في الجسد تجعله دائمًا يشعر بضعف الجسد.

ما هي هذه الشوكة التي في الجسد؟

يرى العلامة تريليان أنها ألم في الأذن، والقديس يوحنا الذهبي الفم أنها صداع، والشهيد كبريانوس آلام جسدية كثيرة وخطيرة. ويرى البعض أنها إهانات لحقت به من المعلمين الكذبة خاصة من جهة قدرته على الكلام، إذ يفسرون "ملاك الشيطان" أو "الرسول الشيطان" أنه "الرسول الكاذب". فكما أرسل يسوع المسيح بولس رسولاً للحق هكذا أرسل الشيطان رسولاً مقاوماً للحق، يبث روح الكذب ويحول كنيسة المسيح إلى مجمع للشيطان.

❖ حتى الكائنات العقلية تمامًا في طبيعتها معرضة للزلل والسقوط^٢.

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

^٢ Sermon 7. Question 3.

القديس مقاريوس الكبير

❖ يقول البعض انه يعني نوعاً من الألم في الرأس أصابه الشيطان. ربما لم يكن الأمر هكذا. لأن جسم بولس لا يُمكن أن يُسلم للشيطان، متطلعين إلى أن الشيطان نفسه خضع للشخص نفسه كما أمر بولس...

بقوله "ملاك الشيطان" يقصد به كل مقاومي الكلمة، الذين صارعوا وحاربوا ضده، الذين ألقوه في السجن، والذين ضربوه لكي يموت... فإنهم مارسوا عمل الشيطان... كل واحد كان يقاومه. لذلك يقول: "أعطيت شوكة لئلا أنتفخ"، ليس كما لو أن الله وضع أسلحة في أيدي هؤلاء الناس، ليس كذلك! ولا إن الله يؤدب ويعاقب بل إلى حين سمح لهم بذلك^١.

❖ تألم عندما ضُرب، ولكن استخف بالضربات مثل الملائكة الذين لا يتألمون، وهذا تراه واضحاً في كلماته التي يمكن تطبيقها على طبيعتنا: "الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم" (غل ٦: ١٤) وأيضاً: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غل ٢: ٢٠) فما الذي يقوله عن تركه الجسد: "أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليُلظمني لئلا أرتفع" (٢ كو ١٢: ٧)، وهذا دليل على أن الألم يمس الجسد فقط.

هذا لا يعني أنه لا يمس الداخل، بل يُرفض بالقوة الأسمى التي للإرادة. وحينما يقول تلك الكلمات الرائعة مثل بهجته بالجلد ومجده في وثقه، فماذا يعني ذلك غير كل ما سبق ذكره حينما يقول: "بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١ كو ٩: ٢٧). إنه يتحدث عن ضعف الطبيعة الذي يصل لسمو الإرادة بالطريقة التي سبق ذكرها^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يظن كثيرون أن هذا كان نوعاً من الصداع (حلّ بالرسول)، لكن الحقيقة هي أن بولس يشير إلى الاضطهادات التي تحملها، إذ صدرت من القوات الشيطانية^٣.

سفيريان أسقف جبالة

❖ بقوله "ملاك (رسول) الشيطان" يعني بولس الشتائم والهجوم والثورات التي واجهها^٤.

¹ In 2 Cor. hom 26. PG 61: 620-621.

² في مديح القديس بولس، عظة ٦.

³ Pauline Commentary from the Greek Church.

⁴ PG 82: 450.

ثيودورت أسقف قرش

إن كان المؤمنون الحقيقيون ينتفعون حتى من التجارب التي يثيرها الشيطان ضدهم، فهل يُحسب الشيطان صالحًا لأنه نافع؟

❖ على العكس إنه شرير بكونه إبليس، ولكن الله الصالح القدير يُخرج أمورًا كثيرة صالحة من مكر إبليس. فإنه يُحسب للشيطان ما هو حسب إرادته فقط التي بها يحاول أن يصنع شرورًا، ولا يُحسب له حسب عناية الله التي تخرج منه صلاحًا^١.

القديس أغسطينوس

"من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقتي" [٨].

واضح من العبارة التالية أن كلمة "الرب" هنا تشير إلى السيد المسيح، إذ يصلي إليه الرسول بولس لكي ينزع هذه التجربة فواضح أن الرسول يؤمن بلاهوت المسيح، وأنه يحب الصلاة إليه. لقد طلب من السيد المسيح ثلاث مرات لينزع عنه التجربة، منتسبًا بالسيد المسيح الذي طلب ثلاث مرات إن أمكن أن تعبر عنه الكأس (مت ٢٦: ٣٩-٤٤). إنه يقدم لنا مثالاً بالالتجاء إلى الصلاة أثناء الضيق حتى وإن كان لصالحن الروحي وبنياننا ونترك القرار في يد الله المهمم بخلاصنا.

❖ في هذه التجارب التي فيها إما نُطوب أو نهلك "لا نعرف ما نصلي لأجله"، مع ذلك فلأنها قاسية ولأنها مؤلمة، ولأنها تقف ضد مشاعر الضعف البشري بإرادة بشرية جامعة نصلي لكي تُزال المتاعب عنا. لكن هذا يحتاج إلى التكريس للرب إلهنا، فإن كان لا يزيل المتاعب لا نظن أنه هجرنا، بل بالأحرى باحتمالنا الشر في محبة نترجى صلاحًا أعظم. بهذا تصير القوة كاملة في الضعف. أما بالنسبة للذين ينقصهم الصبر فإن الرب الإله في غضبه يهبهم ما يسألونه، كما أنه من الجانب الآخر في رحمته رفض طلبات الرسول^٢.

القديس أغسطينوس

❖ عندما يهاجمنا الضعف والمرض والأسى عندئذٍ نكمل قوتنا، ويُكَلِّم إيماننا إن واجهنا التجربة بثبات... أخيرًا هذا هو الفارق بيننا وبين الآخرين الذين لا يعرفون الله، إذ يشتكون ويتذمرون في

¹ Against the Manicheans, 2:28:42.

² To Proba, 130.

التجربة بينما لا تحولنا التجربة عن حقيقة الفضيلة والإيمان، بل تركينا في وسط آلامنا^١.

القديس كبريانوس

❖ لو أن توسله قد قُبل فماذا يكون له من المكافأة؟ هل لكونه يكرز بدون عناء يعيش ناعم البال، وكل شيء يسير وفق رغبته؟ هل لأنه يكتفي بأن يفتح فاه، ويحرك لسانه، وهو مطمئن في بيته؟ وفي وسع كل إنسان أن يفعل مثله حتى من وراء طاولته، ومن على كرسيه، وهو يعيش عيشة راضية ناعمة في الاسترخاء والتكاسل. إلا أن ما يضمن له المكافآت العظيمة والأكاليل البهية، إنما هو ما يعدّه في تلك اللائحة الطويلة من الأوجاع والميتات والأسفار برًا وبحرًا والأهوال والدموع والأحزان، يكفي أن نستفيد منها عندما يقول: "إني مدة ثلاث سنوات متتالية ما فتنت بالدموع، ليلاً ونهارًا، أعطيت التنبيهات والإرشادات لكل واحدٍ منكم" (أع ٢٠: ٣١)^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذه أيضًا علامة تواضع، أنه لم يخفِ عدم قدرته على احتمال هذه المكائد الغادرة، فكان في حالة احباط قاسية واضطراب بسببها، وكانت هناك حاجة إلى التضرع من أجل الخلاص منها^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال لي:

تكفيك نعمتي،

لأن قوتي في الضعف تكمل،

فبكل سرور افتخر بالحري في ضعفاتي،

لكي تحل عليّ قوة المسيح" [٩].

أدرك الرسول بولس أن ما حلّ بجسده من ضعفات لم يكن بالأمر الطبيعي، وليس بلا هدف، وإنما سمح به الله لهدف أسمى.

❖ أراد بولس أن يظهر أن ألمه لم يكن أمرًا طبيعيًا صدر عن الجسد، وإنما جاء عن قصد من الله لهدف أعلى^٤.

ثيودورت أسقف قورش

¹ Mortality, 13.

² To Olympias, 90.

³ In 2 Cor. hom 26. PG 61:621.

⁴ PG 82:450.

❖ تواضع كهذا يزيل الضعف^١.

القديس أمبروسيوس

اللَّهُ هو الذي سمح له بالتجربة، لكنه مع التجربة يعطيه نعمة لكي تسنده ويتمجد الله في ضعفه، حيث تتجلى قوة المسيح فيه، ولا يقدر الأعداء أن يحطموه. كلما كانت التجربة عنيفة تجلت بالأكثر قوة المسيح وتمجد الله فيه.

"لكي تحل عليّ قوة المسيح"، تحل عليّ *Episkeenosee*، أي تظل عليّ كخيمة أو خيمة اجتماع حيث أتمتع بسكنى المسيح معي، وأجد حمايتي وراحتي فيه. وهو نفس التعبير المستخدم في يوحنا ١٤:١ "وَحَلَّ بَيْنَنَا ... مملوء نعمة وحقاً".

وعده السيد المسيح بأن يسكن فيه، ويهبه قوته، ويعطيه نعمة وحقاً، بهذا يشعر بالكفاية ولا يعاني من أي عوز. يهبه الحماية والكرامة والمجد. لم ينزع عنه التجربة، ولا وعده بذلك، لكنه وهبه نعمته التي تهبه راحة وحماية ومجداً. حيث يتمتع بإرادة مقدسة متناغمة مع إرادة المسيح، تدخل به إلى الاستتارة وإدراك خطة الله من جهته، كما تهبه امكانيات إلهية تعمل فيه لكي يبلغ إلى الكمال في المسيح يسوع.

❖ أخبر الله بولس أنه يكفيه أن يقدر أن يقيم الميت ويشفي الأعمى ويظهر البرص ويصنع عجائب أخرى. إنه ليس في حاجة إلى الاستثناء من الخطر والمخاوف وأن يتم الكرازة بدون التعرض لأي شكل من العقبات. حقاً إذ حلت هذه المتاعب ظهرت قوة الله للخلاص، وانتصر الإنجيل بالرغم من الاضطهادات. كلما كثرت المتاعب ازدادت النعمة^٢.

❖ إذ يكتب: "فبكل سرور أفخر بالحري في ضعفاتي" ... هذا في ذاته دليل عن مدى عظمة هذه القيود عنده...^٣

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الاحتمال شيء والفرح أمر مختلف تماماً. فإن الشخص غالباً ما يحتمل هجمات التجارب، لكنه يفعل ذلك في ألم وضيق. أما الشخص الذي يفرح، فهو من الجانب الآخر يعلن سعادته عالياً. هكذا يعلن الطوباوي بولس، أعظم مفسر للبلاغة المقدسة، "أسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات

¹ Letter to Emperors, 1.

² In 2 Cor. Hom 26:3.

³ In Ephes., hom. 9.

والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح". إنه لا يقول: "إنني أحمل أو أحتمل"، بل "أنا أسرُّ"، الأمر الذي يشير إلى عظمة مسرته. في موضع آخر يقول: "إنني أفرح بآلامي لأجل المسيح"^١.
الآب ثيودورت أسقف قورش

٤. افتخاره بأتعابه

"لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات

والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح،

لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي" [١٠].

إن كان السيد المسيح من جانبه لا يزرع التجربة بل يهب الرسول نعمته التي تسنده فيتمجد الله فيه، ويدخل إلى طريق الكمال، فالرسول من جانبه يُسر بكل الضيقات التي تحل به مادامت من أجل المسيح. إنه ليس بالإنسان القوي، لكن حيث هو ضعيف يصير بالسيد المسيح قويًا. إنه لا يحتمل التجارب بصيرٍ فحسب، وإنما بمسرة وبهجة قلب.

❖ ما لم يميت الجسد لا تقدر الروح أن تعيش...

ليطبّق كل إنسان ذلك على نفسه كيف أنه بالحق إذ يصير ضعيفًا وهزيلًا بالصوم تكون نفسه مملوءة غيرة، وأفكاره ممتلئة بالكامل في الله. ويردد مرارًا وتكرارًا: "ما أجمل خيامك يا رب الجنود!"^٢.
القديس جيروم

❖ لم يتمجد الرسول بقوته بل بضعفه: "حيث أنا ضعيف حينئذٍ أنا قوي"^٣.

القديس جيروم

❖ عندما اقترب منه الموت دعى الجميع لمشاركته هذا الفرح، قائلاً: "وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضًا وافرحوا معي" (في ٢: ١٨). فكان يتهلل فرحًا في الضيق والألم وفي كل مذلة. كتب إلى أهل كورنثوس: "لذلك أُسر بالضيقات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح" (٢ كو ١٢: ١٠). ودعى ذلك أذرع العدالة، موضحًا أنها مصدر ثمر لفائدته، فصار لا يُهزم أمام أعدائه.

وبالرغم من الضرب والاضطهاد والشتم كان كمن في عرس بهيج مُصححًا الكثير من مفاهيم

¹ On Divine Providence, Dis., 10:10. (ACW)

² On Ps. Hom. 16.

³ On Ps. Hom. 35.

النصرة، متهللاً فرحاً، شاكرًا لله بقوله: "ولكن شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين" (٢ كو ٢: ١٤).

وفي كرازته ازدادت كرامته بقبوله الإهانات والاضطهادات، ناظرًا إلى الموت كما ننظر نحن إلى الحياة، وقابلًا للفقر كقبولنا للغنى، ومتمتعًا بالأتعاب كسعيينا نحو الراحة، ومُفضلاً الضيقة عوض عن اللذة، ومُصليًا لأجل أعدائه أكثر من المصلين ضدهم. فقلب موازين الأمور، أو بالأحرى لنقل إننا نحن الذين غيرنا تلك النظم. إذ أنه ببساطة حافظ على شرائع الله، لأن ما سعى إليه يتفق مع الطبيعة البشرية، أما سعيينا نحن فهو ضد الطبيعة...

شيء واحد فقط كان يخافه ويخشاه، ألا وهو التعدي على شرائع الله. فسعى نحو لذة واحدة فقط وهي أن يكون موضع سرور الله، ليس بمعنى السرور الحاضر فقط، بل السرور العتيد أن يكون أيضًا^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا تتحقق النصر بكمية المال ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الرب عونه مجانًا للذين يطلبونه بالأحزان المكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أحزانه، موضوع فخره. لهذا صار قادرًا أن يقول: "حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي"... أترون إلى أين تقودكم الأحزان؟ إلى الرجاء الذي لا يخيب (رو ٥: ٣)^٢.

القديس باسيليوس الكبير

٥. خدمته لهم المجانية

"قد صرت غيبًا وأنا أفخر،

أنتم ألزمتوني،

لأنه كان ينبغي أن أمدح منكم،

إذ لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل،

وإن كنت لست شيئًا" [١١].

يرى إنه ما كان يليق به أن يفتخر بما ناله من ضيقات لأجل المسيح، لكنه التزم بذلك، لأنه كان يليق بهم أن يدافعوا عن رسوليته أمام المقاومين، إذ لم يكن ينقص شيئًا عن فائقي الرسل، وخدمته

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٢.

^٢ Hom. 20 On Ps. 59.

ليست بأقل من خدمتهم. صمتهم يفسد العمل الذي أسسه هناك، لهذا الزموه أن يمدح نفسه وخدمته. بقوله "وإن كنت لست شيئاً" يشير إلى ما ادعاه الرسل الكذبة ضده، وأيضاً صدقهم بعض الشعب وحسبوا الرسول بولس كلا شيء. كأنه لم يقدّم أية خدمةٍ لاثقة بالمسيح. كان الرسول نفسه أيضاً يشعر بهذا أنه ليس بشيء بدون نعمة المسيح وقوته.

❖ الأمر العجيب ليس في أنه تحدث عن نفسه، ولكن أنه تحدث بالقدر الملائم الصحيح، فلم يستفرض في وصف المواقف الصالحة حتى لا يقع في مدح الذات، لكنه عرف متى وأين يتوقف. ولم يفعل ذلك إرضاءً لنفسه، ولكنه وصف نفسه كمختلٍ ليوقف الآخرين عن الانغماس في مديح الذات من أجل المديح في ذاته، لأنه فعل ذلك فقط في المواقف التي تطلبت ذلك. كثيرون ممن تطلّعوا إليه أرادوا التمثل به بلا تفكير أو تمييز. هذا يحدث أيضاً في مجال الأطباء، فنجد ما يصفه الطبيب بعناية لشخصٍ ما يستخدمه الآخر باستهتار فيفقد تأثيره وفاعليته.

ولتجنب المزيد من الصعوبة لاحظ كيف أحاط بولس الرسول ممارساته وأفعاله بحدود عظيمة مؤجلاً مديحه لنفسه لا مرة ولا اثنين بل مرات عديدة قائلاً: "لنكن تحتملون غباوتي قليلاً" (٢ كو ١١: ١) وأيضاً: "الذي أتكلّم به لست أتكلّم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار هذه" (٢ كو ١١: ١٧، ٢١) "في غباوة أنا أيضاً أجتري فيه".

ولم يجد هذا القول ملائماً ولكن في رفضه لنزعة الافتخار يخفي شخصيته قائلاً: "أعرف إنساناً في المسيح"، وأيضاً: "من جهة هذا أفتخر ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي"، وبعد كل ذلك يضيف قائلاً: "قد صرت غيباً وأنا أفتخر. أنتم ألزمتوني" (٢ كو ١٢: ٢، ٥، ١١).

حينما نرى هذا الرجل القديس يرفض ويتردد كثيراً في الافتخار بنفسه حتى حينما يقتضي الأمر ويلزمه بذلك، إذ دائماً يلجأ حديثه، كحصانٍ جامحٍ ينحدر من على قمة جبل، مستخدماً أقل الكلمات الممكنة، فمن يمكنه التجاسر والحمق في أن ينغمس في مدحه لنفسه بدلاً من ترشيد هذا الافتخار عند الضرورة القصوى إن اقتضى الأمر؟^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إن علامات الرسول صنعت بينكم

في كل صبرٍ،

بآيات وعجائب وقوات" [١٢].

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٥.

❖ لاحظوا أن بولس يقول بأن كل هذه الأمور قد حدثت في صبر عظيم، لأن احتمال كل الأمور بنبل هو علامة الرسول^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بحق يضع بولس الصبر قبل الآيات والعجائب لأن المواقف أهم من الإمكانيات^٢.

ثيودورت أسقف قورش

قدمت نعمة الله الدلائل على صدق رسولية بولس ودعوته الإلهية، وهي:
أولاً: في كل صبر، فإن ما احتمله الرسول لا يمكن لطاقة بشرية أن تحتمله ما لم تعمل نعمة الله فيها وتهب الشخص إمكانية الصبر.

ثانياً: بآيات وعجائب وقوات متنوعة.

"لأنه ما هو الذي نقصتم عن سائر الكنائس،

إلا إني أنا لم أثقل عليكم.

سامحوني بهذا الظلم" [١٣].

كخادم أمين قدم كل الامكانيات للكنيسة في كورنثوس، ولم يتركها تنقص شيئاً عن سائر الكنائس، وفي نفس الوقت لم يتقل عليهم بأي التزام مادي يخص ضروريات الحياة.
يعتذر بأنه ظلمهم لأنه لم يسمح لهم أن يساهموا في معونته كما سمح للكنائس الأخرى بالمساهمة في نفقات الخدمة والخادم هو امتياز يتمتع به المؤمنون.

❖ يقول بولس أن أهل كورنثوس أهانوا الرسول، إذ حسبوه أقل من المعلمين الكذبة^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتي إليكم،

ولا أثقل عليكم،

لأنني لست أطلب ما هو لكم بل إياكم،

لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين

بل الوالدون للأولاد" [١٤].

¹ In 2 Cor. hom 27:1.

² PG 82:451.

³ In 2 Cor. hom 27:2.

إن كان قد ظلمهم قبلاً فما هو يخبرهم للمرة الثالثة أنه قادم لزيارتهم وهو لا يطلب مساهمتهم في نفقاته، إنما يطلب أشخاصهم. إنه أب، والأب يتعب ويجاهد لكي يعطي أولاده ولا ينتظر أن يأخذ منهم شيئاً. مسرته أن يقتنيهم كأولاد له. إنه يطلب خلاصهم الأبدي، يقتنيهم كعروس للمسيح، ولا يطلب مقتنياتهم.

سبق فأخبرهم أن لديهم معلمين كثيرين لكن ليس آباء كثيرون. إنه ليس مجرد معلم بل هو أب. كأنه يقول لهم: "أنا أبوكم وأنتم أولادي، ليس من يجد لذة في التعب من أجلكم مثلي".

❖ أضاف بولس ذلك لكي يبدد كل ما تبقى من شك بخصوص دوافعه ونياته. فإنه سوف لا يمثل ثقلاً عليهم متى جاء. على العكس سيعطيهم أكثر مما يأخذ منهم^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هكذا أنا أعرف، ومتأكد، أنكم تحبون أولادكم، "لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين، بل الوالدون للأولاد". نعم، بهذه الدعوى كثيرون منكم يبررون أنفسهم. لكنني أقول، لتمتد محبتكم وتنمو، فإنه لكي تحبوا زوجاتكم وأولادكم ليس هذا هو ثوب العرس (السموي). آمنوا بالله. أحبوا أولاد الله. امتدوا نحو الله، واسحبوا كل من تستطيعون جذبه إلى الله. لك عدو، اجتنبه لله.

لك ابن وزوجة وخادم، اجتنبهم إلى الله.

لك عدو، اجتنبه لله. اجتذب واجتذب عدوك، فباجتذابه سيكف عن أن يكون عدواً.

لتنمو المحبة وتنتعش، فإذ تنتعش تكمل، بهذا ترتدي ثوب العرس^٢.

القديس أغسطينوس

"وأما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم،

وإن كنت كلما أحبكم أكثر أحب أقل" [١٥].

إنه سيستمر يمارس أبوته الحانية، ينفق ما لديه ويبذل ذاته من أجلهم، مقدماً ما لديه من امكانيات كما يقدم قلبه وفكره ومشاعره وأحاسيسه لحسابهم. هذا لن يتأثر بتصرفاتهم، فهو يعلم أنه كلما أحبهم أكثر يحبونه أقل.

إنه يُسر بأن يقدم ممتلكاته ووقته وقوته وكل ما يشغله لحساب أولاده، وأيضاً أن يتألم ويموت

¹ In 2 Cor. hom 27:2.

² Sermons on New Testament Lessons, 40:10.

لأجلهم. إنه كالشمس التي تُستهلك لتضيء للآخرين.

❖ كان يعتبر أمرًا واحدًا مُشينًا، وهو أن يُهتَم بشيء أكثر من الخلاص. لهذا لم يترك حجرًا لم يُحرّكه، ولا ادّخر وسعًا من أجل خلاص الناس، سواء بالوعظ أو العمل، حتى لم يبخل بحياته. لقد عرّض حياته للموت مرات عديدة، ولم يتردد في إنفاق أي مالٍ إن كان يمتلكه! ولماذا أقول: "إن كان يمتلكه"؟ لأنه كان يُعطي بسخاء. ليس في هذا تناقض، لكن اسمعه يقول: "وأما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم" (٢ كو ١٢: ١٥)، وخاطب أهل أفسس قائلاً: "أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجة الذين معي خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٤).^١

❖ من حق بولس أن يأخذ، لكنه لم يرد أن يفعل ذلك. نحن أيضًا يلزمنا أن نتمثل بسلوكه.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فليكن.

أنا لم أثقل عليكم

لكن إذ كنت محتالاً أخذتكم بمكر" [١٦].

حسب قول الرسول نفسه أنه استخدم المكر معهم حين رفض قبول أية مئونة منهم لكي لا يتقل عليهم. ويرى البعض أن هذه ليس كلمات الرسول بولس وإنما كلمات الذين افتروا عليه، وقد ردّ عليهم في الآيتين التاليتين.

"هل طمعت فيكم بأحد من الذين أرسلتهم إليكم؟" [١٧]

يتساءل: هل طلب أحد ممن أرسلهم إليهم سواء للكراسة بالإنجيل أو معاونتهم في تدبير أمور الكنيسة في أي جانب من الجوانب شيئًا لحساب بولس الرسول؟ يطلب برهانًا واحدًا على أية دعوى كهذه.

٦. خدمة تيطس المجانية

"طلبت إلى تيطس، وأرسلت معه الأخ،

هل طمع فيكم تيطس؟

أما سلكنًا بذات الروح الواحد،

^١ في مديح القديس بولس، عظة ٣.

^٢ In 2 Cor. hom 27:2-3.

أما بذات الخطوات الواحدة" [١٨].

أرسل بولس الرسول إليهم تيطس ومعه أخ آخر (٢ كو ٨: ٦، ١٨). فهل طلب منهم تيطس أجرًا أو شيئًا ما سواء لنفسه أو لبولس الرسول؟ إنهم يعرفون تمامًا أنه لم يحدث شيء من هذا، إذ سلك بذات روح الرسول بولس، وسلك على نفس خطواته.

٧. مسرته ببنيتهم الروحي

"أتظنون أيضًا أننا نحتج لكم؟

أمام الله في المسيح نتكلم،

ولكن الكل أيها الأحباء لأجل بنيانكم" [١٩].

ما يطلبه الرسول في كل تصرفاته معهم هو بنيانهم. هذه هي غايته أن يقيم أساسًا سليمًا وبناءً فائقًا لكنيسة الله في كورنثوس. إنه يتساءل: هل يعتذر لهم عن إرساله تيطس والأخ الذي معه إليهم ولم يحضر هو بنفسه إليهم؟ حتمًا لا، لأنه فعل هذا لخيرهم. هذا ما ينطق به في المسيح يسوع أمام الله الأب.

"لأنني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد،

وأوجد منكم كما لا تريدون،

أن توجد خصومات ومحاسدات وسخطات

وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبريات وتشويشات" [٢٠].

يقدم لهم الرسول السبب في عدم حضوره وإرساله تيطس والأخ إليهم، وهو أنه لم يرد أن يحضر ويجدهم في حال غير ما يريده، ألا وهو التوبة وإصلاح المواقف الخاطئة المنحرفة. كما لا يريد أن يحضر فيجدوه على غير ما يريده، إذ يجدونه حازمًا وحزينًا على ما هم عليه. يروه حاملًا عصا التأديب لا روح الوداعة والرفقة معهم. إذ لا يطيق أن يجد الانقسامات والخصومات مع الحسد والسخط والتحزب والنميمة والعجرفة والتشويش.

❖ لم يقل بولس أنه يخاف أن يجدهم في الخطية، بل بالأحرى ألا يجدهم كما يريد لهم بالكامل. لذا يصنع موازنة مع القول بأن توقعاتهم من جهته قد تخيب^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 2 Cor. hom 28:2.

❖ أتريد أن تعرف كيف كان مترفعاً بالخطاة؟

اسمع ما يقوله لأهل كورنثوس: "لأنني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد، وأوجد منكم كما لا تريدون" (٢ كو ١٢: ٢٠). يقول بعد ذلك: "أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها" (٢ كو ١٢: ٢١). وكتب إلى أهل غلاطية: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسيح فيكم" (غل ٤: ١٩)¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً

وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل

ولم يتوبوا عن النجاسة والزنى والعهارة التي فعلوها" [٢١].

يستخدم بعض الآباء، هذه العبارة للرد على أتباع نوفتيان *Novatian* الذين يدعون بأنه لا توبة للزناة، والتمتع بالأسرار الإلهية. على نقیض من ذلك يفتح الرسول باب الرجاء أمام الجميع مترجياً التوبة عن النجاسة والزنى والعهارة.

بعد أن بذل بولس الرسول كل هذا الجهد في نشأة الكنيسة في كورنثوس وأيضاً الاهتمام بإصلاح حالها يخشى أنه متى جاء إليهم يسمح له الله بالحزن الشديد على ما حلّ بهم من شرٍ وفسادٍ، فينوح عليهم عوض الفرح بالالتقاء معهم وتهليل قلبه لنموهم الروحي.

❖ يذهب بولس إليهم كمتهمٍ لهم وقاضٍ، ومع هذا فإنه يتذلل أمام الله، ولا ينتفخ. ليست لديه أية رغبة للقيام بأي دور كهذا².

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ في مديح القديس بولس، عظة ٣.

² In 2 Cor. hom 28:2.

من وحي ٢ كو ١٢

اعلن لي ذاتك وسط السكون!

❖ حملت رسولك إلى سمائك الثالثة،

فذاق عذوبة الحياة الأبدية.

دخل في دهن وسكرت نفسه بحبك.

وبقي سنوات هذا عددها لم يخبر أحداً بذلك!

❖ لتحمل قلبي وفكري إليك.

لتعلن ذاتك في أعماقي.

أنر عيني، فأتعرف على أسرارك،

أعيش في سكون الحب الفائق!

❖ جسدي بين يديك،

وحياتي هبة من عندك.

من يحبني مثلك؟!

من هو قدير وحكيم مثلك؟

لا أعود أخشى الضيقات،

ولا أرهب التجارب،

فحياتي هي في يدك الأمانة!

قدني في الطريق الضيق،

لكن لا تفارقني ولو إلى لحظات!

فأنت حياتي وحصني وسعادتي!

❖ أنت تحول ضعفاتي إلى قوة!

أنت تخرج من الآكل أكلًا!

أنت تحول كل الأمور لبناني!

لأسر بالضعفات والمتاعب!

إذ تحولها فتصير إكليلاً لي!

❖ إلهي، أنت عجيب في طول أناتك.

أنت تهب الصبر علامة الرسولية!

أنت وحدك تهيني بك القدرة على الاحتمال!

هب لي أن أنفق كل ما وهبتي لحساب ملكوتك!

هب لي أن أبذل كل حياتي، متشبهًا بك يا أيها العجيب في بذلك!

❖ لتعمل نعمتك في داخلي،

فلا أكف عن العمل معك وبك.

لأحزن على كل نفسي ساقطة،

ولنتهّل أعماقي بتوبة الكثيرين!

الباب السادس

الختام

ص ١٣

الأصحاح الثالث عشر

الختام

بعد أن أبرز الرسول إلى أهل كورنثوس كل محبةٍ وحنوٍ، مؤكدًا أنه ينفق كل ما لديه ويُنفق هو نفسه من أجلهم، أعلن عن سلطانه الرسولي الذي لن يستخدمه إلا لبنيانهم ولمجد الله. الآن في الختام يهدد المصممين على المقاومة وعدم التوبة، مع صلواته من أجل الكنيسة وتقديم البركة الرسولية للجميع.

١. تهديده للأشرار ٦-١.
٢. صلاة من أجلهم ٧-١٠.
٣. وداع وبركة ١١-١٤.

١. تهديده للأشرار

إذ بعث إليهم رسالتين حسبهما شاهدين على من يصر على شره ومقاومته للحق الإنجيلي وإفساد كنيسة الله.

"هذه المرة الثالثة آتي إليكم،

على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة" [١].

من هم الشاهدان أو الثلاثة شهود؟ يرى البعض أن الشاهدين هما زيارتان قام بهما إلى كورنثوس. وكما يقول Calmet أن الزيارة الأولى قام بها عام ٥٢م لتأسيس الكنيسة هناك حيث بقي سنة ونصف (أع ١٨ : ١). وجاء إليهم مرة أخرى عام ٥٥م حيث قضى مدة قصيرة، واضطر أن يرجع بسرعة إلى أفسس (١ كو ١٦ : ٧). لهذا لم يشر القديس لوقا إليها في سفر الأعمال. وأخيرًا يريد أن يزورهم للمرة الثالثة وقد تم ذلك عام ٥٧م.

يرى البعض أن الرسول لم يزُر كورنثوس حتى كتابة هذه الرسالة سوى مرة واحدة. ويرى آخرون أن الشاهدين هما الذين ضمهما إلى اسمه في الرسالتين: سوستانيس الأخ (١ كو ١ : ١)، وتيموثاوس الأخ (٢ كو ١ : ١).

❖ كان بولس يشعر بالألم شديد وهو يكتب مقدمًا عن مجيئه إليهم، إذ كان يترجى أن تضع الكنيسة

الأمر في نصابها قبل ذهابه، حتى يبدو أن ما يهدد به غير ضروري^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قد سبقت فقلت وأسبق فأقول،

كما وأنا حاضر المرة الثانية،

وأنا غائب الآن،

أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين،

أني إذا جئت أيضًا لا أشفق" [٢].

يشير هنا إلى الزيارة الثانية القصيرة التي لم ترد في سفر الأعمال.

❖ يبدو أن الزيارة الثانية قد تمت فعلاً: "وأنا حاضر المرة الثانية".

ما يقوله هو: لقد تحدثت مرة ومرة أخرى حين كنت معكم، والآن أتحدث معكم بالرسالة. فإن سمعتم لي بالحقيقة ما أوده سأفعله، أما إن عصيتم فبالضرورة أتوقف عن الكلام لكي أصب عقاباً^٢.

❖ يقول بولس إنه يضع عنقه على يده، وإذ سمع الكثيرون تهديداته، فإنه إذ يجيء ولا يجد الأمور قد تغيرت فسيطردهم. حتى هذا الأمر سيراه بنظرة متواضعة ودفاعية ليس إلا^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم في،

الذي ليس ضعيفاً لكم،

بل قوي فيكم" [٣].

إن كانوا يطلبون برهاناً على سلطانه الرسولي في المسيح يسوع، فإن البرهان هو تحولهم هم أنفسهم إلى الإيمان بالسيد المسيح. هذا التحول هو برهان قوي على أن المسيح هو المتحدث بواسطته، وقد عملت قوته فيهم، وهي قوة ليست بضعيفة بل قوية. بذات السلطان والقوة من حق الرسول أن يؤدب المعلمين الكذبة.

❖ تطلع يا الله حامينا، وانظر على وجه مسيحك (راجع مز ٨٤: ١٠). لاحظ أنه يقول: "تطلع على

وجه مسيحك". اذكر أنه إذ يصلي الإنسان بغيرة يتطلع الآب إلى وجه الابن. تحقق ماذا يعني

¹ In 2 Cor. hom 29:1.

² In 2Cor. hom 29. PG 61: 640.

³ In 2 Cor. hom 29:1.

هذا؟ يسأل الرسول: "أتطلبون برهان المسيح المتكلم في؟"، ويجيب المخلص نفسه: "من يقبلكم يقبلني" (مت ١٠ : ٤٠). لذلك فإن ما يقوله المرتل هو: "تطلع إلينا، فإنك تنظر ابنك الساكن في داخلنا".

ما يقوله بولس ينطق به المسيح، لأن "من يقبلكم يقبلني" (مت ١٠ : ٤٠). هكذا يتكلم ربنا ومخلصنا معنا في كتابات أمرائه^١.

القديس جيروم

❖ سوف لا يعاقب بولس الكورنثيين لمجرد ابراز أنه صاحب سلطان. إحجامه عن صبره معهم ليس نابعا عن ضعف بل عن حب وطول أناة^٢.

❖ "المسيح... الذي ليس ضعيفا لكم بل قوي فيكم". لماذا أضاف "لكم"، مع أنه قوي في كل موضع؟ لأنه إذ يريد أن يعاقب غير المؤمنين أو يعاقب الشياطين أو أي كائن آخر فهو قادر على ذلك. فماذا يعني بهذه الاضافة؟ هذا التعبير إما لكي يخلجهم بزيادة إذ بالفعل تسلموا برهانًا، أو لكي يعلن لهم ذلك: إنه يظهر قوته فيكم يا من أنتم يجب أن تصلحوا من شأنكم. وكما يقول في موضع آخر: "لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج؟" (١ كو ٥ : ١٢). إنه يقول: "بالنسبة للذين من خارج سيدينهم في يوم الدينونة، أما بالنسبة لكم فلكي يخلصكم من هذا العقاب"^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لأن بولس الرسول قد صار يومًا ما "إناءً مختارًا" (أع ٩ : ١٥) لم يعيش حياته بعد، بل أظهر المسيح حيًا في حياته، وقدم برهان المسيح المتكلم فيه (٢ كو ١٣ : ٣). لذلك صار مسكنًا يحوي الطبيعة التي لا تُحوى^٤.

❖ إذا اتبع أي شخص مثال بولس وأصبح إناءً مختارًا حاملاً اسم الله (أع ٩ : ١٥) ووحدت رأسه جميع أطراف جسم الكنيسة في انسجام، فإذا تكلم مثل هذا الشخص فإنه لا يتكلم من نفسه بل يتكلم كأنه الرأس. فالمسيح هو الذي يتكلم كما أوضح بولس (٢ كو ١٣ : ٣). لذلك تربط القصة الهوائية والحنجرة كلمة الحق مع صوت الروح القدس العذب الشجي. وتُجمل القصة الهوائية

¹ On Ps., hom 16.

² In 2 Cor. hom 29:2.

³ In 2Cor. hom 29. PG 61: 61:642.

⁴ Commentary on Song of Songs, Homily 3.

بالكلام المقدس، وتغذي كل أعضاء الجسد بهذه التعاليم المحببة. تعمل الفقرات بانسجام الجسد بواسطة رابطة السلام والحب^١.

❖ الشخص الذي يسكن فيه الله، هو أريكة يجلس عليها الله. مثل هذا الشخص لا يعيش لنفسه بعد ذلك بل يعيش المسيح فيه، ويعطي برهانا أن المسيح يتكلم من خلاله، حسب قول الرسول الطاهر بولس (٢ كو ١٣: ٣). فيسمى هذا الشخص بجدارة أريكة مولودة من المسيح ويحملها المسيح^٢.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ لم يتكلم (المسيح) بما يناقض رسوله، متطلعين أنه هو نفسه تكلم فيه أيضًا، كما يقول: "هل تطلبون برهان المسيح المتكلم في؟" المسيح في الإنجيل، المسيح في الرسول. إذن يتحدث المسيح بالاثنتين، تارة بفمه والأخرى بفم سفيره. فعندما يعلن السفير (المذيع باسمه) شيئاً من كرسي القضاء لا يكتب في السجلات بأن "السفير قال هذا"، وإنما يسجل الكلام كمن هو نفسه قالها، إذ أمر سفيره أن يقول^٣.

❖ المسيح نفسه ينطق في قديسيه كما يقول الرسول، "هل تطلبون برهان المسيح المتكلم في؟"^٤.

❖ ألم يشهد الشهداء للمسيح؟ ألم يحملوا شهادة للحق؟ لكن إن فكرنا بأكثر اهتمام، يحمل هؤلاء الشهداء شهادة هو نفسه يشهد بها لنفسه. لأنه يسكن في الشهداء ليحملوا شهادة للحق. استمع إلى أحد الشهداء، الرسول بولس: "ألم تقبلوا برهان المسيح الذي يتكلم في؟"^٥

القديس أغسطينوس

❖ إذا لم يُطلب عون الله يصير الجهد البشري قائماً على أساس ضعيف إلى حد ما. بلا شك يكون الإيمان في خطر ما لم تسنده عناية الله التي ترعاه. لذلك فمن جانبنا نرغب في الصلاح ومن جانب المسيح يحقق ذلك^٦.

الأب فاليريان

¹ Commentary on Song of Songs, Homily 7.

² Commentary on Song of Songs, Homily 7.

³ Sermons on New Testament Lessons, 32:8.

⁴ Sermons for Christmas and Epiphany (ACW), 16:5.

⁵ Sermons on New Testament Lessons, 78:3.

⁶ Homily 11:4 (Frs. of the Church).

❖ "ألا تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ"، لأن المسيح موجود في كل قديس، وهكذا من المسيح الواحد صار مسحاء كثيرون، صاروا متمثلين به، يتشكلون على مثال ذاك الذي هو صورة الله، لهذا يقول النبي: "لا تمسوا مسحائي" (مز ١٠٥: ١٥).^١

❖ يمكننا القول بأكثر لياقة بأن المخلص لم يكن في تلاميذه بل معهم ماداموا لم يبلغوا بعد إلى نهاية الدهر بأذهانهم. ولكن عندما يرون أنه قد صارت نهاية العالم المصلوب بالنسبة لهم بين أيديهم قدر ما يستطيعون، عندئذ لا يكون يسوع بعد معهم بل فيهم، فيقولون: "لا أحيأ أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠)، و"إذ تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ" (٢ كو ١٣: ٣).^٢

العلامة أوريجينوس

"لأنه وإن كان قد صُلب من ضعف،

لكنه حي بقوة الله،

فنحن أيضًا ضعفاء فيه،

لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهنكم" [٤].

إن كان الرسول قد اتهم بالضعف وأنه بلا سلطان، فإن المسيح المتحدث فيه هو أيضًا اتهم بذلك. لقد صُلب، وبصلبه ظهر كضعيف. لكنه لم يكن هكذا، فقد سلم حياته للموت بإرادته، ولم يكن ممكنًا أخذها دون سماح منه. ففي قدرته أن يرسل أكثر من اثني عشر جيشًا من الملائكة لمساندته ضد الجماهير التي قادها الكهنة ضده (مت ٢٦: ٥٣). لكن كيف كان يُمكن أن تتم الكتب؟ بموته أظهر القوة الإلهية، قوة الدم والخلص، وعمل النعمة التي جذبت العالم إلى السيد المسيح، وتحول الكثيرون إلى الإيمان به.

كأن الرسول يقول: "وإذ نحن للمسيح نأخذ جانبه، وكما اتهمه اليهود بالضعف عندما صُلب، هكذا نتهموننا بالضعف ونحن نتألم من أجلكم. نحن نشاركه حياته المصلوبة، نشاركه الحب، فنحمل قوته فينا، ونحن متهمون منكم بالضعف".

❖ توجد ثلاثة معانٍ لتعبير "ضعف": الضعف الجسدي، وعدم الثبات في الإيمان، والاضطهادات. هنا يستخدم القديس بولس المعنى الثالث للضعف. وما يعنيه هو: في الاضطهادات والمخاطر والمحاكمات والمؤامرات والمينات، لم يتكلم عن انفعال ولا عن شك في الإيمان بل ماذا؟ في إهانات،

¹ Commentary on John, 6:3.

² Commentary on John, 10:8.

في ضرورات، في اضطهادات، في ضيقات (٢ كو ١٢: ١٠)... فإنه وإن اختار أن يحتمل شيئاً يبدو أنه يحمل معنى الضعف إلا أن هذا لن يعوق قوة الله.

يقدم القديس بولس تعبيراً عن فهم عدم الإيمان، الذي يتطلع إلى الصليب كغوايةٍ وضعفٍ. لكن بولس لا يقول هذا لأن (المسيح) كان ضعيفاً حين كان مصلوباً. فإنه كان في سلطانه ألا يُصلب، هذا ما اظهره... فلماذا يقول: "في ضعفٍ"؟ وإن كان قد صُلبَ محتملاً الخيانة والمصائب والإهانة (إذ حسب الظاهر تُدعى ضعفات)، إلا أنه لم يؤذه شيء من هذه. ولا نحن يصيبنا ضرر عندما نُضطهد ونُحارب.^١

❖ ما هو معنى "نحن ضعفاء فيه"؟ نحن نُضطهد، نُسحب هنا وهناك، ونحتمل إلى أقصى التطرفات. ولكن ماذا تعني "فيه"؟ أي من أجل الكرازة والإيمان به. ولكن إن كان من أجله نحتمل ما هو محزن ومقلق ومرهق، فواضح تماماً أننا سننال أيضاً ما هو مفرح. ولهذا يضيف: "لكننا سنحيا معه بقوة الله".^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أنتم تعلمون جيداً أيها الإخوة القديسون كما نحن، أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو طبيب صحتنا الأبدية، ولهذا الهدف أخذ ضعف طبيعتنا حتى لا يدم ضعفنا إلى الأبد. لقد أخذ جسماً قابلاً للموت، فيه يقتل الموت. وكما يقول الرسول: "وإن كان قد صُلب من ضعفٍ لكنه حي بقوة الله".^٣

القديس أغسطينوس

"جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟

امتحنوا أنفسكم،

أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم،

إن لم تكونوا مرفوضين" [٥].

لكي يؤكد سلطانه في المسيح يسوع يسألهم ألا يطلبوا برهاناً خارجاً عنهم، بل يمتحنوا أنفسهم كيف عمل السيد المسيح فيهم خلال كرازة الرسول بولس ورعايته لهم، وكيف سكن فيهم. لقد ولد لهم الرسول

¹ In 2 Cor. hom 29, PG 61: 61:642.

² In 2 Cor. hom 29, PG 61: 61:644.

³ Sermons on New Testament Lessons, 38:1.

بولس في المسيح يسوع، وصار لهم أبًا.

تستخدم الكلمة اليونانية وجربوا *heautous* للكشف عن العملات الذهبية أو الفضية إن كانت أصيلة أم مزيفة. فيليق بهم أن يفحصوا ذواتهم هل هم بالحق في المسيح والمسيح فيهم، أم هم حاملو الاسم فقط.

افحصوا أنفسكم، هل يسكن المسيح فيكم فتحملون روحه وقوته وفكره، وتتمتعون بالبنوة لله كعملة أصيلة أم أنكم مزيفون ومرفوضون من الله.

❖ تطلعوا إلى أنفسكم فستجدون أن لكم المسيح فيكم. المسيح هو فيكم فكم بالأكثر في معلمكم؟¹

❖ يبدو لي أنه يتحدث هنا عن حياتهم. حيث أن الإيمان ليس كافيًا أن يجذب طاقة الروح. وقد قال: "إن كنتم في الإيمان، فإن لكم المسيح فيكم"، ومع هذا يحدث أن كثيرين لهم إيمان وهم محرومون من هذه الطاقة. لحل هذه المشكلة يقول: "إن لم تكونوا مرفوضين"، أي إن لم تكن حياتكم فاسدة.²

❖ لم يُرد أن يجرح مشاعرهم لهذا لمَّح بطريقة غامضة دون أن يقدم تأكيدًا لهذا: "أنتم مرفوضون"... لقد أشار إلى ذلك بطريقة غامضة بإضافة: "أرجو أنكم ستعرفون أننا لسنا مرفوضين". هنا أيضًا مرة أخرى إنذار خطير... يقول: "أصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئًا رديًا، ليس لكي نظهر نحن مزكين، بل لكي تصنعوا أنتم حسنًا، ونكون نحن كأننا مرفوضون".

ماذا يقول؟ أتوسل إلى الله، أطلب منه إلا أجد أحدًا غير مصلح لحياته، لا أجد أحدًا غير تائب. بالحققة ليس هذا فقط، بل لا يوجد أحد يخطئ قط... لكن إن كنتم تستمرون في الخطية وعدم التوبة، فبالضرورة علينا أن نؤدب ونعاقب لكي نقم أجسادكم كما حدث في حالة سفيرة *Magus*، ونحن نعطي برهانًا لسلطاننا. ولكننا نصلي ألا يحدث هذا، بل يحدث العكس، وهو ألا نظهر بأننا مزكون بهذه الطريقة. ألا نظهر برهان سلطاننا الذي فينا بتأديبكم... نصلي من أجل هذا أن تعيشوا دائمًا في الفضيلة، دائمًا في تصليح لأموالكم، ويليق بنا بهذا ألا نتزكى إذ لا نستخدم سلطاننا في التأديب.³

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 2 Cor. hom 29:4.

² In 2 Cor. hom 29. PG 61: 61:644.

³ In 2 Cor. hom 29. PG 61: 61:645-646.

"لكنني أرجو أنكم ستعرفون

أننا نحن لسنا مرفوضين" [٦].

بعد أن قدم الرسول "سكنى المسيح فيهم" كترمو متر يقيسون به أنفسهم، وكدليل قوي على أصالتهم في الإيمان وعدم تزيفهم أكد لهم أن ما يتمتعوا به إنما يتمتع به هو وزملاؤه في الخدمة. وكأنه يقول لهم: "إن فحصتم أنفسكم فوجدتم أنفسكم عملة الله غير المزيفة، فأنتم لستم مرفوضين، وبالتالي يليق بكم أن تدركوا أننا نحن الذين كرزنا بإنجيل الحق لسنا مزيفين وغير مرفوضين".

٢. صلاة من أجلهم

"وأصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً ردياً،

ليس لكي تظهر نحن مزكّين،

بل لكي تصنعوا أنتم حسناً،

ونكون نحن كأنا مرفوضون" [٧].

في صلاته لا يطلب الرسول تزكية نفسه، بل تزكية الشعب وقبولهم لدى الرب وتمتعهم بسكناه فيهم. ما يشغله هو أولاده في الروح.

لا يريد الرسول أن يستخدم سلطانه الرسولي في التأديب بكونه مُزكى لدى الله، بل يطلب خلاص الناس حتى وإن بدا كمن هو مرفوض وبلا سلطان. لن يشغله السلطان الرسولي في ذاته، بل خلاص إخوته في الرب... لا يود أن يأتي إليهم بالعصا الرسولية للتأديب، بل يأتي إليهم بالوداعة الرسولية ماداموا مقدسين في الرب.

عمل الكاهن هو التضرع إلى الله لكي يحفظه ويحفظ الشعب من الخطية فلا يعملوا شيئاً ردياً، فيكونوا بالنعمة محفوظين فيه. أما عن كرامته أو سمعته فلا تشغل فكره قط.

"لأننا لا نستطيع شيئاً ضد الحق،

بل لأجل الحق" [٨].

لا يستطيع خدام المسيح أن يقدموا تعاليم باطلة ضد الحق الإنجيلي، إنما ما يستطيعوا أن يفعلوه هو تقديم الحق وتنبيته. الحق هو "المسيح نفسه"، والشهادة له إنما هي جذب النفوس إلى شخصه. وكأن الرسول يؤكد أنه إذ يعطي حباً وحنواً ولطفاً أو يمسك بالعصا ويؤدب لا يشغله أمر ما سوى إنجيل المسيح.

إن تمسكوا بالشر وقاوموا الحق لا يقدر الرسول أن يتهاون ليكسبهم، أو يضاد الحق لكي لا يسيئوا إلى سمعته.

"لأننا نفرح حينما نكون نحن ضعفاء

وأنتم تكونون أقوياء،

وهذا أيضًا نطلبه كما لكم" [٩].

ما يفرح قلب الرسول بولس أن يظهر كضعيف ولا يمسك بعصا التأديب، ماداموا هم أقوياء ببر المسيح.

ما يسره كأب أن يجد أولاده أقوياء في البرّ والمواهب الروحية، ويسلكون طريق الكمال. يرى البعض أن الرسول يعلن هنا أن مسرته أن يكون هو ومن معه ضعفاء، أي يحتملون اضطهادات وآلامًا مرة، وأن يكونوا هم أقوياء أو كاملين في الحياة المقدسة وعمل البرّ.

❖ من هو ذاك الذي يمكنه أن يعادل بولس؟ ولقد احتقر وثقل عليه وأهين وسخر منه واستخف به، وأثهم بأنه متبجح. وبالرغم من أنه يرى الحاجة إلى إبراز سلطانه أزال هذا وصلى ألا توجد ضرورة لاستخدامه. وعلى النقيض من ذلك أراد بالأحرى توضيح الأمر مقدمًا حتى لا توجد ضرورة لذلك^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لذلك أكتب بهذا وأنا غائب،

لكي لا أستعمل جزمًا وأنا حاضر،

حسب السلطان الذي أعطاني إياه الرب للبنيان لا للهدم" [١٠].

يكتب وهو غائب عنهم لكي إذا ما حضر لا يستخدم عصا التأديب والسلطان المُقدم له من الله لأجل تأديبهم لبنيانهم.

❖ بالأحرى يود بولس أن يظهر سلطانه في كلماته ولا يستخدمه عمليًا. لقد ترك لأهل كورنثوس أن يبلغوا إلى النتيجة أنهم إن لم يصححوا الوضع فسيأتي حتمًا ويفعل ذلك لهم^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ In 2 Cor. hom 29:5.

² In 2 Cor. hom 30:1.

٣. وداع وبركة

"أخيراً أيها الإخوة،

افرحوا،

اكملوا،

تعزّوا،

اهتموا اهتماماً واحداً،

عيشوا بالسلام،

والله المحبة والسلام سيكون معكم" [١١].

كما افتتح الرسالة بالتشجيع واللفظ والحنو، هكذا يختم الرسالة بوصايا مفرحة مع إبراز محبته للجميع وتقديم البركة الرسولية للكل.

❖ إننا على وجه الخصوص نعجب من تعليم السيد المسيح إذ يضع في أمثاله مكافآت الجهاد بكمال عظيم مثل أن "نعائين"، "ترث ملكوت السموات"، "نصير أولاد الله"، "نصير مثل الله"، "نرحم"، "نتعزى"، "ننال مكافأة عظيمة" الخ. وإن استدعى الأمر إلى ضرورة الإشارة إلى أمور محزنة يوضح ذلك في نغم خفيف^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أخيراً" *loipon*: كل ما تبقى له هو أن يختم رسالته مشتاقاً أن يتمتع الكل بالسعادة الصادقة.

"افرحوا" *chairete* وتعني الفرح الشديد مع السعادة. إنه لم يكتب إليهم ليبعث فيهم روح الحزن، بل يطلب بهجتهم وتهليل قلوبهم.

"اكملوا" *katartizesthe* أي ارتبطوا معاً برباط الحب والانسجام، هذا فيه بنيان الكنيسة وكمالها.

"تعزوا" *Parakalesthe*، فهو ينصحهم، وإذ يقبلوا نصيحته يمثلون راحة داخلية، حتى إن تعرضوا لاضطهادات أو ضيقات أو متاعب أيًا كان مصدرها.

"اهتموا اهتماماً واحداً": ليكن لكم الفكر الواحد، ولا تسمحوا بانقسامات أو انشغاقات. ليكن لكم الإيمان الواحد، والهدف الواحد. هذه الوحدة في المسيح يسوع هي التي تحقق لمم الفرح والكمال والتعزية السماوية.

"عيشوا بالسلام" *eixeeneuete* أي تعهدوا السلام أو كرسوا حياتكم لأجل سلام الكل. فلا

¹ In Matt. Hom. 18:9.

تسمحوا للذين يختلفون معكم في الرأي أن يسحبوا قلوبكم عن هدفها ويفقدونكم السلام.

"والله المحبة والسلام سيكون معكم". الله هو إله المحبة والسلام، مصدر الحب والوحدة. أحبنا ويشتهي أن نتمتع بالسلام معه ومع أنفسنا ومع اخوتنا.

إنه مع السالكين بالحب والسلام، يسكن في وسطهم، ويحل فيهم. إنه يحب من يحبون السلام، يثبت فيهم وهم فيه. لا يمكن أن تقوم المحبة بين محبي الانقسام والانشقاقات ورافضي السلام، ولا يتمتعوا بنعمة الحضرة الإلهية.

❖ لهذا السبب أمرهم أن يفرحوا. يقول: "إن كان من جانبكم تتبعونني لا يوجد ما يمنع ذلك

الفرح"... ما أوده أن "احتفظوا بالكمال"؟ صيروا كاملين. املأوا ما هو ناقص...

"احتفظوا بالتعزية" كل واحد بالآخر وينا، وبتغييركم إلى ما هو أفضل.

"احتفظوا بالذهن الواحد، احتفظوا بأن تكونوا في سلام"، كأن يتفق أناس في العقيدة، لكنهم في معاملاتهم مع بعضهم البعض يختلفون. أما بولس فيطلب الاثنين¹.

❖ كيف يمكن لبولس أن يتوقع منهم أن يفرحوا بعد أن قال لهم مثل هذا الكلام؟ إنه لهذا السبب قال هذا الكلام. لأنهم إن تبعوا ما يأمر به لا يوجد ما يمنعهم من الفرح. ليس شيء أكثر تعزية من الضمير الطاهر².

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه يشجعها (الكنيسة) ويحثها ألا تجلس خاملة هناك، بل تذهب إليه خارجًا وتحاول أن تراه، ليس بعد خلال النوافذ، ولا خلال مرآة في ظلمة، بل تذهب إليه خارجًا لتراه وجهًا لوجه. الآن إذ لا تستطيع أن تتظره هكذا يقف ليس أمامها بل من خلفها، وراء الحائط³.

العلامة أوريجينوس

❖ الفرحة الذي يُشار إليه هنا سيحل عندما يصلح الكورنثيون طرقهم، حيث يمكنهم بعد ذلك بلوغ النضوج في الإيمان. أما قبل هذا فتوجد تعزية تسندهم على هجر الملذات الحاضرة من أجل الرجاء في الأمور الآتية.

سلام الله شيء، وسلام العالم شيء آخر. فالناس في العالم لهم سلام لكنه يعمل على تدميرهم.

¹ In 2 Cor. hom 30, PG 61: 61:649-650.

² In 2 Cor. hom 30:1.

³ The Song of Songs, Comm., Book 3:13. (ACW)

سلام المسيح هو تحرر من الخطايا ولذا يُسر الله به. الشخص الذي له سلام سيكون أيضًا له الحب وإله كليهما يحميه إلى الأبد^١.

أمبروسياستر

"سَلِّمُوا بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقَبْلَةٍ مَقْدَسَةٍ" [١٢].

يسألهم أن يحملوا روح الصداقة المخلصة، وأن تكون قبلاتهم مقدسة لا تحمل خداعًا ولا فسادًا.

❖ ما هي القبلة المقدسة؟ إنها تلك التي بلا رياء كقبلة يهوذا. تعطى القبلة لتثثير الحب وتغرس في نفوسنا الاتجاه السليم نحو بعضنا البعض. عندما نعود بعد غيبة نقبل بعضنا البعض، لأن نفوسنا تسرع لترتبط معًا. لكن يوجد أمر ما يُقال في هذا الشأن. نحن هيكل المسيح، وعندما نقبل بعضنا البعض نحن نقبل ممر الهيكل ومدخله^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"يَسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ الْقَدِيسِينَ" [١٣].

يقصد بالقديسين هنا المؤمنين بمكدونية أو فيلبّي، حيث كتب الرسالة هناك. كانت كلمة "مسيحي" في الكنيسة الأولى تعادل كلمة "قديس"، إذ كان الكل يسلكون في القداسة ويحرصون على النمو فيها، ولا يعني بها القادة وحدهم.

"نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ

وَشَرَكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ

مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ" [١٤].

اللَّهُ، الثالوث القدوس، هو مصدر كل نعمةٍ وحبٍ وشركةٍ. يبدأ الرسول بنعمة المسيح واهبة الخلاص، ثم محبة الآب الذي بذل ابنه من أجلنا، وشركة الروح القدس واهب الوحدة. إذ يبدأ بالسيد المسيح يؤكد التساوي بين الأفانيم الثلاثة.

❖ إذ توجد نعمة واحدة، وسلام واحد، وسلام واحد، وحب واحد، وشركة واحدة من جانب الآب والابن والروح القدس، فبال تأكيد توجد عملية واحدة، وحيث توجد عملية واحدة فحتمًا لا يمكن للقوة أن

¹ CSEL 81: 313-314.

² In 2 Cor. hom 30:2.

تنقسم ولا للجواهر أن ينفصل^١.

القديس أمبروسيوس

❖ يختم بولس رسالته بصلاة وهو يحرص أن يتحدوا جميعًا مع الله. الذين يدعون أن الروح القدس ليس هو الله لأنه ليس لم يُدرج مع الأب والابن في بداية رسائل بولس يُرد عليهم بما فيه الكفاية بهذه الآية. كل ما يخص الثالوث غير منقسم. حيث توجد شركة الروح فهي شركة الابن أيضًا، وحيث توجد نعمة الابن توجد نعمة الأب والروح. أقول هذه الأمور دون أن يوجد خلط في التمييز بين الأقانيم بل نتعرف على كل أقنوم على حده، وعلى الوحدة المشتركة في جوهرهم^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ The Holy Spirit 1: 12: 13.

² In 2 Cor. hom 30:3.

من وحي ٢ كو ١٣

تهديد أم بركة!

- ❖ عجيب أنت يا ربي في معاملتك،
حين تهدد تهب حباً لا ينقطع.
وإذ تحب تهينا نضوجاً ملتزماً.
- ❖ رسولك العجيب اقتد بك، هدد أهل كورنثوس.
وفي تهديد كان يئن ويترفق.
يود أن يكون ضعيفاً وهم أقوىاء.
اشتفى ألا تتحقق تهديداته،
ولا يستخدم سلطانه الرسولي.
بل يرى الكل وقد تمتع بك،
فيفرح بهم ويتهلل!
- ❖ حمل قوتك إذ أنت فيه وهو فيك،
قوة الحب الغالب!
قوة الحق الذي لا يحطم بل يبني!
رفع قلبه إليك ليطلب عن محبوبيه.
يطلب فرحك المجيد، وتعزياتك السماوية وحبك الفائق.
وسلامك الأبدي. ونعمتك الواهبة التقديس!
- ❖ تُرى هل تهييني معه الحب الملتزم،
فلا أكف عن الصلاة هكذا من أجل كل العالم!

كلمة شكر

أشكر الأخ المبارك دكتور جورج كامل يوسف الذي قام بتجميع بعض أقوال الآباء بالإنجليزية منذ أكثر من خمس سنوات، وقد قمت بتكتملتها وترجمتها. وأثناء إعداد الكتاب للطبع ظهر كتاب

Ancient Christian Commentary on Scripture, volume 7.

Edited by Gerald Bary, 1999

قمت بترجمة بعض فقرات من أقوال الآباء الواردة به والتي لم تكن قد تُرجمت.

المحتويات

مقدمة في

رسالة بولس الرسول الثانية

إلى أهل كورنثوس

٧

موضوعها، مفتاح السفر، تاريخ كتابتها، غاية الرسالة، محتويات الرسالة.

٩

من وحي ٢ كورنثوس

هب لي قلبًا متسعًا

فأحمل كل نفس إلى سمائك!

الباب الأول

مقدمة في

الحب المتبادل بين الراعي والرعية

ص ١

الأصحاح الأول: مقدمة ١٢

البركة الرسولية، احتماله الآلام في المسيح لأجلهم، صلاتهم عنه وهو متألم، افتخاره بهم، وهم به، شوقه للحضور إليهم.

٣٨

من وحي ٢ كو ١

حبك يلهب قلبي بمحبة البشرية!

الباب الثاني

مفهوم الخدمة

٤٠

ص ٢ - ص ٥

الأصحاح الثاني: الرعاية والإصلاح ٤٢

فرحي هو فرح جميعكم، شفاعته في الساقط التائب، انفتح لي باب في الرب.

٦٢

من وحي ٢ كو ٢

فرّح قلوبنا معًا فيك!

الأصحاح الثالث: خدمة العهد الجديد ٦٣

بين الإنجيل والناموس، خدمة مجيدة، خدمة بلا برقع.

من وحي ٢ كو ٣

٩٠

إني أقرأ عملك في قلوب شعبك!

الأصحاح الرابع: الأمانة في الخدمة ٩٢

المتابعة في الخدمة، رفض الأشرار للنور، استقامة الخدمة، آلام الخدمة والعون الإلهي.

من وحي ٢ كو ٤ ١٢٠

هب لي أن أستعبد نفسي، فأقتني بالحب الكثيرين!

الأصحاح الخامس: خدمة المصالحة مع السماوي ١٢٣

بيتنا السماوي ينتظرنا، الكل قد صار جديدًا، تصالحوا مع السماوي.

من وحي ٢ كو ٥ ١٥٤

نفسى تسبحك في خيمة جسدها! إنها تترقب مسكنها معك أبدًا!

الباب الثالث

عمله الرسولي

ص ٦ - ص ٧

الأصحاح السادس: الخدمة وسمات الخادم ١٥٧

الوقت مقبول، بلا عثرة، جهاده، متسع القلب، بلا شركة مع الظلمة.

من وحي ٢ كو ٦ ١٨١

لنعمل معك بقلب متسع!

الأصحاح السابع: لنموت معكم، ونعيش معكم! ١٨٢

تقدم في القداسة، لنموت معكم ونعيش معكم، أخبار معزية وسط الضيق، حزن التوبة وحزن العالم، الحب غاية كتابته، تعزيزات وأفراح مشتركة.

من وحي ٢ كو ٧ ١٩٩

احملني بالحب إليك،

فأحمل بالحب إخوتي!

الباب الرابع

خدمة القديسين

ص ٨ - ص ٩

٢٠١

الأصحاح الثامن: السخاء في العطاء ٢٠٣

سخاء كنائس مكدونية، دعوة للعطاء، توصيته بتيطس ورفيقه.

من وحي ٢ كو ٨ ٢١٤

قلبي بين يديك،

هب له حب العطاء!

الأصحاح التاسع: التشجيع على العطاء ٢١٦

اعتذار لحنهم على العطاء، العطاء بسخاء، العطاء بسرور، النمو في العطاء، العطاء وذبيحة الشكر.

من وحي ٢ كو ٩ ٢٢٥

لأزرع بالبركات فأحصد بركات!

الباب الخامس

دفاعه عن مذلة حضرته

ص ١٠ - ص ١٢ ٢٢٧

الأصحاح العاشر: سلطان الرسول الروحي ٢٢٩

سلطان الرسول الروحي، سلطان للبنيان لا للهدم، سلطان في الحضرة والغيبة، سلطان بلا افتخار، افتخار بالرب.

من وحي ٢ كو ١٠ ٢٤١

بالحب أقبل المذلة، لكي أدخل معهم إلى الغلبة!

الأصحاح الحادي عشر: اعتزاز الرسول بجهاده ٢٤٣

غيرة إلهية ملتهبة، سمو علمه، رفضه حقه في الإعالة منهم، خداع الرسل الكذبة، احتمال غباوة افتخاره، افتخاره حسب الجسد، أتعاب الرسول الخارجية، أتعابه بإرادته، متاعب كنسية، الشركة مع المتألمين، هروبه من دمشق.

من وحي ٢ كو ١١ ٢٧٠

كنيستك أم لنا ولود!

كنيستك عذراء عفيفة لك، يا أيها العريس السماوي!

الأصحاح الثاني عشر: الإعلانات الإلهية والخدمة ٢٧٢
الإعلانات الإلهية، عدم افتخاره بها، شوكة في الجسد، افتخاره بأتعابه، خدمته لهم المجانية.
خدمة تيطس المجانية، مسرته ببنيانهم الروحي.

من وحي ٢ كو ١٢ ٢٩٣

اعلن لي ذاتك وسط السكون!

الباب السادس

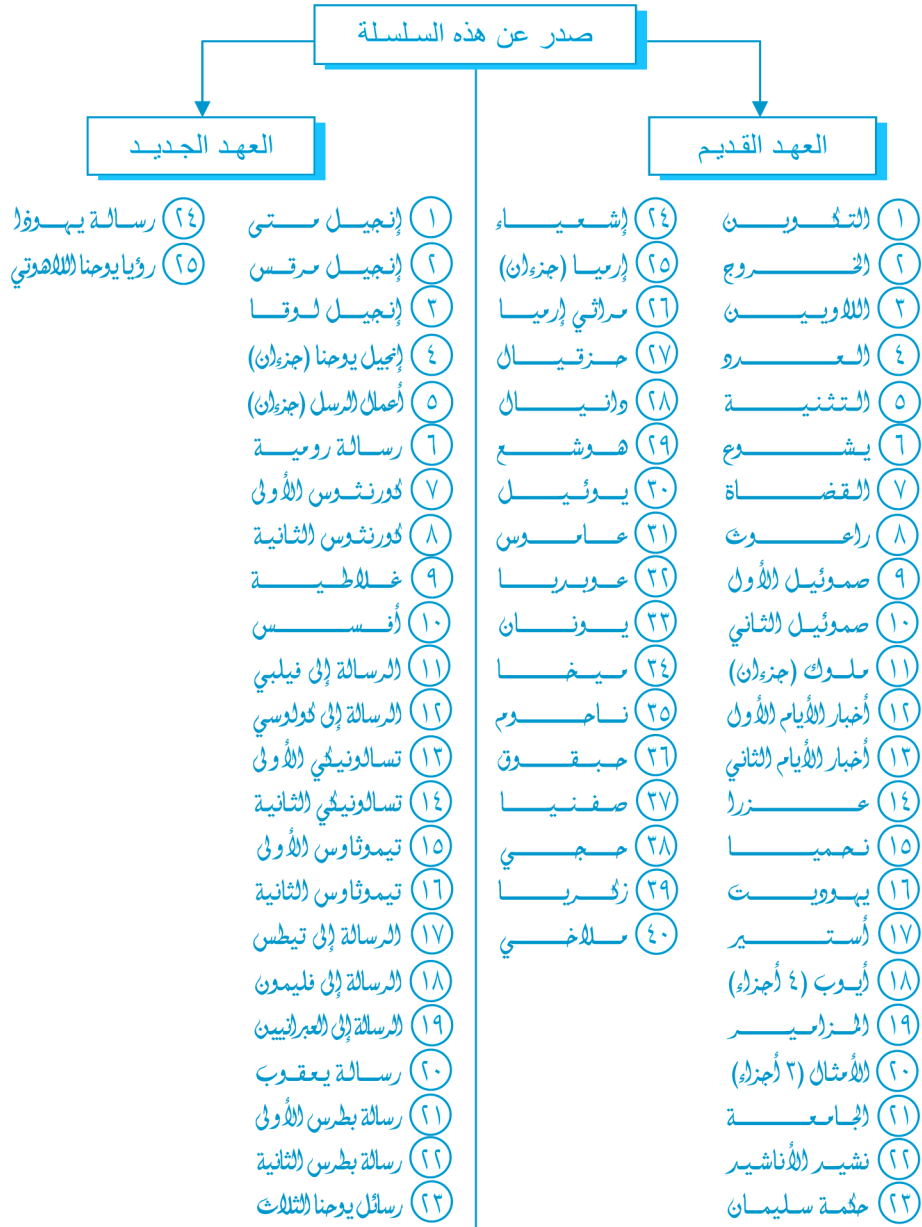
الختام

ص ١٣

الأصحاح الثالث عشر: الختام ٢٩٦
تهديده للأشرار، صلاة من أجلهم، وداع وبركة

من وحي ٢ كو ١٣ ٣٠٩

تهديد أم بركة!



يُطلب من

❖ مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة - ت: ٢٤٨٨٢٤٥٤

❖ كنيسة مارجرس - سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٥٩١٩٨٨٨ / ٠٣